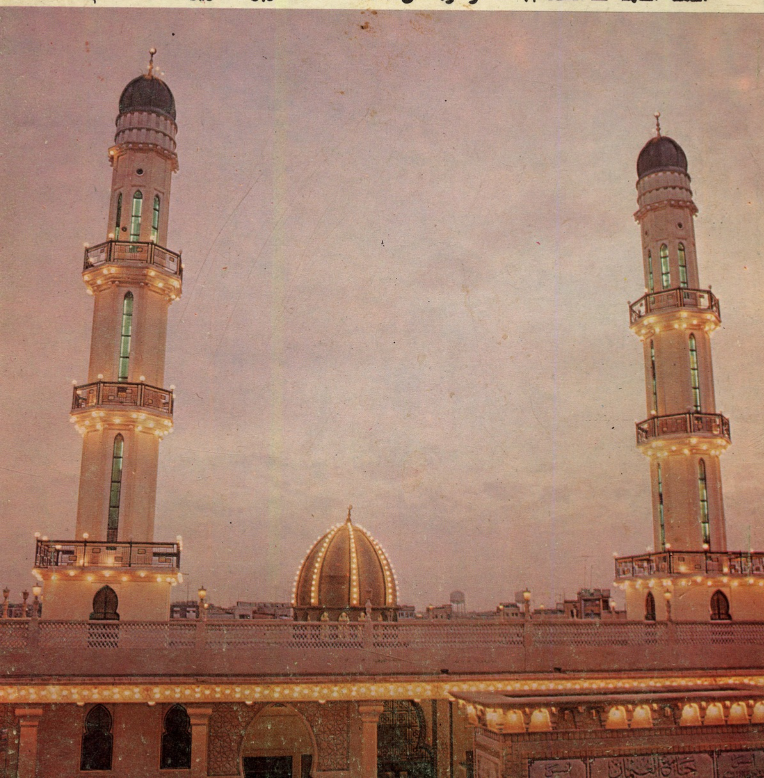
مع هذا العدد
رسالة الصيام والزكاة

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة الثامنة _ العدد ٩٣ _ غرة رمضان ١٣٩٢ هـ _ ٨ أكتوبر (تشرين ١) ١٩٧٢ م



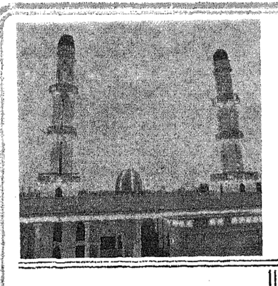
اهداءات ٢٠٠١

أ.د. محمود دياب

جراح بالمستشفى الملكي المصري



مسجد أبو بكر الصديق بالشامية ــ الكويت



جامع عبد الله العثمان احد مساجد الكويت الفخمة الجامعة .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة الثامنة

العدد الثالث والتسعون

غرة رمضان ١٣٩٢ هـ

١٠ أكتوبر (تشرين ١) ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

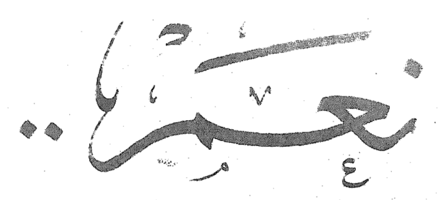
الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

الاشتراك السنوي للهيآت فقط

في الكويت ١ دينار
في الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
اما الافراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٤٢٢٠٨٨ ــ كويت



مشكلتنا أخلاقية وليست فكرية

قلت ذلك منذ حين في بعض ما كتبت ، فاستعظمه بعض الناس، وحسبوا اننى انتقص بذلك من قيمة الفكر والعلم ، واننى ادعو الناس الى اخلاق عارية عن كسوة الوعى والبصيرة والفكر .. !

وليس الامر كما قد حسبوا ، وانما هو كما تقول للفقير المختص بعلوم التجارة والاقتصاد ، والباحث عبثا في اختصاصه النظرى المجرد عن ثروة مالية تغنيه :

ان مشكلتك الحاجة الى راس مال تجارى تكتسب به ، وليست الخبرة الاقتصادية التي تتحدث عنها .

فما من عاقل الا ويعلم من ذلك ، بأن الاختصاص العلمى مهما كانت ضرورته وبلغت اهميته ، فانه لايمكن ان يحقق وحده ثمراته المرجوة ..

وانما يجب ان تتوفر بعد الخبرة والعلم قوة التنفيذ والعمل ، فمهما فقدت هذه القوة كانت المشكلة مشكلة طاقة معدومة لا مشكلة بحث وعلم متوفرين . وعندما تنعكس الحال تنعكس المشكلة تبعا لها .

ليس في مجتمعنا ازمة ثقافة ولا فكر

وفرق كبير بين أن نقول : نقص في الثقافة والفكر ، ونقول :ازمة فى الثقافة والفكر .

اما النقص فحاصل ، ولا شك فيه . ولم نصل من الثقافة والفكر ــ كما وكيفا ــ الى درجة التمام والكمال بعد .. وأما الأزمة فالذى اجزم به أن المسلمين اليوم لا يعانون من أزمة في الثقافة أو الفكر الاسلامى



للدكتور : محمد سعيد رمضان البوطى

بمعنى أن شيئا من مصائبهم الاسلامية التى تحل بهم اليوم ليس ثمرة نقص فى أحد هذين الأمرين . وليكن واضحا اننى انما أقصد الجانب الاسلامى فى كل من أمر الثقافة أو العلم والفكر .

ان المؤسسات والمؤلفات والنشرات التى ترعى شؤون الثقافة الاسلامية فى اكثر البلاد الاسلامية عامة وفى البلاد العربية خاصة أكثر واقوى منها فى أى وقت مضى ، وما من شاب مسلم قد ارتضى لنفسه الاسلام دينا الا وله اليوم من هذه الثقافة الاسلامية نصيب .

والكتب الفكرية التى تتفنن فى وصف الأمراض المستعصية فى جسم العالم الاسلامى ، ثم تتفنن فى وصف الدواء وكشفه وبيان منهجية السبيل الى استعماله وتحطيم مكائد دعاة الغزو الفكرى — هذه الكتب تغمر أسواقنا العربية كما لا يغمرها أى نوع آخر من الكتب الفكرية الاخرى، والناس يقبلون عليها اقبالا عجيبا دفع بالكثير من التجار الى أن يقصروا تجارتهم على هذا الصنف وحده مهما كانت عقائدهم واتجاهاتهم الشخصية

ولقد رأينا كيف تحولت جبهات كثير من المكتبات التجارية العامة الى معرض للكتب الاسلامية المختلفة!

ومع ذلك ، فان الخط البيانى لواقعنا وسلوكنا الاسلامى ، يسير معاكسا لهذا الخط الفكرى والثقافى الذى يمضى صعدا ! .. وانها لحقيقة ملموسة ما أظن أن احدا من الناس يمارى فيها .

وعى فكرى سليم وسلوك تائه معوج

اننا قد نلمس مزيدا من الوعى الاسلامى فى مجتمعاتنا الاسلامية ، ولكنا نلمس معه مزيدا من التحلل والبعد عن السلوك الاسلامى فى هذه المجتمعات ذاتها . وقد نلمس مزيدا من النضج فى القدرة على اكتشاف مكائد الغزو الفكرى وخططه العدوانية ، وفى عرض وسائل التغلب على ذلك كله ، ولكنا لا نلمس معه الا مزيدا من الضعف والتخاذل أمام هذه المكائد الرهيبة ذاتها . وقد نلمس مزيدا من العمق فى العلوم الاسلامية المتعلقة بأصول الاعتقاد أو المتعلقة بالفروع الفقهية والتشريعية ولكنا نفاجأ معه بمزيد من الشبهات الفكرية والشذوذات الفقهية ومظاهر التحريف والتبديل فى أحكام الاسلام وشرعه !

وما من ريب ان هذه الظاهرة تعتبر مشكلة .. !

ولكن مشكلة اي شيء هي ؟

هل هي مشكلة نقص في الدراية والعلم ؟ لا .. ولا اظن ان احدا من المنصفين يستطيع أن يحيل (لا) هذه الى نعم .

اننا اذا أمعنا النظر ، راينا ان معظم مآسينا التي نضج منها انما ينبع من داخل بنياننا الفكري والعلمي ذاته ، بل بحماية ورقابة منه .. !

وعلى سبيل التمثيل اقول : ان تسويغ نسبة معينة من الفائدة الربوية ، لم يفرض نفسه في مجال النقاش والبحث العلمي الا بحماية من العلم والفكر الاسلامي ! ..

وان تذويب كثير من الاحكام الشرعية على وقود القاعدة المعروفة: « تتبدل الاحكام بتبدل الازمان » لم يتم الا باشراف من منهجية النظر والبحث الاسلامي ! ..

وان التشجيع الذي لاقته اباحية التعري والاختلاط بين الجنسين ، لم ينهض الا على ديباجة من التأويلات والفتاوى الشرعية .. !

وان التلاعب الذي تم ويتم بأحكام الشريعة الاسلامية ، طمعا بحظوة او تجنبا لمكروه ، لم ينجح الا من وراء ستار او ضمن غلاف من الدراية الاسلامية ذاتها ! ..

وما اكثر ما ظهر في جسم الامة الاسلامية من صدوع ، وما اكثر ما ظهر في كيان الجماعات الاسلامية من شقاق وخصومة ، بل تهارج وعداء ، لا بفعل جرثومة اجنبية وفدت اليها من الخارج ، بل بسبب انحرافات سلوكية ظهرت بينها من الداخل . وما كان الانحراف لينمو ويشتد ، لولا احتماؤه بحيثيات وافكار اسلامية في الظاهر .. !

اذا هي ليست مشكلة نقص في الدراية او الفكر او العلم . فمشكلة أي شيء تكون ؟ ! ..

ازمــة خلق اسلامي

انها ، كما قلنا ، مشكلة أزمة في الاخلاق . ولا نقصد بالاخلاق المعنى الفلسفي الموهوم لهذه الكلمة ، بل نقصد بها استيقاظ معنى الرقابة الالهية في القلب .

ان علوم الدنيا كلها لا تفيد صاحبها شيئا ، اذا لم يستشعر قلبه — في تعظيم وخشية — رقابة قيوم السموات والارض عليه . وما هذه العلوم التي نتعلمها والافكار التي ندرسها والمناهج التي نبدعها او ننظمها ، بدون تحقيق هذا الاساس ، الا كمفاتيح لابواب مغلقة لم تجد من يستعملها على وجهها ، فبقيت الابواب موصدة ، وبقيت المفاتيح أدوات للعبث .

ولو كانت العلوم والابحاث الفكرية وحدها حلا لمشكلة الفضيلة والسلوك اذا لبطل ان تكون هذه الدنيا دار ابتلاء كما قد قضى الله ، اذ كان الناس يجدون انفسهم مسوقين الى اتباع الصراط الالهي الحق بمجرد أن يعلموا بعقولهم دلائل هذا الصراط ومعالمه وحدوده ، واذا لما اختلف الناس بعد علم ، ولما بغوا بعد معرفة وفكر . كيف وقد قال الله تعالى في حق من لم يغنهم العلم بالحق اي غناء :

(.. فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) ، أجل . ان العلم وحده لا يغني ! ..

عملية التعلم اضطرارية ، والسلوك امـــر اختياري

ان العلم — بعد استكمال اسبابه

ووسائله ــ عملية اضطرارية لاخيرة للعاقل فيها . اما السلوك فيظل عملية ارادية مهما تهيأت من حوله دلائل الحق واسباب الوضوح .

وتقوم بين الارادة الانسانية وكثير من نماذج السلوك الاسلامي عقبات متعبة ليس من السهل اقتحامها ؛ لا يمكن ان ترى شيئا منها امام عملية التعلم والادراك .

وهذه العقبات في جملتها لا تعدو ان تكون ركوننا الى زينة الارض ، بكل ما تفور به من اسباب الشهوات والاهواء . وهي التي عبر الله عز وجل عنها بقوله :

(يا ايها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض) .

وهي في تفصيلها تتشعب الى فروع مختلفة كثيرة ، كحب الرئاسة والمنصب ، والانحياز الى العصبة او العصبية ، والرغبة في بلوغ شهوة من شهوات البطن او الفرج او الشهرة بين الناس ، والتأثر بعوامل الحسد والحقد والاضغان . وتلك هي في مجموعها مادة الامتحان الالهي للانسان في هذه الحياة .

وللعلم ضمن هذه المهيجات العاتية الخطيرة أثر واحد لا يتجاوزه ؛ هو الدلالة المجردة .. ! وهيهات أن تتغلب الدلالة وحدها على آفات هذه العوامل الهائجة العاتية .

سلطان النفس اقوى في ايحائه من سلطان العقل

بل انك اذا تأملت ، وجدت ان ٦٠ ٪ من عوامل النظر والتفكير يتمثل في عوامل نفسية مجردة ؛ كدوافع العصبية وردود الفعل والانصياع لرغائب النفس . اما العامل العقلي الحر فلا يتجاوز ٤٠ ٪ فمعظم أحكام الناس وآرائهم الفكرية تأتي بسائق من هذه العوامل النفسية واشباهها اكثر من ان تأتي بسائق من النظر العقلي المجرد .

ولا يستثنى من هذه القاعدة الا من اقتحم العقبة وكسر الطوق النفسي الذي يأسر الفكر والعقل ضمن سجن من رغائبها وايحاءاتها ؛ فانطلق متحررا من كل سلطان الا سلطان العقل الكامل المجرد . وهم الذين رباهم الاسلام في ظل من مراقبة الله تعالى والاستشعار بأنه عز وجل يحصي عليهم كل صغيرة وكبيرة ، ثم يحاسبهم عليها في يوم آت لا ريب فيه ، وقليل ما هم ! ..

اذكر ان مسؤولا كبيرا ناقش صاحب احدى الجرائد اليومية الكبرى حول ما تدأب عليه جريدته من نشر الصور العارية . فكان المسوغ الوحيد لذلك في نظر صاحب الجريدة انها تحرز بذلك مزيدا من الكسب والانتشار ! .. أي أن مجرد رغبة نفسية في المنافسة على كمية البيع او كمية الربح والمال ، كان منطلقا عقليا وعلميا كافيا لتسويغ هذه الخطيئة والسير في سبيلها ! ..

واعلم مجلات تنشر من الآراء والافكار المتنوعة كل ما يتوفر له انصار في المجتمع ودعاة ! .. فهي لا تبالي أن تجمع من ذلك كله ضغثا يمتزج فيه الحق والباطل والشبهات المتنوعة التي تتردد بين هذا وذاك ، لمسوغ واحد فقط ؛ الا وهو أن يتوفر لها مع كل طائفة من الناس أو مذهب من المذاهب وجه مضيء ، فيزداد بذلك انتشارها وتتصاعد بين الناس أرقامها ! ..

فأي قيمة تبقى لمنبر ، انما أقيم لبث حقائق العلم والحياة ، وتصعيد الناس الى مستوى سلوكي وخلقي افضل ــ اذا كان مسوقا بما فيه بيد الرغائب النفسية التي ليس بينها وبين حقائق الفكر ومقتضيات العلم أي نسب موصول ؟! ..

اخطر من الجهل بالشيء علم استرقته رغائب النفس

وليس الجهل هو الخطر الاكبر فى حياة الناس ، كما قد يتوهم البعض . وانما الخطر الاكبر ان يسقى فيهم نبات العلم والفكر بماء الشهوات والآفات النفسية المختلفة ، فيتلون كل ذلك بلون هذه الآفات ويتشبع من وحيها ، حيث يتحول السعى المقدس للبحث عن الحقيقة الى احط ما يعتبر قاسما مشتركا بين الانسان وسائر الحيوانات الاخرى .

أرأيت الى العقل الذى يهدى الانسان الى حقائق الاشياء ؟ انه — كما يقول الامام الغزالى — نور يقذفه الله فى شعور الانسان فيضىء له سبيل الحق ويكشف له عن كوامن العلم والنظر . فأى جريمة اسمج واخطر فى حياة الانسان من أن يعمد الى هذا النور الالهى الطاهر ، فيجعل منه مطية ذلولا لحيوانيته وغرائزه المطلقة ؟!

والعلم فى ذاته اقدس حقيقة فى الوجود ، ولكنه يفقد قداسته كلها وينقلب وبالا على صاحبه والآخرين ، عندما يحمل اثقالا من شهوات النفس واهوائها ..

ورب ناس رفعهم الله بالعلم درجات ولكنهم لما اخلدوا به الى شهوات الارض واستخدموه لخدمة النفس والهوى ، انزلهم الله تعالى الى دركات من الحطة والشقاء الانسانى المهين .. !

وانظر فى تصوير ذلك الى قوله عز وجل :

(واتل عليهم نبأ الذى اتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ..))

ومثل هؤلاء الناس لا يغنيهم أى غناء ان تناقشهم او تردهم الى منطق الحق والعلم ، فان كلا من الحق والعلم فى حياتهم ليس الا سيفا مصلتا بيد شهواتهم وامانيهم النفسية وما ايسر على العالم — اذا حكم هواه فيما يعلم — ان ينطق علمه بمكنون هواه وان يجعل منه اصدق شاهد امين له .

ذلك ان نصوص القواعد والاحكام الشرعية ، مثل النصوص القانونية. كلاهما قابل للتحوير والتأويل والحاق القيود والشروط المبتدعة . وكما ان المحامى لا يعجزه شىء عن أن يحور النصوص القانونية ويؤولها لصالح موكله طمعا فى مال يناله منه ، فكذلك لا يعجز الفقيه شىء عن ان يؤول ما شاء من النصوص الشرعية ويذيله بالقيود والشروط الوهمية ابتغاء عرض من الدنيا قليل .

الحل هو ايقاظ الرقابة الالهية فى القلب

وليس من حل لهذه المشكلة الا ان يوقظ المرء مشاعر رقابة الله تعالى فى قلبه . فان الانسان اذا آمن بالله عز وجل ، وايقن بأن الله تعالى رقيب عليه ، يعلم خائنة عينه وما قد تخفيه نفسه ، وان كل ذلك يقيد فى سجل ، وانه ينشر أمامه يوم القيامة مع صوت يناديه :

(هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون)

وان الله محاسبه على كل ذلك فى محكمة لا نقض فيها ولا استئناف ولا ينفع معها شاهد زور ولا ملكة تحريف ولا تأويل ، وانه سيستقبل من حياته يوما ثقيلا ، ينسى

تحت وطأته طعم الشـــــهوات التى اسكرته وساعات لذائذه التى ادبـــر عنها ، وانه مخلد بعد ذلك اما فى نار ابدا او فى جنة ابدا :

اقول : اذا عاش المؤمن فى دنياه يستشعر هذه الحقيقة ويتمثلها — وذلك هو شأن كل مؤمن فان علومه وافكاره كلها تتحرر عن ســـــلطان نفسه ، وينطلق العقل صاعدا يبحث عن حقائق الوجود فى حرية مطلقـــة مجاوزا الواحدة اثر الاخرى حتى يقف عند حقيقة الحقائق كلها وسر الوجود كله .

وليس للنفس من سبيل اذ ذاك ، الا أن تسعى جاهدة للحاق بالعقل فى رحلته القدسية هذه . فلأيا بلأى، تتجرد من غوائلها وترتفع فوق آفاتها وتنكسر خاضعة تحت سلطان العقل وقانونه . وذلك هو مجمل وظيفـــة الاسلام فى حياة الانسان .

وما يمنع المسلم ، ايا كان ، من أن يكون هـــذا شأنه فى الحياة ، الا انه ينسى انه مسلم ، ويســـتمر ناسيا ذلك ، حتى تتخطفه الاهـــواء وتنسج عناكب الشهوات من حـــوله خيوطها ، فتنمسخ فيه طاقة العلم وقدسية العقل ، وينتكس وجـــوده الذى خلق متجها الى السماء واذا هو قد انحط هابطا الى الارض .

ويسير الرجل هكذا منكس العقل والوجود ، يفهم الحقائق منكســـة ، ويرى اشياءها معكوسة : يزهـــد فيما ينبغى ان يحرص عليه ، ويتعلق بما يجب ان يزهد فيه ، ويحســـب مائة حساب لما يبصره عنـــد أرنبـــة انفه ولا يحسب حسابا واحدا لمـــا هو لاقيه عند موته .

حتى اذا وافاه الاجل ، انقلبت مرآته فجأة لتبصره الامـــــور على حقيقتها ولتريه الدنيا كمـــا هى فى ذاتها ، وامتلأ سمعه بمعنى قـــوله تعـــالى :

(لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد)

وتصحو مشاعر الرقابة الالهيـــة اذ ذاك فى النفس ، ولكنها مشاعر لا تنبع اذ ذاك الا بنيران الندم ، وما كان الندم ليغنى عن صاحبه شيئا .

* * *

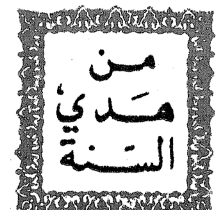
وبعد فحاشا لأعداء الاســـلام ان يتهيأ لديهم من الجرأة ما يقتحمون به الى الاسلام بأى مكروه . فللاســـلام فى افئدتهم رهبة تصـــدهم عن ان ينالوه بأى اذى مباشر .

ولكن من عادتهم انهم يتلمســـون بين المسلمين من كانت هذه حاله : مسلم ولكنه نسى اسلامه ، يعـــلم الحق ولكنه لا يبالى ان يدفع علمه فى طريق ما تتمناه عليه نفسه .

يتلمسون من هؤلاء واحدا اثـــر آخر ، حتى اذا تهيأ لهم جند من هؤلاء الناس ، اتخذوا منهم جسرا الى كيان الامة الاسلامية وجوهر هذا الدين الحنيف ، فنوقهم يصـــولون وعلى ظهورهم يرتعون ، وبواسطتهـــم يفسدون ويدمرون .

* * *

سقطت قطعة فأس ذات يوم بين اشجار بستان ، فذعرت الاشجار لهذا العدو المداهم ، وداخلها الرعب والهلع ، ولكن شجرة عظيمة قـــد اتت عليها السنون ، نادت فيهـــا قائلة : لا يهولنكم الامر ، فلــو ان قطعة الحديد هذه ظلت ملقاة فيمـــا بينكم مئة عام لم يكن لها ان تـــؤذى واحدة منكم ، الا ان يتبرع جذع منكم فيجعل من نفسه مقبضا لهـــــذه الفأس ..



التكافل الاسلامي

للدكتور علي عبد المنعم عبد الحميد

عن البراء بن عازب رضي اللهعنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((من منحمنيحـــة لبن(١) او ورق(٢) أو هدى زقاقا(٣) كان له مثل عتق رقبة)) .

(رواه احمد وابن حبان والترمذى)

١ ــ فى هذه الحيـــاة الدنيا لا يســـــتطيع امرؤ ان يحيا بعيدا عن الآخرين ، منزويا فى عقــر داره او منحازا الى جبل او مغارة ، بل لا بد من التلاقى والتواصل على أوســـع نطاق ، وفى قوة تعاون وتساند ، حتى تمضى الحيـــــاة الى الافضل وتستمر فى الصعود الى قمة الكمال الممكن ادراكه ، والمستطاع الوصول اليه ، وهذا يقتضى شعور كل انسان بحاجة أخيه شعورا كاملا ، والعمل على سد الثغرات التى تنزلق منها البشرية الى هاوية الفرقة والتنافر، والاسلام حريص كل الحرص على أن يتلاقى النـــاس فى ظل المحبـــة والإخاء مهما بعدت بهم الدار ، ومهما شط بهم المزار ، لهذا نلحظ كثيرا فى توجيهات سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم التاكيد على ما يوصل الى العيش الرغيد ، والسير الحميد ، والتماسك والتآلف ، ومن بين وصايا سيدنا رسول اله صلى الله عليـــه وسلم تلك المقولة الكريمة التى تحث على بذل المعروف ، ونشر التعاون ، وتدل عليه فى صورة سهلة الإدراك، يسيرة المأخذ ، فقد اشــار هذا الكلم الطيب الى صنفين من اصناف البر والتعاون ، الأول منهما : هو المعونة بالمال ــ والمــال عدل النفس .. والثانى منهما : هو المعونة بالمقال ، ورب كلمة طيبة رفعت من شأن ، ودافعت عن حق ، واكدت المحبة ،

وابادت البغضاء ، وقد اوضح الحديث الشريف انه يلزم القادر إسعاف العاجز ، وعلى الغنى بذل ما يستطيع للأخذ بيد الفقير ، كما انه على العالم ان يفقه الجاهل ، وعلى كل ذى فضل ان يعطى من فضل ما عنده لذى الحاجة العاجز عن إدراك ما ادرك ، والمقعد عن الوصول الى ما وصل اليه ، وتلك خلال الاسلام وفضائله .

وقد نص سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ورد فى الحديث الشريف موضع البحث من قبيل ذكر الامثلة الخاصة التى تدل المتامل فيها على نظائرها من مطلوبات الاعمال والاقوال، وتلك طريقة كريمة سهلة يشير فيها المرشد الى ما يراه اقرب الى افهام الناس ، وايسر على ادراكهم ، لمثوله متكررا امام اعينهم، حتى اصبح مالوفا لهم ، كما ان فى ذلك ايقاظا لأفكار الدارسين الاذكياء وتوجيها لهم الى مزيد من التدبر والفهم والادراك ، ليقيسوا الاشباه على النظائر مما يمت اليها بصلة من غاية او نهاية ، وهذا مما يثقف العقول ، ويحملها على التصرف فى الامور تصرفا حسنا مستندا الى البرهان والاستنتاج المستقيم ، وهذا ما يفسر لنا دائما السر الكامن وراء اقتصاره صلى الله عليه وسلم على بعض الاشياء ، وسكوته عن البعض الآخر لما فى ذلك من فائدة للعالمين والمتعلمين .

— ● —

٢ — فى تدبر هذا الحديث الشريف وتطبيقه عمليا تيسير الامور على من تعسرت عليه ، وتفريج الكروب عمن نزلت به ، ومد يد التراحم للأخذ بناصر من احاطت بهم أسوار الضيق والعوز ، وبذل البر عامة لإغاثة كل ملهوف محتاج الى العون فى شتى صوره واشكاله ، ولقد فقه سلفنا الصالح كل ذلك ، وادركه ادراكا كاملا من توجيهات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقاموا على العمل النافذ المفيد ، وحرصوا عليه ، وتواصوا بالصبر والمرحمة ، وكان من نتاج ذلك ان يسارع الى الأخذ بناصر الضعيف ، وان ييسر على المعسر ، ويبادر الى سد حاجته، فلم يتركوا مسلما يتردى فى هاوية الآلام ابدا الا وجدوا له من آلامه شفاء ، ومن كربه فرجا ، ومن ضيقه مخرجا ، وراوا — رحمهم الله — ان ما يصيب احدهم يصيب المجموع ، فما يشعر به الفرد المسلم من خير او شر تسرى عدوى شعوره الى الآخرين من اخوانه فيفرحون لفرحه ويساؤون لإساءته ، وصدق فيهم قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى» . كما رواه البخارى وغيره قريبا من لفظه ومتحدا فى معناه ، فالمؤمن الحق هو الذى تتمكن فى قلبه اخوة الاسلام فتثمر التواصل والتعاطف والتلاقى دائما فى رحاب الله وتحت راية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يمكن ان يتم ايمان المؤمنين الا اذا صاروا حقا كالجسد الواحد اذا مرض منه عضو اشترك معه سائر الاعضاء فى الألم ، فالعين تسهر والقلب يتالم ، والمعدة تضطرب ، والفكر يرتبك، فكان الجسم كالشجرة اذا اهتز غصن من اغصانها اهتز

سائرها ، وهذا توضيح لبعض ما ورد فى الذكر الحكيم كقول ربنا تبارك وتعالى : ((والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)) ، وهكذا فى الصورة الاسلامية الصحيحة يصبح المسلمون بنعمة الله إخوانا متكافلين متعاضدين ، يلجأ ضعيفهم الى قويهم ، ويكفل غنيهم فقيرهم ، وبهذا يسعدون ، ويتم الله عليهم نعمته ، ويفلحون فى كل مقاصدهم .

---

٣ ــ تسلطت على العالم الاسلامى انواع من الجهالة بالاسلام لم يتفق عقلاؤهم على مصادرها ، ولم يعلموا تماما مواردها ، فقال قائلهم : من الاستعمار اتتنا ، وصاح آخر : من غلبة الكفار على اوديتنا ، وتحكمهم فى مقدراتنا ، ونتج من جهالتهم انفكاك وحدتهم ، وتفرق كلمتهم ، وانطفاء نورهم ، وتمزقهم ايدى سبا وتبدلت طباعهم فلم يعودوا يشعرون بشعور واحد ، ولا ينضوون تحت لواء واحد ، ولا يدركون كل الادراك ما ينفعهم متميزا عما يضرهم ، وخلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فاصبحوا احدوثة العالم ، ونفاية الانسانية ، وحثالة الوجود ، وضلوا طريقهم السوى تائهين فى بيداء الجهل ، ولبثوا كذلك حقبا متطاولة ، حتى قرعت بابهم القوارع بشدة ، وصاحت بهم حادثات الأيام ، صيحة ازعجتهم عن مستقرهم ، وباعدت بين البعض واوطانهم ، فانتبهوا مذعورين ، وتشتتوا فى مسالك مختلفة كقطيع فاجاته الذئاب العاوية ، فلم يدر اى مسلك ينجيه، ولم يجد من ياخذ بيده او يهديه ، وهنا يصيح بى صاحبى لا تترك الآلام تقود القلم ، ولا تدع اليأس يسجل المأساة ، فقد لاح فجر واضاء نجم ، وما بعد الليل الا النهار ، فان مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا ، وإن حادى العيس فى البيداء لن يضل ، ومع نور القرآن وهدى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتتراءى امامى اضواء تعلو وتهبط هنا وهناك فى اودية مختلفة، وادعو الله ان تزداد قوة ولمعانا حتى تبدد حوالك الظلام التى احاطت بها، واخذت علينا طريقنا ردحا من الزمان .

ويناديني صوت من بعيد يحملنى على لى العنان والالتفات اليه ، والاستماع الى مصدره ، فردد فى اذنى اصداء الحرية المعناه اللاهثة ، يفك قيودها من عرك الحياة وعاركها، واصطلى الحوادث وذاق سمها ، وعرف ضيق السجن يوما وتنسم الحرية يوما ، فاخذ يمسح بيده الكريمة جباه الحريات المحمومة ، ويصف لها الدواء ، ويتابع العلاج ، ويلاقى للأسف الشديد الأمرين فى سبيل ذلك ، ولكن الله معه ومؤيده،

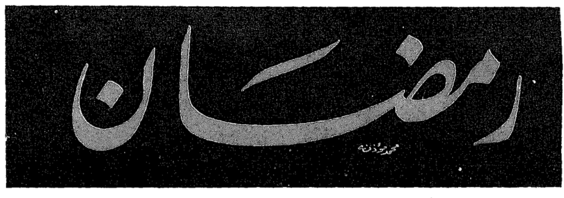
وبدا الحيارى يتنفسون الصعداء ، واعتقد أنه ستنعكس افكاره واعماله على أمم اسلامية كثيرة ، وسيتابعه آخرون في نفس الطريق ان عاجلا وإن آجلا ، فالرجل مخلص محنك وقيادته حكيمة موفقة ، والمعوقون سيختفون بفضل الله وعونه ، وتعود الى الوطن الاسلامي سعادته وامنه ، واني لأسال الله القوي القادر ان يعطي هذا القائد قوة من عنده اعطاها للمخلصين من قادة الاسلام الغابرين ، ويفسح له في طريق الخير ، ويحميه من تسلطات الشياطين ، وإن الشياطين ليس لهم سلطان على عباد الله المخلصين ، وصاحبنا من اشد الناس إخلاصا فيما أرى لله ، وللحق ، وللوطن ، ومولانا القوي القادر العالم بخفيات الأمور يقول للخائن الخاسر : « ان عبادي ليس لك عليهم سلطان » ، وحين تعم الحريات ويتنفس المخلصون الصعداء تكثر منائح الخير ، ويعم التعاون والتساند المخلص لله وحده، وتسود الوطن الاسلامي المحبة والإخاء ، ويصبح اهله يدا واحدة على عدوهم الكاشح الجاثم على انفاسه ، فيورده موارد الهلاك ، ويستعيد قوته ومجده فان مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا .

---

(١) معنى منيحة اللبن : هو أن تعطي غيرك ناقتك ، أو شاتك أو بقرتك ليأخذ لبنها احتلابا ، ثم يردها عليك .

(٢) والمراد بمنيحة الورق : هي دراهم مصكوكة من الفضة يقرضها المرء لغيره ، ويدخل في ذلك كل قرض حسن « من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة » .

(٣) والمقصود من هداية الزقاق : هو أن يدل الانسان غيره على الطريق الذي يوصله الى غايته فيسلكه ، وخاصة اذا كان السائل غريبا لا يدري أين الطريق .. !



بين تقاليد الماضي وهزائم الحاضر

للشيخ محمد الغزالي

للجسد الانسانى وقوده الذى يحيا به ويتحرك ، ويستحيل حرمان هذا الجسد من مصادر وجوده ونمائه وتنقله هنا وهنالك !.

التجويع التام يقتله ، والحرمان من عناصر رئيسية يثير الاعتلال فى كيانه ، ويفرض عليه الذبول واللغوب ...

ولم يجىء فى شرع الله تكليف من هذا النوع المحرج ، بل جاء فى السنة استعاذة النبى عليه الصلاة والسلام من هذا البلاء « اعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا انت » ...

لكن الواجدين من الناس عندما يطعمون لا يكتفون بتناول الغذاء المطلوب لأبدانهم ، بل يلتهمون مقادير اكبر .. كل على قدر نهمته وطاقته !! ونحن نفتن فى تزويد انفسنا بأزيد من حاجتها ، والرغبات تمتد مع التلبية المستمرة ، وتألف ما اعتادت ، وتطلبه إن فاتها ..!!

وهذا الجسد العجيب قادر على اكتناز ما يفرض عليه إما بدانة مفرطة ، أو قبولا لما يشحن به ، ثم عملا صوريا فيه ، ثم خلاصا معنتا منه !! وهو الخاسر فى هذا الجهد الضائع ، والحياة العاقلة من حوله تقول : لو كان هذا نصيب معدة فارغة لكان خيرا له ولها ، ولكان اسعد وأرشد ، وقديما قيل ..

والنفس طامحة اذا اطمعتها
وإذا ترد الى قليل تقنع !!

لعل فريضة الصيام تذكرنا بهذه الحقيقة النفيسة التائهة ، لكن هناك شيئا آخر يجىء رمضان ليذكرنا به ، نحن العرب والمسلمين فى أقطار الارض كلها .

نعم ، اذا كانت شهية بعض الناس مفتوحة للمزيد من ملذات الدنيا فما أحرى المنهزمين بأن تنكمش أيديهم وتغص حلوقهم ، وإذا كان اهل الاديان كلها يمرحون ويهشون فما احرى بنى الاسلام بالصيام عن فنون المتع والوان السرور .

ذلك أن المرحلة التى يمرون بها لا تتحمل من ذلك قليلا ولا كثيرا ... فى اعقاب المتاعب التى تصيب الأمم ، وتنتظم آلامها الأفراد والجماعات ، يحدث تغير شامل فى السلوك القومى

العام ، ويزهد الصغار والكبار فى فنون من المتع كانوا من قبل يألفونها، وأنواع من المرح طالما ابتهجوا أيام السلام بها .

وهذه عادة عربية قديمة ، كان اسلافنا الأوائل اذا نال منهم عدو أو حل بهم مكروه ، هجروا تقاليد السرف والترف ، وصدوا عن أسباب اللهو والمجون ، وما يسمح احدهم لنفسه بسرور غامر ، وضحك عال الا اذا نال ثأره او استرد مافقده ، أو أوقع بخصمه مثل ما نزل به ، فاذا تم له ما يبغى قال وهو مستريح :

فساغ لى الشراب وكنت قبلا
أكاد اغص بالماء الفرات

وقد نزل ابو سفيان ، وجمهور أهل مكة على هذه العادة بعد هزيمتهم فى معركة بدر ، فحلف ابو سفيان أن يحرم نفسه شتى الملذات حتى يدرك ثأره من محمد ...

واتسق هذا المعنى فى تقاليد البطولة التى شاعت بعد بين المسلمين ، فيقول شاعرهم :

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم
عن النساء ولو باتت بأطهار !!

والمعنى انه فى ساعات الجد لا ينبغى الاكتراث بما عداه ، وفى أيام الكفاح يجب على الامم أن تقتصد اقتصادا شديدا فى مظاهر الفرح والتسلية . .

وما دام ابناؤنا واخوتنا فى الجبهة وما دامت قطع من أرضنا تحت أقدام العدو ، وما دام جحد حقوقنا ظاهرا فى اسلوب التبجح الذى نستمع الى نبراته فما مكان الراحة والهدوء عند مجىء الراحة والهدوء ؟

وما مكان التوسع فى الانفاق والبذل فى المرفهات عند عشاق البعثرة والترفيه ؟

لقد آن الأوان ليراجع العرب والمسلمون سلوكهم الخاص والعام ، فيحذفوا من اساليب معايشهم وافراحهم واحزانهم الكثير مما لايتفق مع ايام الحرب وليعلموا ان جنجل الكفاح طويل ، وانهم بازاء عدو ماكر غادر تختبىء وراءه كل قوى العدوان فى الارض ، وان هدف المعركة الاتيان على تاريخهم ورسالتهم وحاضرهم ومستقبلهم ، فكيف مع هذه النيات الهائلة نستخف بالامر ؟

أو نأذن لمشاعر الدعة والهزل أن تخامر القلوب ...؟

ان الاثر النفسى العظيم لفريضة الصيام هو تدريب المؤمن على ضبط نفسه ، وإحكام أمره ، وتقييد شهواته ، فهو اذ يترك بعض الاعمال المباحة يتمرن على ترك جميع الاعمال المحظورة ، او التى تفرض ظروف المروءة ، وأعباء الكفاح أن يتركها ، وقديما قال رجل عزيز صلب ..

يقولون : هذا مورد!! قلت: قد ارى
ولكن نفس الحر تحتمل الظما ..!!

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب طاقة كبيرة على الحياة ، مهما تباينت ظروفها ، واختلف عليها العسر واليسر ، والانكسار والانتصار ولقد علم أصحابه أن الاستسلام للشهوات المادية ، والحرص على نمط معين من الملذات ، سقوط بالهمة وخور فى العزيمة ، واسترخاء مع الشيطان .

قال عليه الصلاة والسلام يصف المجتمعات المعتلة « ان القوم لما شبعت بطونهم سمنت ابدانهم ، فضعفت قلوبهم وجمحت شهواتهم » وقال : « انما أخشى عليكم شهوات الغى فى بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى » .

وقال : « ان شرار أمتى الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه أجسادهم » وقال — يصف عشاق الليونة والرخاوة والمظاهر الجوفاء — « تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة ، تعس عبد الخميصة » والقطيفة والخميصة انواع من الاقمشة الملبوسة

والمفروشة تمتاز بالفخامة والنعومة ، يحرص عليها طلاب الراحة وعبيد المثل الدنيا لا المثل العليا .

ويظهر أن بعض المسلمين لا يستفيدون من صيامهم هذه الآثار النفسية والاجتماعية التي تعين على خلق شعوب مجاهدة تتحمل متاعب الحصار الاقتصادي والعسكري . وأنهم حريصون في جوانب كثيرة من حياتهم على تقاليد اليسار والسعة ، والتشبث بما ألفوه أيام السلام والسلامة ..!

وما نفكر في تحريم مباح ، ولا في زجر الناس عن طيبات أحلت لهم . ولكنا نفكر في مواجهة العدو المتربص وضرورة وعي الأساس الأوحد للقائه ، وهو أن الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم ... عندما أعلن غاندي المقاطعة السلبية، وحمل شعبه على الرضا بخيوط المغزل الهندي ، وهجر الانتاج الرائع لمصانع انجلترا ونسيجها الرقيق الجيد كان ذلك « الصيام » بداية التحرر ونهاية الاستعمار ، ولذلك يقول الشاعر العربي رشيد سليم الخوري

لقد صام هنديٌ فدوَّخ دولة

فهل ضار علجاً صوم مليون مسلم

انني الفت انظار قومي الى اننا امام جهاد شاق المراحل ، ثقيل التكاليف ، وأن النجاح فيه يتطلب من الآن نظرة عابسة ، ورفضا لصنوف المباهج !!

ترى هل استطيع أن اقترح إلغاء افراح الاعياد ؟ والاكتفاء بشعائرها الدينية الرصينة وحسب ؟

إن ولع العرب الشديد باللهو واللعب منته بهم بتة الى التلاشي . ودلالته واضحة على موت القلوب ، وقبول الدنايا ، وعشق الدنيا وكراهية الموت ..

إن عبادة الحياة ، وتكريس القوة والوقت لها وحدها ، علة قديمة بين الناس وهي العلة التي ارخصت القيم الرفيعة ، والهبت الغرائز الوضيعة ، وصرفت القصد عن الله ، وعلقت الهمة بالحاضر القريب ، ونسيت ما عداه !!

في المجتمعات التي فتكت بها هذه العلة يقول جل شأنه : « إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا » ويقول : « فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا . ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى » .

ومظاهر هذه العلة معروفة في انتهاب اللذات من غير شبع ، والبحث عنها دون اكتراث بحل او حرمة ، واعتبار الوجود الارضي هو الإطار الأوحد للحس والادراك .

فان فات فليس عنه عوض ، وان اقبل فيجب التفاني فيه وارتشافه حتى الثمالة ! انه لا شيء بعده يرتقب !!

واحسب انه في هؤلاء يقول جل شأنه وهو يذيقهم عقابه — « ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون . ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين » .

والمدنية الحديثة قد ضاعفت لأبنائها الفرص لعبادة الحياة والعبّ منها دون ارتواء ، وذلك ان الشهوة تغرى بالشهوة كما اشرنا آنفا ، والرغبات الانسانية قد يضر بها القرب ، ولا يزيدها الظفر الا إشتعالا ، على نحو ما قال الشاعر .

اعانقها والنفس — بعد — مشوقة

اليها ، وهل بعد العناق تداني ؟

والثم فاها كي تزول حرارتي

فيشتد ما القى من الهيمان !

والاديان في أوربا وامريكا عجزت عجزا تاما عن علاج هذا السعار ، لقصورها الذاتي أولا ، ولاشتغالها

مع ذلك بمحاربة الاسلام بـــدل أن تتعاون معه على فعل شيء ما يحفظ على الانسانية مستقبلها المتداعى ..
والغريب أن المسلمين نافسوا غيرهم فى التهاوى على هذه المتع والتشبع منها جهد المستطاع .

قد تقول : وما الغرابة فى ذلك ؟ أليسوا بشرا كالبشر ؟

وأجيب: اننى لا أنكر على المسلمين ــ خاصة ــ أن يشاركوا الاوروبيين والامريكيين فى ألوان المتـــاع التـــى اخترعوها .

اننى قد أفهم أن يعود رواد الفضاء من رحلة مضنية ليلتمسوا بعض النزه البريئة أو المريبة فى ليل أو نهار .

أما الذين يتمكعون بيـــن دورهم واجران القمح والارز ، أو الـــذين يتركون خيامهم على مدى سهم فـــى مراعيهم الساذجـــــة ، أو الذيـــن يركبـــون سياراتهم ليجلسوا فـــى الدواوين محسودين لا مجهودين ...
أو .. أو .. فما لهؤلاء والبحث عن الملـــذات المخترعـــة فى الشرق أو الغرب ؟؟

إن بعض الناس يـــذهب الـــى العواصم العالمية المرموقة ثم يعـــود ليتحدث عن لياليها الصاخبة !!

فهلا تحدث عن أيامها الجادّة ، وعن العـــرق المتصبب من أجساد الكادحين الصـــغار والكبار علـــى سواء ؟؟

إن المهندس هناك قد يغير وجهه وملبسه كله طول النهار ثم ينطلق بعد ذلك ليستجم وفق ما يفهم ويعتاد .

ويوجد عندنا من يقلده فى الانطلاق الاخير ، ولا يتأسى به قيد أنملـــة فى الكفاح الذى سبقه !!

أى بلاء أصاب العرب والمسلمين حتى عمـــوا عمـــا يجب أن يرى ، وحملقوا عيونهم فيما يجب أن تغضّ عنه ، وتسترخى بازائه ؟

انهم لو فقهوا سر الصيام ، وسر الحياة المفيئة المبنية عليه لكـــان لهم موقف آخر ..

بل لو أنهم أدركوا ما كانوا عليه ، وما صاروا اليه ، وما تبيته القـــوى المتربصـــــة بهم ، لكان لهم قبل الصيام صيام ، وقبل القيام سهر يطير معه المنام !!

من سنين طوال ورمضان يستقبله العرب والمسلوب بطريقـــة رتيبة .
روايات أقلها جاد وأكثرها هـــازل تعرضها الاذاعات المسموعة والمرئية .. أغان بعضها دينى (!) والآخـــر لا دين له تشنف الآذان . فكاهات تخلق الاجواء الضاحكة ، وتسلى الجماهير التائهة . مواعظ تقليدية ممجوجـــة يفر أغلب الناس مـــن سماعهـــا أو كتابات اسلامية فـــى موضوعـــات مختارة عن عمد لتغدير الفكر وتفتير الهمم .

صور جميلة أو دميمة للمســاجـــد والآثار الاسلامية .. احتفـــال باهتة جرى رسمها واخراجها بحيث تنعدم فيها الروح ويضعف التأثير .

إن أعداء الاسلام لا يطلبون من أمة الاسلام أن تفعل بنفسها أكثر من ذلك !

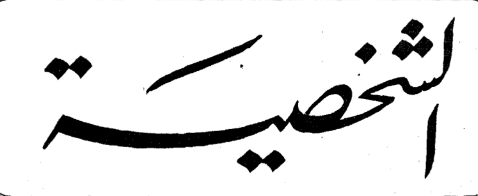
لما مات أبو امرىء القيس الخليع الضليل قال هذا الشاعر يصف ما سيفعل : اليوم خمر وغدا أمر ! لقد جعل لسكره حدا ينتهى عنده ، إنـــه اليوم وحسب !

ومات امرؤ القيس وهو يجـــاهد لاستعادة مجده ، ويقـــول لصاحبه يسليه عن هموم الكفاح ومشـــقات الضرب فى الارض .

فقلت له : لا تبـــك عينك ، انما نحاول ملكا ، أو نموت فنعذرا !!

لكن جمهرة كبيرة من شباب العرب لا يزالون يقولون : اليوم خمر وغدا خمر .. فمتى الصحو ؟

الا يستحق المسجـــد الاقصى وقفة تدبـــر واستعبار ، يتـــلاوم فيهـــا المفرطون ، ثم يغضبون لله غضبة تمحو العـــار ، وتدرك الثار ..؟؟



الشخصية

للشيخ عبد الحميد السائح

بعد ان اعد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم الشخصية الاسلامية في الفرد المسلم ، في مكة المكرمة وفي اوائل عهده بالمدينة المنورة ، بتثبيت الايمان ، في النفوس المهياة والقلوب الصافية ، على ارض صلبة ، تجابه التحديات ، وتتحمل الهزات ، دون ان تلين لها قناة ، ولو ادى الامر الى التضحية بكل مرتخص وغال ، اتجه الرسول صلوات الله وسلامه عليه الى ان يبنى الشخصية الاسلامية الجماعية ، وان يبرز الاسلام في الجماعة ، وكان من مقومات هذه الشخصية واركانها صوم رمضان المبارك ، وما احاط بهذا الصوم ، من تلاوة القرآن الكريم ، وقيام رمضان ، وسمات الجود والاحسان .

وكان صلى الله عليه وسلم ، يلقى جبريل عليه السلام في رمضان كل ليلة حتى ينسلخ ، يعرض النبى عليه القرآن (١) ، فكان ذلك للمسلمين سنة مرعية ، وطريقا محببة ، يقضي الصائمون فترة من اوقاتهم في تلاوة القرآن الكريم ، يتدبرون آياته ويأخذون العبرة من قصصه واحداثه .

ويقومون ليالى رمضان حرصا على رضا الله ، واسوة بقول الرسول الكريم : « من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » (٢) .

ويتصفون بسمات الجود والاحسان ، اقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام ، الذى كان اجود الناس بالخير ، وكان اجود ما يكون في رمضان (٣) .

ويتسابقون لتادية الزكوات ، ويتنافسون في زيادة المبرات والخيرات ، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : اى الصدقة افضل ؟ فقال : « صدقة في رمضان » (٤) .

وقال ايضا : « من فطر صائما كان له مثل اجره ، غير انه لا ينقص من اجر الصائم شيئا » (٥) .

فكانت خصال الجماعة الاسلامية في هذا الشهر المبارك :

١ ــ امتناع عن تناول المفطرات والمشتهيات
٢ ــ تلاوة القرآن الكريم
٣ ــ قيام رمضان
٤ ــ تسابق في البذل والاحسان
٥ ــ التزام بآداب الاسلام

تلاحظ هذا كله في الجماعات الاسلامية ، سواء كنت في ظل حكومة

الإسلامية

في شهر رمضان المبارك

اسلامية ، او بين فئات الاقليات الاسلامية فى أى حكم اجنبى ، حيثما ذهبت واينما اتجهت .

• • • • • •

ثورة الجماعة على من يثلم شخصيتها

ومن اجل هذا تثور الجماعة الاسلامية ، حينما ينقض شعارها ، او تثلم شخصيتها ، من اولئك الذين يخرجون على الجماعة ، ويتحللون من خصائصها ، لان فى ذلك هدما لكيانها ، وقضاء على شخصيتها .

ومن هذا المنطلق تنقم الجماعة على الخنافس والهبيين وامثالهم ، الذين ينساقون وراء الاخرين ، فى مظاهر مخزية ، او شعارات زائفة ، لا تلبث ان ينجلى سخفها وتفاهتها .

• • • • • •

الجماعة الاسلامية حريصة على الاحتفاظ بشخصيتها

ان الجماعة الاسلامية حريصة على الاحتفاظ بشخصيتها ، لا احتفاظ المتزمتين ، ولا التزام الحرفيين ، ولا تقعر المتفيقهين ، ولا تطاول المتشدقين ، وانما احتفاظ المدركين الواعين ، والتزام المؤمنين المتقين ، الذين يردون عن الاسلام العاديات ، ويجردونه من البدع والخرافات ، وينقذونه بتضحياتهم فى الشدائد والأزمات ، ويعيدونه كما كان ينبوعا لكل خير ، ومصدرا لكل مكرمة .

ففى صلاته تهذيب ينهى عن الفحشاء والمنكر ، وفى صيامه انصراف الى اعالى الامور واحاسنها، ورفعة بالنفس الانسانية عن الدنايا والسفاسف ، وترفع عن المادة المطغية المفسدة ، الى الروحانية المصلحة المهذبة ، حتى يلتحق ركب الجماعة الاسلامية في هذا الشهر المبارك ، بركب الملائكة الاخيار ، والنساك الابرار الاطهار ، الذين يتجردون لعمل الخير وخير العمل ، ويتمثلون فى مسراهم وممارستهم بقول الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم : ((خير الناس انفعهم للناس)) (٦) .

وقوله : ((الصيام جنة ، فلا يرفث ولا يجهل ، وان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل انى صائم)) (٧) .

• • • • • •

الجهاد فى رمضان

واذا كان فى رمضان تبرز الشخصية الاسلامية فى الصيام وتلاوة القرآن ، وممارسة الجود

والاحسان ، فان فى رمضان تبرز الشخصية الاسلامية أيضا فى الجهاد فى سبيل الله ، كما وقع فى غزوة بدر الكبرى ، للحفاظ على الدعوة الاسلامية ، وتفتيت كل العقبات فى سبيلها ، وتذليل كل الصعاب من طريقها ، حتى تصبح الدعوة طليقة فى جداولها ، منسابة فى طرائقها ، تغزو القلوب بنورها ، وتستقر فى النفوس ثابتة فى جذورها ، تحوطها قوة المؤمنين ، وإعداد المجاهدين ، وصبر المرابطين ، ولا يخيفها قوة العدو مهما كانت عظيمة ، ولا يمنعها من الاقدام والجهاد أعداد للعدو مهما كانت وفيرة ، لأن للايمان قوة لا تبارى ، وللروحانيات المستندة للإعداد هيمنة لا تجارى .

* * * * * *

الفتح الاعظم فى رمضان

واذا برزت الشخصية الاسلامية فى رمضان بغزوة بدر الكبرى ، وما نفحت من معان سامية ، وما أعطت من دروس للمسلمين ، أبد الدهر ، فى الثبات والصبر والايمان ، فان الشخصية الاسلامية الجماعية برزت فى رمضان ، بالفتح الاعظم والنصر الاكبر يوم قاد الرسول جحافل المسلمين نحو مكة ، لتحطيم الاصنام الحجرية والبشرية ، والقضاء على بقايا العصبية القبلية والعشائرية ، ولرفع منارة التوحيد ، واعلان العدالة فى اسمى صورها والتضحية فى اكمل مظاهرها ، وقد اعلنها رسول الله مدوية : « وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » (٨) .

وتتجلى حينئذ عظمة الشخصية الاسلامية متمثلة بخلق نبى الاسلام ، عقب النصر المؤزر على اهل مكة الذين اخرجوه وقاوموه ، حين قال لهم : ما تظنون انى فاعل بكم ؟ قالوا خيرا ، اخ كريم وابن اخ كريم ، فقال: اذهبوا فانتم الطلقاء . هذا وذاك غاية السمو الانسانى والرحمة الشاملة والخلق الرفيع .

وبعد

فان رمضان لم يكن شهر الانقطاع والاسترخاء ، ولا شهر الاستسلام والاستخذاء ، فانه رغم ما فيه من صيام وقيام وجود واحسان ، فان فيه تلاوة القرآن ، الذى يقضى على المسلمين بان يكونوا سادة أعزة ، « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » (٩) . ويقضى على المسلمين بان ياخذوا حذرهم ويتاملوا فى مصيرهم : « يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا » (١٠) ويستلزم ممارسة ما تهدف اليه الآيات الكريمات .

« يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم . واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » (١١) .

* * * * * *

ايها المؤمنون الصائمون :

شهر رمضان اختص الله به عباده المؤمنين ،ليظهروا شخصيتهمويبرزوا خصائصهم ، ويحرصوا على مميزاتهم ، فى ايمان المتقين وصفاء الابرار العاملين ، وثبات المرابطين والمجاهدين ، الذين لا يقبلون هوانا ومذلة ، ولا تخاذلا واستكانة ، ويعلمون ان رضا الله فى الحرص على تعاليم الله ، والعمل على اعزاز دين الله ، والحفاظ على مقدسات

الاسلام ، ويصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب .

وان العبادات لا تقصد لاشكالها وصورها ، وانما تقصد لما تهدف اليه من تهذيب نفسى وصفاء روحى ، وقد قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ((ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ، ولكن انما ينظر الى قلوبكم واعمالكم)) (١٢) . وقال ايضا : ((من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى ان يدع طعامه وشرابه)) (١٣) . وقال ايضا : ((كم من صائم ليس له من صومه الا الظما ، وكم من قائم ليس له من قيامه الا السهر)) (١٤) .

فاين انتم ايها الصائمون من تحقيق ما هدف اليه تشريع الصيام ، ودياركم المقدسة مستباحة ، وقدسكم واقصاكم ومقدساتكم تئن من الاسر والتشويه والحفر ،والنساء والاطفال والشيوخ تستغيث ولا مغيث ، وتستصرخ ولا مجيب ، وفي موقعة عمورية ، تعرضت امراة واحدة للانتهاك والاذى ، فاستغاثت بامير المؤمنين ، من مسافات شاسعة ، فما كان منه الا ان جرد جيشه ، وعمل على اغاثتها ، فكان ذلك اعزازا للاسلام ، ورفعا لراية الايمان ، وحرصا على القيم والمقدسات ان تدنس أو تمس بالاذى .

قال تعالى : ((وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان)) (١٥) .؟

ايها المؤمنون :

ما بالكم قد غفلتم عن واجباتكم ، واعرضتم عن حماية دياركم ومقدساتكم ، واضعفتم صلاتكم بالله واستكنتم الى الراحة ومتع الدنيا وشهواتها ؟ .

فهل يكون هذا الشهر العظيم مباركا باحيائكم معانى الاسلام فى نفوسكم وجماعتكم ، وابراز شخصيتكم واعمار قلوبكم بالايمان والاتساء بخير ولد عدنان ؟

وهل يكون هذا الشهر العظيم مناسبة لتحريك الهمم والشعور بالمسؤولية الملقاة على عاتق الفرد والجماعة فى جمع شتات المسلمين ليدفعوا عن هذا الدين العظيم ما احاط به من الشرور والفتن ويعملوا على انقاذ وطن الاسلام ومقدسات الاسلام وشرف الاسلام ، من المؤامرات التى تحاك خيوطها فى ظلمة الليل ووضح النهار ؟ .

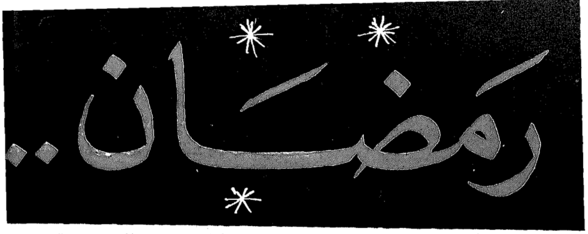
* * * * * *

ايها المسلمون الصائمون :

اذا لم تتحركوا دفاعا عن مقدساتكم ومبادئكم الاسلامية ، فهبوا جميعا للدفاع عن وجودكم وكرامتكم ، ومصادر رزقكم ، واعتبروا هذا الشهر شهر الجهاد بانواعه واقسامه ، عسى ان يشملنا الله برحمته ، ويحوطنا بعنايته ، وينقذنا مما الم بنا من نكبات وويلات، ويتقبل منا ما نقدم من صوم وقيام ، وبذل واحسان ، وعمل الخير فى كل ميدان ، وحينئذ نرجو ان نكون من الفائزين .

---

١ ــ البخارى
٢ ــ البخارى
٣ ــ البخارى
٤ ــ البخارى
٥ ــ البخارى
٦ ــ الطبرانى باسناد جيد
٧ ــ البخارى
٨ ــ آية ٨١ ــ الاسراء
٩ ــ آية ٨ ــ المنافقون
١٠ ــ آية ٧١ ــ النساء
١١ ــ آية ١٠ ــ ١٣ ، الصف
١٢ ــ مسلم
١٣ ــ البخارى
١٤ ــ الدارمى باسناد جيد
١٥ ــ آية ٧٥ ــ النساء



للدكتور وهبه الزحيلى

لقد ثبت لى بالتجربة والبرهان القاطع ان النظرة الى الحيـاة من زاوية واحدة ولفترة محدودة ، واهمال التخطيط الشامل وعدم الاعتبار العام بالماضى ، وترك العمل الكلى للمستقبل ، هو آفة تخلف المسلمين وضعضعة وجودهم فى الوقت الحاضر ، مع ان الاسلام وبقية الأديان الحقة هى ادل شيء للانسان على اهمية التخطيط فى الحياة كلها ــ حياة الفرد والجماعة ، حياة الدنيا والآخرة ، لوجود عقيدة البعث والحساب والمسئولية فيها ..

وان اغلب ما نشاهد من وقائع التعثر والاضطراب والفشل والخيبة فى مشاريع الانسان مرجعه النظرة الجزئية للواقع ، والاهتمام بشؤون العيش المؤقت ، وعدم التدبر والتقدير لمستقبل الأيام الحوالك .

لذا كان لزاما على كل مسلم ان ينظر الى الحياة نظرة شاملة لان حيـاة الانسان كل لا يتجزأ ، ووسائل اسعاد الحياة ومن اخصها الدين كل لا يتجزأ ايضا .. ومن الضرورى ان تتلاحم الجهود المادية لاكتساب سبل المعيشة مع نواميس الأخلاق والفضائل ومتطلبات الدين الخالد والاعتبار بما فى عالم الآخرة من أهوال ومسئوليات عديدة .

واذا توفرت مثل هذه النظرة الكلية الى الانسان والكون والحياة وعالم الشهادة والغيب ، توفر بالتاكيد شطر الجهد الانسانى ، وهانت الحياة ، وزالت العقد المستعصية لدى الكثيرين ، وتبددت كل المشاكل الشخصية والاجتماعية ، واستؤصلت الأمراض العصبية ، واتصلت آفاق السعادة ، وتعاقدت سحب الخير على الإدرار ، ودام العطاء الالهى الذى لا ينضب بحره ولا تفنى مدخراته ، مع تهيئة أسبابه ووسائله .

وهكذا الأمر بالنسبة لرمضان بين الشهور ، وبما فيه من تكاليف شخصية واجتماعية بين فرائض الاسلام ، فرمضان سيد الشهور ، ولكنه لا ينقطع عن بقية اجزاء العام ، بل الحياة كلها ، والصوم لا ينفصل عن سائر مطالب الاسلام ، وان كان ذا دلالة موجهة نحو الخـير ، أو هو فى الواقع جامع لكل معـانى الاسلام .

فمن فضائل رمضان انه محرك للهمم ، مثير للبواعث الانسانية الشريفة ، شاحذ للعزائم نحو الطاعة بدليل ما نلاحظ من كثرة وفود المصلين الى المساجد ، والاقبال على مدارسة القرآن ، وحضـور مجالس العلم ، والتطوع بالقربات البدنية والمالية ، وسخاء النفس وسماحة اليد وبسط الوجه ونحو ذلك مما للصوم من تأثير فى اثارة المشاعر الخيرة والعواطف الصادقة والاحاسيس النبيلة ، وتذكير الانسان بواجبات مختلفة ، بسبب حرمان النفس طيبات الحياة وملاذ المعيشة واهواء النفس ، فهذا الحرمان المادى من الطعام والشراب والمتع المباحة يرشد الى معان عميقة ، اذ ان « المحسوس يدل على المعقول » كمـا يقول المناطقة .



الا أن ازمة تحصل وعقدة نقص تبرز بعد انتهاء صوم رمضـــان ، فتقع مشـــكلة خطيرة تتجلى في التخلى عن مكاسب رمضان ومعطياته ، واهمـــال الواجبات الدينية ، والتقصير في اداء كثير من تكاليف الاسلام الضرورية ، مع ان الدواعي قائمة ، والحاجة متوفرة ، والثمرة لا تحلو تماما اذا تعجل الانسان قطافها ، وقطعها عن اكمال نضجها ، واعطاء فوائدها المرجوة في مســـيرة الزمن الطويلة ، وان الله تعالى يحب ان يعبد في رمضان وفي غير رمضان ، وهو حي باق دائم يراقب تصرفات عبـــاده في كل زمان ومكان ، حتى تؤدى رسالة الله في الخلق من دون قطيعة أو هجران او سام ، ولكي تحصل المصالح للانسان على وجه أتم ، قال عليه السلام : ((حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات)) ، ولقد أعد الله تعالى للطائعين اطاعة كاملة في الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، قال شيخ الاسلام عز الدين ابن عبد السلام ((فسبحان من لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا تضره معصـــية العاصين ، وانما نفع الطاعات لأربابها ، وسوء المخالفات لأصحابها ، والقلوب معادن الخواطر والكفر والايمـــان ، والعزوم والارادات ، والبغض والحب ، والطواعية والاباء ، والمعارف والأقوال ، وكذلك استحسان الحسن ، واستقباح القبيح ، وكذلك الظنون الصادقة والكاذبة)) .

فبالصيام يتزود الصائم المؤمن من الحصانات المانعة عن محارم الله ، والتزام حدود الله واحكام شرعه زادا كافيا ينفعه في بقية السنة كلها ، فترغب نفسه في الطاعة ، وتعرض عن المعصية ، لذا قال تعالى : ((وان تصـــوموا خير لكم ان كنتم تعلمـــون)) وعلل سبحانه الأمر بفرضية الصـــيام بقـــوله : ((لعلكم تتقون)) قال في تفسير المنار : هذا تعليل لكتابة الصيام ببيان فائدته الكبرى وحكمته العليا ، وهو أنه يعد نفس الصائم لتقوى الله تعـــالى بترك شهواته الطبيعية المباحة الميســـورة امتثالا لامره ، واحتســـابا للأجر عنـــده ، فتتربى بذلك ارادته على ملكة ترك الشهوات المحرمة والصبر عنها ، فيكون اجتنابها ايسر عليه ، وتقوى على النهوض بالطاعات والمصالح والاصـــطبار عليها ، فيكون الثبات عليهـــا اهون عليه ، ولذلك قال صلى الله عليه وســـلم ((الصيام نصف الصبر)) ـــ رواه ابن ماجه . وقال الشيخ محمد عبده : ان معنى (لعل) الاعداد والتهيئة .

فغاية الصوم اذآ اعداد نفوس الصائمين لتقوى الله تعالى طيلة العام والعمر كله بتكرر وجوده سنويا ، وتحصين النفس بخشية الله عز وجل في السر والعلن ، وهذا يعود بأطيب الثمرات اليانعة على النفس الانســـانية وحدها ، واما مشرع الصوم فهو غنى عن العالمين ، ولا تعود العبادة عليه باى مردود نفعى كما ابنا .

ويمكن أن تنحل عقدة النقص والتقصير في القيام بواجب الصوم وبقية فرائض الاسلام بادراك الهدف العام من الدين ، وبتمثل معانى رمضان التى ترمز لكل معانى الاسلام ، وبتقدير سماحة الاسلام ويسر احكامه وتجـــاوزه

المشاق التي يتضرر بها الانسان .

اما الدين فليس غلا او قيدا مضروبا على الأعناق او الأيدى ، وانما هو قانون منظم لعلاقات الناس الاجتماعية ، وواسطة فعالة لتقويم الطباع وتهذيب النفوس ، وتطهيرها من أدران النقائص والرذائل والشذوذات ، وحثها على التحلي بالآداب العالية والخلال الحسنة ، بل هو الوسـيلة الناجعة لتأمين مصالح الدنيا والآخرة ، وفض المنازعات والخصومات الناشبة باعدل المبادىء ، واحق الأحكام ، لانه صراط الله المستقيم ومنهجه القويم ، من تمسك به فاز ، ومن انحرف عنه خسر الدنيا والآخرة .

واما ان الصوم يرمز لمحتوى الاسلام كله ، فلأن في شهره المبارك نزل القرآن العظيم الذى يسعد البشرية جمعاء ، ولأن فيه ليلة القدر التى هي خير من الف شهر ، كما أنه شـهر الخير والتوبة والرحمة والمغفرة وزيادة الاجر والثواب ، وشهر الايمان والاحسان ، فيه تفتح أبواب الجنان ، وتغلق ابواب الجحيم ، وتصفد الشياطين ، أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا جاء رمضان فتحت ابواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين » ، وفي حديث سـلمان عند ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والبيهقي قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان قال : « يايها الناس قد اظلكم شهر عظيم مبارك .. وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار .. » الحديث .

ومن ابرز صفات صوم رمضان واخطرها انه جهاد صامت متروك لنفس الصائم لا رقيب عليه فيه الا الله تعالى ، وسر بين العبد وربه ، لا يطلع عليه احد غيره سبحانه ، مما يشحن النفس بطاقة داخلية قوية جدا من مراقبة الله تعالى والاعداد لتقوى الله التى تنفع المرء طيلة العام ، كما اشرنا . لذا كان الثواب عليه مفتوح الباب بقدر رحمة الله وقبوله ، روى البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال الله عز وجل : « كل عمل ابن آدم له الا الصوم ، فانه لى ، وانا أجزى به ، والصيام جنة — اى وقاية من المعاصي — » الحديث . وفي حديث لأبي أمامة عند النسائي وغيره قال : « اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، مرني بامر ينفعني الله به ؟ قال : عليك بالصيام ، فانه لا مثل له » . فالصـيام اذا اقوم طريق لتقوية الارادة ، وكبح جماح الأهواء والشهوات ، وضبط النفس ، وتعود الصبر ، قال عليه السلام في حديث سلمان السابق : « وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة » . وهذه المقومات تبرز أهم صفة في العبادة وهي الاخلاص الذى لا يشوبه الرياء ، وقصد وجه الله تعالى بالذات .

وكذلك كان شهر الصوم لدى اسلافنا العظام شهر الجهاد المسلح ضد الظلم والطغيان ، ففيه وقعت اكبر حوادث الاسلام الفاصلة مع الأعداء ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان غزوتين : يوم بدر والفتح ، فافطرنا فيهما » . ففي رمضان حدثت معركة بدر الكبرى التي فرقت بين الحق والباطل في السنة الثانية من الهجرة ، وحدث فتح مكة المكرمة الذى علا فيه مجد الاسلام وافلت فيه نجوم الشرك في الجزيرة في السنة الثامنة من الهجرة ، كما حدثت فيه معارك حربية اخرى حاسمة مثل موقعة عين جالوت التي قضت على اطمـاع التتر والمغول ، وخلصت العرب من شر مستطير سنة ٦٥٨ هـ .

وتتجلى صفة الاعداد والتهيئة في رمضان للعام والعمر كله انه يقوى الصحة ويخلص الجسد من كل عوامل الضعف الطبيعية ، روى الطبراني في

الأوسط من حديث ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((اغزوا تغنموا ، وصوموا تصحوا ، وسافروا تستغنوا)) .

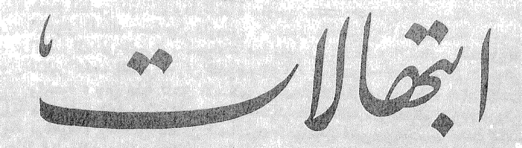
ومن اعداد الصيام للأمة وثمراته الاجتماعية تحقيق المساواة فعلا بين جميع الناس اغنيائهم وفقرائهم ، وتوحيد مشاعرهم ، واحساسهم بالرباط الأخوى الخالد فيما بين المؤمنين ، وتعود النظام فى المعيشة ، وضرورة الاشتراك فى السراء والضراء ، مما يفهم ان القوة مع الاتحاد والتعاون ، وان النصر حليف الصبر ، وان العزة والكرامة اساسهما التضحية والايثار والرحمة والمحبة ، وان غلبة الحق الاسلامى واندحار الباطل وتطهير المقدسات الاسلامية من رجس اليهود الأوغاد مرهون بالتزام طاعة الله ، واحترام حدوده ، واجتناب نواهيه ، والتخلق باخلاق الصائمين الحقيقيين التى من اخصها حفظ اللسان وغض البصر وتجنب الزور والبعد عن الخصومات والشحناء التى تضعف الأمة وتفرق الجماعات ، روى احمد والبخارى واصحاب السنن الا النسائى مرفوعا من حديث ابى هريرة : ((من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى ان يدع طعامه وشرابه من اجلى)) اى من أجل الله تعالى ، وروى النسائى وابن ماجه : ((كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش)) .

وفى الجملة ان للصوم فوائد كثيرة صحية واخلاقية واجتماعية ودينية معروفة يهمنا منها ما اشرنا اليه مما فيه صفة الاعداد والرمزية لمعانى الاسلام المنوه عنها بوصف رمضان بصفة (الخير) الجامعة لمقومات الاسلام : ((لو يعلم العباد ما فى رمضان — اى من الخير — لتمنت امتى ان تكون السنة كلها رمضان)) . ويحسم الرسول صلى الله عليه وسلم موقف الناس من رمضان فيقول : ((عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثة ، عليهن اسس الاسلام ، من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم : شهادة أن لا اله الا الله ، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان)) رواه ابو يعلى باسناد حسن .

فالصوم اذاً حد فاصل بين الايمان والكفر ، وعندها يدرك المقصرون المسلمون مدى الخطر الأعظم الذى يصيبهم بالتهاون فى اداء الصيام الذى تنطلق منه أو تتجسد فى عبادته اهداف الاسلام وغاياته الكبرى لترسيخ دعائم الحق والمحبة والخير والتسامح والجهاد والتضحية ، واقامة صرح الايمان الذى هو مجمع الفضائل ، وقوام الضمائر ، وعماد الحياة السوية ، وتبديد معالم الكفر الذى هو وكر الاضطرابات والفوضى ، ومنشأ الانحراف ، وسبب الحيرة واليأس والقلق والشقاء ..

واما ما قد يتذرع به المقصرون من وجدان المشقة فى الصيام ، فهو عذر مرفوض ، لأن دين الله واحكامه كلها يسر لا عسر ، وسهلة لا صعبة على من صحت عزيمته وصدقت نيته ، وحزم أمره ، وما قد يوجد من مشقة لاسيما وقت الحر ، فهو امر محتمل يقينا ككل ضروريات الحياة وكل الأعمال المعتادة التى لا تخلو من مشقة مألوفة تطيقها النفوس وتتحملها الأجساد ، ومثلها لا اثر له فى اسقاط العبادات والطاعات ولا فى تخفيفها ، لأنها لو اثرت لفاتت مصالح العبادات والطاعات في جميع الأوقات ، او فى غالب الأوقات ، ولفات ما رتب عليها من المثوبات الباقيات ما دامت الارض والسموات ، على حد قول العز بن عبد السلام .

فالمصلحة كلها فى اتباع شرعة الله ، والخير كله فى التزام أوامر الله ، والرباط الجامع بين الانسانية ومثلها العليا فى هدى الاسلام الذى يمثل هداية السماء وارادة الخير للبشرية فى صورته الأخيرة التى استوعبت خير ما فى الأديان السابقة ، وأنهت ما سوى ذلك مما لم يعد ملائما لتطور المدنية والحياة ، قال سبحانه : ((فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى)) .



ابتهالات

للأستاذ العوضى الوكيل

اليك الهى يرجع الأمر كله ... اليك متاب القلب قد شابه الندم

رب هب لى من نور ذاتك نورا ... واجل عنى الظلام والديجورا

واذا ما بلوتنى فاعنى ... ساعة الخطب كى اكون صبورا

واذا ما اصابنى فيض نعمى ... فاعنى لكى اكون شكورا

واعنى على التامل فى الكون ... لأدرى الجلى والمستورا

أى عذر لمن تامل فى الكو ... ن وامسى بمن براه كفورا

بك استعين ، ولا معيـ ... ـن سواك فى الخطب الملم

بك تستضىء مشاعرى ... فى كل ليل مدلهم

أسماؤك الحسنى تنيـ ... ـر جوانب الصبح الأحم

فاذا دعوتك ضارعا ... وجعلت هذا الشان همى

الفيت نورك مرشدى ... وهداى فى صحوى ونومى

واذا عزمت فباسمك الر ... حمن اشد كل عزمى

واذا رميت اصبت ... انى عن نداك السمح ارمى

يا خالــــق الاكـــوان نــور ك وحــــده بدرى ونجـــمى
يا واهـــــب الارزاق رز قك وحده ســـيفى وســـهمى

اذا طغى الليــــل واعيـــــاك الصــــباح وابتعــد
فانت والنجـــم البعـــــيد مضــــنيان من ســــهد
تغــــــالبان لوعة ، وتشـــــكوان من كبــــــد

فقـــل : هو الله احــــد وقل : هو الله الصـــــمد
ســــبحانه لا والـــد لـــه ولا لـــه ولـــد

اذا التـــــوى بك الطــــريق او اضــــلك الأمل
ولم تجـــد فى النـــــاس من يعين فى الخطب الجـــلل
وأدبر الصـــــديق عنـــك فى البـــلاء واعتزل

فقـــل : هو الله احـــد وقل : هو الله الصـــــمد
ســـــبحانه لا والـــد لـــه ولا لـــه ولـــد

اعنى على نجـواك يا بارىء النسم ويا مبدع الكون العجيب من العدم
ويا رازق الأطيـــار فى وكنـــاتها ويا ناظم الأفلاك من بين ما نظـم
ويا ملهم الطير المغنى غنـــاءه يســـبح للرحمن ان طار او جثم
ويا مجرى المـــاء الفرات جداولا ويا مالىء البحر المحيط الذى التطم
عليك حســـابى يوم لا شىء نافع سوى عمل يســمو لوجهك من امم
اليـك ايابى ، يوم تجزى بجنـــة وتجزى بنـــار من اناب ومن ظلم



للدكتور احمد الشرباصى

إن للتاريخ حرمة يجب أن تصان وترعى ، لأن التاريخ صورة الماضى امام الحاضر ، فإذا لم تكن روايته دقيقة امينة ، تبدلت المعالم ، وتشوهت الحقائق ، وجارت احكام المعاصرين على السابقين . وتزداد حرمة التاريخ جلالا ومكانة ، إذا كان يتعلق برجال ننظر إليهم بعين الاجلال والاكبار ، مثل صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، لأن هؤلاء كانوا النماذج العملية الحية لتطبيق تلك الدعوة الاسلامية الكريمة ، بمعتقداتها ومبادئها وتعاليمها .

ومن واجب اهل الغيرة على الاسلام وتاريخ رجاله ان يسارعوا إلى التصحيح والتمحيص ، كلما راوا خطأ فى التاريخ الاسلامى ، أو تحريفا لأحداثه ووقائعه ، أو خلطا بين اخبار اعلامه وابطاله ، وهذا فيما أعتقد فرض كفاية على ابناء الاسلام ، إن قام به البعض سقطت التبعة عن الباقين ، وإن لم يتحقق ذلك اشترك الجميع فى التبعة والإثم .

اقول هذا لأننى تناولت المجلد الرابع من « دائرة المعارف » التى تصدر فى بيروت باشراف الأستاذ فؤاد أفرام البستانى ، وقد وجدت فى الصفحة الرابعة والسبعين بعد المائة من هذا المجلد ترجمة تحت عنوان : « أبو امامة الباهلى » . وقد جاء تحت هذا العنوان ما يلى بالنص :

« أبو أمامة صدى بن عجلان بن وهب الباهلى الصحابى ، من مشهورى الصحابة ، روى له خمسون حديثا ، روى عنه عدة من العلماء . قيل : وكان ممن بايع تحت الشجرة ، وشهد احدا ، وصفين مع على . سكن مصر ، ثم حمص ، وبها توفى سنة ٨١ هـ (٧٠٠) وقيل سنة ٨٦ . قيل : هو آخر من توفى من الصحابة بالشام . وذكر الهروى قبره فى كفر نفد من قرى حمص ، وقال : « والصحيح ان قبره بالبقيع ، وهو اول من دفن به ، وقيل عثمان بن مظعون أول من دفن به ، والله أعلم » ا هـ .

ومع أن الواجب فى دوائر المعارف أن تكون دقيقة المعلومات ، لانها من المراجع الأمهات ، ويشترك فى كتابة موادها عشرات من العلماء اصحاب

المكانة والشهرة ، تلاحظ أن الترجمة المكتوبة قليلة ضئيلة ، وفيها اكثر من خطأ ، وهي فوق هذا خلطت بين ترجمتين لاثنين من اعلام الصحابة ، أولهما أبو امامة صدى بن عجلان دفين الشام ، والآخر ابو امامة اسعد بن زرارة الانصاري دفين البقيع ، وبين الاثنين ما يقرب من ثمانين عاما في الوفاة ، فأسعد بن زرارة قد توفي في العام الأول للهجرة ، وصدى بن عجلان توفي في سنة إحدى وثمانين ، أو ست وثمانين للهجرة .

وذكرت الترجمة أن صدى بن عجلان روى له خمسون حديثا ، مع أن النووى فى « تهذيب الأسماء واللغات » أنه روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتا حديث وخمسون حديثا (١) .

وقالت الترجمة : « روى عنه عدة من العلماء » وكلمة « العلماء » هنا غير دقيقة ، والصواب أن يقال : « روى عنه جماعة من التابعين » كما ذكر ابن عبد البر فى « الاستيعاب » (٢) .

وقالت الترجمة : « قيل : وكان محمد بايع تحت الشجرة » . والتعبير بكلمة « قيل » يضعف الخبر ، مع أن ابن حجر قد قرره وذكر سنده وحديثه فى « الإصابة » (٣) .

ومن حقنا أن نتساءل : ماسر اقتصار الدائرة على الترجمة لأبى امامة صدى بن عجلان وترك غيره ممن عرفهم التاريخ الاسلامى بلقب « ابو امامة » ومنهم :

١ — ابو امامة اسعد بن زرارة الأنصارى البخارى المتوفى فى شوال على رأس تسعة أشهر من السنة الاولى للهجرة .

٢ — ابو أمامة إياس بن ثعلبة الحارثى الصحابى .

٣ — ابو امامة أسعد بن سهل بن حنيف ، التابعى المتوفى سنة مائة للهجرة .

٤ — ابو امامة التيمى التابعى ، الكوفى ، الثقة .

٥ — ابو امامة الانصارى ، الذى رآه الرسول فى المسجد ، وعلمه الدعاء المتعلق بقضاء الدين .

★ ★ ★

وما دامت « دائرة المعارف » قد خلطت بين ترجمتى « أسعد بن زرارة » و « صدى بن عجلان » فمن الخير أن نميز بينهما ، عن طريق الترجمة القاصرة لكل منهما ، على أن نبدأ بأسعد بن زرارة لأنه أسبق فى الوفاة .

أسعد بن زرارة : هو أول من أقام الجمعة بالمدينة ، الصحابى الجليل ابو امامة اسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن النجار الأنصارى ، وأمه هى سعاد بنت رافع بن معاوية ، ويقال انها تسمى « الفريعة »(٤) .

وكان يقال له : أسعد الخير ، وهو احد الشجعان الأشراف فى الجاهلية والاسلام . ويروى انه أول من أسلم من أهل المدينة ، فقد خرج إلى مكة قبل

---

(١) تهذيب الاسماء واللغات ، ج ٢ ص ١٧٦ طبعة المنيرية .

(٢) الاستيعاب على الاصابة ، ج ٢ ص ١٩١ .

(٣) الاصابة فى تمييز الصحابة ج ٢ ص ١٧٥ .

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ، ج ٣ ص ١٣٨ — القسم الثانى .

الهجرة ، ومعه ذكوان بن عبد قيس ، ليتفاخرا ويتنافرا ، فلما بلغا مكة سمعا بأمر النبى عليه الصلاة والسلام ، فأتياه فعرض عليهما الاسلام ، وقرأ عليهما مما نزل من القرآن ، فأسلما ونسيا المفاخرة والمنافرة ، وعاد ابو امامة مع صاحبه إلى (المدينة) ، فكانا اول من قدم إليها بالاسلام ،(١) . ويقول عمارة ابن غزية : « اسعد بن زرارة اول من أسلم من أهل المدينة »(٢) .

ولم يكتف ابو امامة بأن الله قد هداه سواء السبيل ، بل اراد ان يزداد من الخير ، فشارك فى جذب غيره إلى الاسلام ، فكان احد الستة الذين بايعوا الرسول بيعة العقبة الاولى(٣) ، وكان أحد الاثنى عشر رجلا الذين بايعوا النبى بيعة العقبة الثانية(٤) . وكان احد السبعين رجلا الذين بايعوا بيعة العقبة الثالثة(٥) .

وحينما بعث النبى صلى الله عليه وسلم اول مبعوث له الى المدينة ، وهو مصعب بن عمير ، انزله أبو أمامة فى بيته ضيفا عليه ، واخذ يطوف معه على اهل المدينة يمينا وشمالا ، يعرضان عليهم الاسلام ، ويحدثانهم عن الله تبارك وتعالى ، وظل مصعب فى بيت ابى امامة حتى لم تبق دار من دور الأنصار — تقريبا الا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات(٦) .

والحادث البارز فى سيرة اسعد بن زرارة هو انه كان اول من اقام صلاة الجمعة فى المدينة ، فى موضع يقال له « نقيع الخضمات » وهو من أودية المدينة ، على عشرين فرسخا منها ، وكان ذلك قبيل الهجرة ، ويروى أن ابا امامة اجتمع مع طلائع المسلمين فى المدينة فقالوا : إن لليهود يوما يجتمعون فيه ، هو يوم السبت ، وللنصارى يوم مثل ذلك ، وهو يوم الأحد ، فتعالوا فلنجتمع ، ونجعل لنا يوما نذكر الله فيه ونستذكر . فصلى بهم اسعد بن زرارة صلاة الجمعة ، وكانوا اربعين رجلا(٧) ، ولعل الرسول صلى الله عليه وسلم بعث إلى ابى امامة فأرشده إلى ذلك قبيل الهجرة(٨) .

ورضوان الله تبارك وتعالى على الصحابى الجليل كعب بن مالك ، فقد كان كلما خرج إلى صلاة الجمعة يترحم على اسعد بن زرارة ، ويدعو له كلما

---

(١) أسد الغابة ، ج ١ ص ٩٤ طبعة التعاون .
(٢) الطبقات ، ج ٣ ص ١٣٩ — القسم الثانى .
(٣) السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٢ ص ١٧٧ و ١٧٨ ، وأسد الغابة ج ١ ص ٩٥ .. وتاريخ الطبرى ج ٢ ص ٣٥٤ .
(٤) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٣٥٥ .
(٥) أسد الغابة ج ١ ص ٩٥ .
(٦) تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٣٥٧ و ٣٥٩ .
(٧) كتاب « يسالونك فى الدين والحياة » ص ٦٧ و ٦٨ .
(٨) أنظر التحفة اللطيفة للسخاوى ج ١ ص ٢٨٩ . والطبقات ج ٣ ص ١٣٩ — القسم الثانى .

سمع الأذان ، وقد سأله ولده عبد الرحمن عن ذلك فأخبره بأن سر ذلك هو أن أسعد كان أول من أقام الجمعة في المدينة(١) .

ويشـــاء الحكيم العليم أن لا تطول حياة أسعد بن زرارة بعد الهجرة ، فلم تمض إلا شهور حتى أصيب بمرض « الذبحة » أو « الشوكة » ، وحـــاول الرسول أن يعالجه ، ولكن قضـــاء الله نافذ ، وفوق تقديرنا لله تقـــدير ، ففي شهر شوال من السنة الأولى للهجرة ، وعلى حين كان المسلمون يعملون بجـد واجتهاد في إقامة مسجد الرسول بالمدينة ، لحق أبو أمامة أسعد بن زرارة بربه عـــز وجـــل ، وأقبل الرسول عليه فغسله وكفنه وصلى عليه ، فكـــان أول من صلى عليه النبى ، ودفنه في مقبرة « البقيع » ، فكان أول من دفن فيها كما يروى الأنصار(٢) .

وكان أبو أمامة قد أوصى ببناته إلى الرسول ، فجعلهم بين عياله ، يدرن فى بيوت نسائه ، وجاءت قبيلة بنى النجار إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام تقول له : يا رسول الله ، إن أسعد بن زرارة كان نقيبنا ، وكان منا حيث قـــد علمت ، فاجعل منا رجلا مكانه ، يقيم من أمرنا ما كان يقيمه .

فقال لهم : انتم أخوالى ، وأنا منكم ، وأنا نقيبكم(٣) .

فكان هذا منه تكريما لأسعد بن زرارة ، حيث يخلفه خير الناس رسول الله على قبيلة بنى النجار .

★ ★ ★

هذا بعض القول عن أبى أمامة أسعد بن زرارة رضى الله عنه .

فماذا عن أبى أمامة صُدَىّ بن عجلان رضى الله عنه ؟ .

هو الصحابى المشهور أبو أمامة صُدَىّ بن عجلان بن وهب بن والبة بن رياح بن الحارث بن معن بن مالك الباهلى السهمى ، وسهم بطن من باهلة ، وباهلة هم بنو مالك بن أعصر ، نسبوا إلى أمهم باهلة(٤) . يقول عنه النووى إنه من مشهورى الصحابة ، وروى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتا حديث وخمسون حديثا ، روى له البخارى منها خمسة ، ومسلم ثلاثة . وروى عنه رجـــاء بن حيوة ، وخالد بن معدان ، ومحمد بن زياد ، وسليمان بن حبيب ، وسليم بن عامر ، وشرحبيل بن مسلم ، وشداد أبو عمار ، وأبو سلام ممطور الحبشى ، والقاسم أبو عبد الرحمن الدمشقى ، وسالم بن أبى الجعد ، وأبو أدريس الخولانى وغيرهم(٥) .

وروى أبو أمامة صُدَىّ بن عجلان قال : لما نزل قول الله تعالى : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ... » قلت : يا رسول الله ،

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن كثير ، ج ٢ ص ١٨١ .
(٢) يروى المهاجرون أن أول من دفن فيها هو عثمان بن مظعون . الطبقات ١٤١/٣ القسم الثانى .
(٣) تاريخ الطبرى ، ج ٢ ص ٣٩٨ .
(٤) العقد الفريد ، ج ٣ ص ٣٠٠ طبعة التجارية .
(٥) تهذيب الأسماء واللغات ، ج ٢ ص ١٧٦ .

انا ممن بايعك تحت الشجرة . فأجابه الرسول قائلا : انت منى ، وأنا منك (١).
وتروى السيرة أن النبى صلوات الله وسلامه عليه ارسل كتيبة لتجاهد فى سبيل الله عـز وجـل ، وكان فيها ابو امامة صدى بن عجلان ، فذهب إلى رسول الله وقال : يا رسول الله ، ادع الله لى بالشهادة . فقال الرسول : اللهم سلمهم وغنمهم ! (٢)

من يدرى ، لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لأبى امامة مـع رفاقه هذا الدعاء ، ليبقى هذا العمر الطويل المبارك المحشود بالسعى والعمل والنضال ، فإن التاريخ يحدثنا بأن صدى بن عجلان قد عاش ما يقارب المائة ، أو يزيد عليها ، وصلوات الله وسلامه على نبيـه القائل : « خيركم من طال عمره وحسن عمله » .

وقد شهد ابو امامة الباهلى معركة « اليرموك » المشهورة ، مع عبادة بن الصامت (٣) . وكذلك وجهه يزيد بن أبى سفيان إلى أرض فلسطين ـــ ردها الله على العرب والمسلمين ـــ فقام أبو أمامة صُدَىٌّ بن عجلان بذلك (٤) .

ومما يدل على مكانة صدى أن سليمان بن حبيب المحاربى قال : دخلت مسـجد حمص ، فإذا مكحول وابن ابى زكرياء جالسان ، فقال مكحول : لو قمنا إلى ابى امامة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدينا من حقه ، وسـمعنا منه . فقمنا جميعا ، حتى أتيناه ، فسلمنا عليه ، فرد السلام ، ثم قال : إن دخولكم على رحمة ، وحجة عليكم ، ولم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم من شىء اشـد خوفا على هذه الأمة من الكذب والعصبية ، الا وإياكم والكذب والعصبية ، الا وإنه امرنا أن نبلغكم ذلك عنه ، الا وقد فعلنا ، فأبلغوا عنـا ما بلغناكم (٥) .

ومن الاحاديث التى رواها ابو امامة صدى بن عجلان ما رواه فضـال بن جبيرة ـــ أو فضل بن جبير ـــ قال : سمعت ابا امامة الباهلى يقول : سـمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اكفلوا لى بست اكفل لكم بالجنة : إذا حدث احدكم فلا يكذب ، وإذا أوتمن فلا يخن ، واذا وعد فلا يخلف ، غضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم ، واحفظوا فروجكم » (٦) .

ومن الاحاديث التى رواها صدى ايضا قول رسول الله عليه الصـلاة والسلام : « لا يعذب الله قلبـا وعى القرآن » والمعنى ـــ كما يذكر ابن الاثير فى النهاية ـــ اى عقله ايمانا به وعملا بهديه وامره ، وأما من حفظ الفاظ القرآن

---

(١) الاصابة فى تمييز الصحابة ، ج ٢ ص ١٧٥ .
(٢) المرجـع السـابق ، ص ١٦٧ .
(٣) تاريخ الطبرى ، ج ٣ ص ٤٠١ . وانظر تفاصيل الحديث عن معركة اليرموك فى كتاب « فدائيون فى تاريخ الاسلام ، ص ٢٥٩ ـــ ٢٦٧ .
(٤) تاريخ الطبرى ، ج ٣ ص ٤٠٦ .
(٥) أسـد الغـابة ، المجلد الثالث ، ص ١٦ طبعة دار الشعب .
(٦) المرجـع السـابق ، المجلد السادس ، ص ١٧ .

وضيع حدوده والعمل به ، فإنه لا يكون واعيا له كما أراد الحديث الشريف(١) .

وقـــد سكن صدى فى مصر حينا من الزمن ، ثم انتقل منها فسكن مدينة حمص من بلاد الشام ، وهناك فى الشام انتشر علمه ، وتلقى عنه أهـــل الشام مروياته فى الحديث ، وذاعت بينهم ، ولذلك يقول صاحب « أسد الغابة » فى ترجمته : « وكان من المكثرين فى الحديث ، واكثر حديثه عند الشاميين »(٢) .

وكان ابو امامة صدى بن عجلان من انصار الامام على رضى الله عنـــه وكرم الله وجهه ، وكان أبو أمامة فى جانب الامام على فى موقعة صـــفين التى وقعت أحداثها الدامية سنة ست وثلاثين للهجرة .

وطالت حياة صدى وامتد عمره ، حتى جاوز المئة بست سنوات ، وروى الذهبى مؤرخ الاسلام عن صدى أنه قال : « كنت يوم حجة الوداع ابن ثلاثين سنة » . فيكون عمره مائة وست سنين(٣) .

وفى رواية أخرى أنه مات وعمره إحدى وتسعون سنة(٤) .

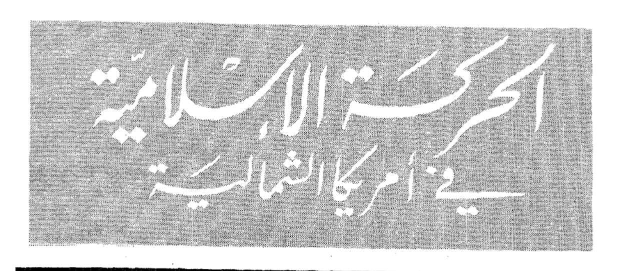
وكما اختلفوا فى عمره اختلفوا في سنة وفاته ، فروى أنه مات سنة إحدى وثمانين ، وهذه رواية « أسد الغابة » ، وروى أنه مات سنة خمس وثمانين وتلك رواية « العبر » ، وروى أنه مات سنة ستة وثمانين ، وقد جاء هذا فى « أسد الغابة » وغيره ، وروى أنه مات سنة سبع وثمانين ، وتلك روايـــــة « البداية والنهاية » لابن كثير(٥) .

وقد رووا انه كان آخر من توفى بالشـــام من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم اختلفوا فى هذا أيضا ، ولذلك يقول صاحب « أســـد الغابة » عنه : « وهو آخر من مات بالشـــام من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى قول بعضهم » ، وإنما قال هذا لأن هناك رواية أخرى تقول إن آخر من مات من صحابة رسول الله فى الشام هو عبد الله بن بسر — أو بشر — رضوان الله على الجميع(٦) .

ودفن أبو أمامة صدى بن عجلان الباهلى فى قرية « كفر نفد » وهى من قرى حمص فى بلاد الشـــام ، رضوان الله تبارك وتعالى عليه .

---

(١) النهاية فى غريب الحديث والاثر ، ج ٥ ص ٢٠٨ طبعة الحلبى .
(٢) أسد الغابة ، المجلد السادس ، ص ١٦ طبعة دار الشعب .
(٣) العبر فى اخبار من غبر ، ج ١ ص ١٠١ طبعة الكويت .
(٤) الاستيعاب على الاصابة ، ج ٢ ص ١٩١ .
(٥) انظر اسد الغابة ، المجلد الثالث ، ص ١٦ ، والعبر ، ج ١ ص ١٠١ . والبداية والنهـــاية ج ٩ ص ٧٣ طبعة الســـعادة .
(٦) الاستيعاب على هامش الاصابة ، ج ٢ ص ١٩١ .



ماضيها وحاضرها والضرورة الماسة

اولا : مقدمة عن أمريكا وسكانها :

امريكا بلاد واسعة شاسعة ، غنية بمعادنها وخصوبة أرضها وسائر موارد الثروة بها ، وتسمى بالعالم الجديد لأن العالم القديم لم يعرفها الا منذ وصل اليها (كرستوفر كولومبوس) فى عام ١٤٩٢ « العام الذى طرد فيه المسلمون من اسبانيا بالأسف طردا نهائيا » ، ثم تبع ذلك رحلات عديدة أدت الى التأكد من ان ما اكتشفه كولومبوس ومن تلاه لم يكن الساحل الغربى لشبه القارة الهندية كما كانوا يظنون أول الأمر ، بل كان الساحل الشرقى لقارتين أخريين ، أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية .

وقد أقبل المغامرون من بلاد غرب أوروبا على الهجرة الى العالم الجديد تدريجيا ونشأ عن ذلك قيام دول عديدة فى العالم الجديد ، اهمها الولايات المتحدة وكندا فى أمريكا الشمالية ، ويبلغ سكان الولايات المتحدة ٢.٥ مليون نسمة ، وسكان كندا ٢١ مليونا ، وعاصمة الولايات المتحدة مدينة (واشنطون) ولكن بها مدنا كثيرة يبلغ عدد سكان كل منها الملايين مثل مدينة نيويورك وشيكاغو وفيلاديلفيا ولوس أنجلس وسان فرانسيسكو وديترويت وكليفلاند ومنيسوتا وهيوستون ، أما كندا فعاصمتها (أتوا) وبها كذلك مدن كبرى مثل تورونتو ولندن ويندزر بولاية (أونتاريو) .

ولقد كانت الحياة لأفواج المهاجرين الأولين شاقة للغاية ، حيث تعرضوا لمختلف الأجواء والعواصف الثلجية وأمواج الحرارة والطبيعة القاسية المريرة دون ان يكون لديهم فى ذلك الوقت المبكر من الوسائل العلمية ما يخفف من حدة الطبيعة وغوائلها ، فتعرضوا للأمراض الفتاكة ، ولقى الكثير حتفهم ، ولكنهم

للدكتور محمد عبد الرؤوف



كانوا مكافحين مغامرين فنتج عن جهودهم وكفاحهم المرير تدريجيا التقدم العلمى والاكتشافات المختلفة التى خففت على السكان الكثير من قسوة الطبيعة ، وجعلت من المدن الامريكية ومنازلها وطرقها وسياراتها وقاطرتها وطائراتها وما زود به كل من هذه الوسائل من عوامل الراحة والتخفيف والتيسير ما جعل الحياة بأمريكا نموذجا للحياة الطيبة الكادحة الناجحة .

المهاجرون الأولون لأمريكا

كانت افواج المهاجرين الاولى وافدة من بلاد غرب أوروبا كما ذكرنا من قبل ، وقد قدموا بتجاربهم وتقاليدهم وحضارتهم وثقافتهم وأديانهم ، فكانت المسيحية على مختلف مللها هى الدين الغالب على البلاد ، فبنيت الكنائس وشيدت الكاتدرائليات .

ولكن هؤلاء المهاجرين الأولين الذين استقروا بأمريكا لمسوا الحاجة الى اليد العاملة لتساعدهم فى فلاحة الأرض فجلبوا الملايين من بلاد غرب افريقيا واسترقوهم واستخدموهم كالانعام وقطعوا الصلة بين أجيالهم وماضى أسلافهم ، وكانت معاملة الرجل الأبيض لهؤلاء الملونين الافريقيين بأمريكا أقسى معاملة للعبودية فى التاريخ ، مما نجد اثره اليوم فى كراهية الزنوج الامريكيين للعنصر الاوروبى الأبيض ومبالغة بعض زعمائهم فى تمجيد العنصر الأسود واحتقار من سواه ، وبهذه المناسبة نذكر أن الزنوج لا يحبون أن يطلق عليهم هذا الاسم ويؤثرون تسمية أنفسهم (الافريقيين الامريكيين) .

وبالاضافة الى العنصر الاوروبى الابيض الغالب بين الامريكيين والعنصر

الزنجي الاسود ، فقد هاجرت طوائف اخرى الى البلاد ، جاء بعضها من أمريكا الجنوبية ممن قدم من قبل من شبه جزيرة ايبيريا (البرتغال واسبانيا) ، كما قدمت افواج من الصينيين واليابانيين وأفواج من بلاد شرق اوروبا ، ومن أهم هؤلاء اليهود الذين جاءوا افواجا وكونوا لأنفسهم تجمعات محلية فى مختلف المدن الصناعية الكبرى واسسوا معابدهم وعملوا على تنمية ثرواتهم واعداد ناشئتهم وتوحيد صفوفهم حتى أصبح اليهود اقوى عنصر فى سكان الولايات المتحدة اقتصاديا واعلاميا وسياسيا .

وعلى حسب الاحصائيات الاخيرة يتكون سكان الولايات المتحدة كما يلى :

أوربيون :	١٧١ر٦	مليونا
زنوج :	٢٣	مليونا
يهود :	٦	مليون
صينيون ويابانيون :	٣/٤	مليون
هنود حمر :	١/٢	مليون

أما العرب فقد بدأت هجرتهم الى الولايات المتحدة فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر ، وقد طاب المقام لكثير منهم وغلب عليهم العنصر المسيحى بصفة خاصة ، وبالرغم مما يقال أن تعدادهم يبلغ المليون حاليا فليس لهم نفوذ واضح فى البلاد .

الهجرة الاسلامية

ثانيا :

وقد يتساءل : أين المسلمون اذن من هؤلاء .. ؟ ومتى وكيف حضروا الى هذه البلاد .. ؟

المرحلة الاولى : « العقد الأول والثانى من القرن الحالى » :

لم يبادر المسلمون الى الهجرة الى أمريكا قبل بداية القرن الحالى ، ويظهر أن ما أسبغ الله عليهم من بركات فى بلاد الاسلام ، ثم بعد أمريكا الشاسع عن بلادهم وأنه لا يتيسر للمسلم أن يعيش عيشة اسلامية كاملة بين أهلها من غير المسلمين قد صرفهم عن الهجرة أول الأمر ، ولكن بعد أن تيسرت وسائل السفر باختراع السفن التجارية عابرة المحيطات بدأ أفراد قلة من المسلمين فى السنوات الاولى من القرن الحالى يفدون فرادى الى شوطىء أمريكا ، وقد تفرق هؤلاء الأفراد فى البلاد ، ولم يعرف بعضهم الآخر فى أكثر الاحيان ، واشتغلوا بالارتزاق فى الغالب عن طريق التجارة المتواضعة المتجولة ، فكانوا يحملون بضائعهم ويمرون بها على المنازل ليعرضوها على سكانها ، وكانوا ينتقلون من بلد الى آخر ويلاقون فى ذلك الارهاق والشدائد ، وقد ذاب أكثر هؤلاء فى المجتمع الامريكى ، ولقى الكثير حتفه وَوُورى دون أن يدرى عنه أحد من اخوانه المسلمين الذين لم يكن لهم وحدة تجمعهم ولا مسجد يأويهم ولا عالم يرشدهم ، والقليل منهم من حرص على دوام الاتصال ببلده وتزوج من ذويه ؛ وبعض هؤلاء أمد الله فى عمرهم وكافأهم على كفاحهم فغدوا من أصحاب الثروات الطائلة وأسسوا عائلات اسلامية كريمة ، ولكن عدد هؤلاء من المسلمين قليل ويعد على أصابع اليد الواحدة .

المرحلة الثانية : « العقد الثالث والرابع من القرن العشرين » :

ثم حدث بعد الحرب العظمى الاولى أن سطع اسم أمريكا وازدادت سمعتها وكثر تبادل المصالح بينها وبين العالم الخارجى ومن بين ذلك بلاد العالم الاسلامى ، وعرف الناس عنها الحرية والعدالة وكثرت أبواب الرزق للمغامرين الكادحين ، فأغرى ذلك الكثير بالهجرة من شتى بلاد العالم الاسلامى ، كما حدا بالكثير من ضحايا الانقلاب الشيوعى فى روسيا من المسلمين الى الهجرة كذلك الى هذه البلاد ، وبعبارة أخرى بدأت الهجرة الاسلامية الى أمريكا تزداد بشكل محسوس فى العقد الثالث والعقد الرابع من القرن الحالى ، وساعد على ذلك تحسن وسائل السفر البحرية والجوية ، فتكونت بذلك جاليات عدة عربية وتركية وغيرهما فى عدد من البلاد التجارية والصناعية الكبيرة .

وفى أثناء الفترة المذكورة بدأ الاسلام يكسب أتباعا من بين السكان الامريكيين أنفسهم ، أما نتيجة الاتصال بالجاليات الاسلامية المهاجرة — ولكن كان هذا نادرا — وأما نتيجة جهود أفراد محليين وخاصة من بين الزنوج الذين وجدوا فى اعتناق الاسلام رجوعا الى دين آبائهم الذين جلبوا رغم أنفهم الى هذه البلاد واستعبدوا وتنصروا غير دارين عن دين أسلافهم وماضيهم ، قد سافر بعض هؤلاء قصدا أو وجد أثناء الحرب ببعض البلاد الاسلامية مثل المغرب وعاش بها فترة ، ثم عاد لينادى باعتناق الاسلام ، ولكن كان ادراك هؤلاء للاسلام سطحيا ، وكان حماسهم للدين مخلوطا بعواطف عنصرية وسياسية ، لذلك انحرف بعضهم فى اتجاهاته ، بل ادعى بعضهم النبوة لنفسه وخلط وزاد .

نشاة الجمعيات والهيئات الاسلامية فى هذه المرحلة

ونتيجة لزيادة عدد المسلمين فى العقدين الثالث والرابع من القرن الحالى عن طريق الهجرة وعن طريق اعتناق الاسلام وخاصة بين التجمعات الملونة قام عدد من الجمعيات الاسلامية ، اتخذت فى الواقع أشكالا وطنية بين المهاجرين ، وغلب عليها الخلط والانحراف بين الملونين المحليين ، فقامت جمعيات من العناصر التركية المختلفة المهاجرة من روسيا وبلاد أوروبا كان أهم نشاطها احياء الأعياد والمناسبات الوطنية والحفاظ على التقاليد القومية بين الناشئة ، وقامت جمعية الشباب العربى التى كانت ذات حساسية للحركات القومية وخاصة فى سوريا وبلاد شمال أفريقيا فكانت تؤيدها بشتى الوسائل ، كما قام عدد من النوادى بين المهاجرين كنادى الملايو وأندونيسيا فى نيويورك ، وكان هؤلاء على العموم يحيون بخاصة عيد الفطر وعيد الأضحى ، وكانت مناسبة العيد هى أهم عامل مشترك فى نشاطهم .

أما بين الزنوج فقد قامت جماعة اسلامية برئاسة (درو على) الذى زعم أنه من أصل عربى مراكشى بعد أن عاد من مراكش ، وأسس ما سماه (المعبد العلمى المراكشى) ولكنه خلط وأتى بكتاب صغير وسماه (القرآن) ، وبوفاته فى عام ١٩٣٠ تفرق أتباعه واعتنق الكثير منهم دين الاسلام الصحيح ، ولم يبق منهم على مبادئه حتى الآن الا نفر قليل ، كما قام بين الزنوج أيضا فى أعقاب تلاشى حركة (درو على) حركة أخرى تزعمها ولا يزال يتزعمها حتى الآن السيد (اليجة بول) الذى سمى نفسه (اليجة محمد) وزعم أنه نبى وأن الله أسود (أستغفر الله) وأن الرجل الأسود هو أصل العالم وأفضله ، وهو الله وخلق الله (هكذا !) فعمر الرجل الأسود ملايين السنين أما الرجل الابيض فقد خلقه رجل أسود شرير يسمى (يعقوب) قام بتجارب انسانية نتج عنها الرجل

القوقازى الأبيض الذى انتزع السلطان من الرجل الأسود وساده واستعبده ولكن الى حين ، وقد حان الوقت لبعث الرجل الأسود على الارض واستعادة مجده ، فالرجل الابيض مخلوق بيد رجل أسود لا بيد الله (هكذا !) وعمره ستة آلاف سنة فقط ، (والبعث) عنده معناه اعادة مجد الرجل الأسود على الارض ، وينكر أن يكون هناك بعث بالمعنى الذى نعرفه ويزعم أن الله نزل عليه عام ١٩٣٠ فى صورة رجل يسمى (فرد محمد) وعلمه الرسالة لمدة ٣ سنوات و ٤ أشهر وأنه هو سيد المرسلين وخاتمهم وأن رسالته استجابة لدعوة ابراهيم واسماعيل الواردة فى القرآن الكريم : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم (زنوج أمريكا) يتلو عليهم آياتك ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » وأى ضلال وخسران أشد واعظم مما كان عليه زنوج أمريكا ؟

يسمى السيد (اليجة محمد) جماعته (أمة الاسلام) ويسميها الناس هنا (المسلمين السود) ، ويؤدى ذلك الى خلط كبير فى تفهم حقيقة الاسلام ، ولكن من أفضل ما حققته هذه الحركة أنها انتشلت عددا كبيرا من المجرمين وخريجى السجون ومدمنى المخدرات وأصلحتهم ، فهى تحرم بشدة تعاطى المخدرات والدخان والخمور ، كما تشدد على الطهارة والعفة وتلزم النساء بارتداء ملابس بيضاء طويلة تغطى الرأس والبدن كله الى الارض ، وتعمل على اصلاح أتباعها ماديا وقد مضى على تأسيسها حاليا أربعون عاما ، وتعتبر أكبر واقوى حركة تستظل تحت اسم الاسلام فى أمريكا ..

والى جانب هذه الحركات الانحرافية بين الزنوج الذين نزعوا الى الاسلام كحركة تحريرية نجد غير قليل منهم ينزعون الى اتباع العقيدة الاسلامية السليمة والأخذ بتعاليمه الصحيحة والمواظبة على مراسيم العبادة من صلاة وصيام وزكاة وحج ، وقامت لهم جمعيات نشأ بينهم زعامات وأسست لهم مؤسسات ، وكان من بينهم أعداد مخلصون فى خدمة الله ودينه ، حريصون على الاستفادة والاستزادة والاسترشاد ، وكان من بينهم من خلط الى ذلك نوعا من التعصب ضد المهاجرين وخاصة من ينافسهم فى الزعامة الدينية ، ومن صفات بعضهم العنجهية والغرور والسفه فى بعض الاحيان .

المرحلة الثالثة : « العقدان الخامس والسادس من القرن العشرين » :

كان هذا هو الوضع عند قيام الحرب العظمى الاخيرة ، وكان من آثار هذه الحرب اختلاط أمريكا بالعالم الخارجى على نطاق أوسع وصحب ذلك تحسن كبير فى وسائل السفر وتقدم وسائل الاعلام مما أدى الى زيادة كبيرة فى أفواج المهاجرين من شتى البلاد الاسلامية كما ازداد عدد السفارات الاسلامية لدى الحكومة الامريكية باستقلال الكثير من بلاد العالم الاسلامى ، كما اتسع تبادل المنافع بين الحكومة والشركات الامريكية من جانب ، والبلاد والشعوب الاسلامية من جانب آخر ، ثم كانت الانقلابات الشيوعية فى كثير من بلاد شرق أوروبا مما أدى الى مزيد من الهجرة الاسلامية الى أمريكا من هذه البلاد .. كل هذا زاد فى عدد المسلمين المهاجرين كما زاد فى عدد المسلمين المحليين ويسر الى حد ما وجود المؤلفات الاسلامية الانجليزية فبدأ عدد الذين يعتنقون الاسلام يزداد ، ولكن سرعان ما قوى الشعور بتصور واضح ، فلم تكن هناك قيادة اسلامية رشيدة ، ولم تكن المؤلفات الاسلامية تفى بالمطلوب ، ولم يكن هناك بيت من بيوت الله يقصده المسلمون لأداء الشعائر وعقد الاجتماعات على الوجه المألوف ..

ادى ازدياد عدد المسلمين الى الشعور بهذا النقص وعظم احساسهم به خاصة عند الأزمات كالوفاة ، والمناسبات الخاصة كالزواج ، فأين من يستطيع القيام بمراسيم الجنازة .. ؟ وأين المسجد الذى يؤوى اليه .. ؟ وأين المقبرة الاسلامية ليدفن بها .. ؟ وأين المرشد العالم المؤهل ليعقد قران الشبان والشابات من المسلمين .. ؟

قيام المراكز الاسلامية اثناء هذه المرحلة

وقد قوى هذا الشعور بصفة خاصة لدى المهاجرين فى شتى المدن الصناعية والتجارية الكبرى فأدى الى الرغبة فى انشاء مؤسسات اسلامية تكون المهمة الاولى لها انشاء مسجد يؤوى المسلمين فى صلاتهم واجتماعاتهم ويعين له امام أو مدير من العلماء ذوى المؤهلات المعتمدة المعروفة ، وأسست جمعيات سمت نفسها فى الغالب (جمعية المسجد بمدينة كذا) ، حدث ذلك بصفة خاصة فى مدينتى نيويورك ، وواشنطون ، وتألفت كل جمعية من عدد من زعماء المسلمين المحليين من شتى الجنسيات ، وعملت كل منها على جمع التبرعات من بين المسلمين المحليين ومن الخارج اذا استطاعوا ، وأصبحت فكرة بناء مسجد حلما وهدفا لكل جمعية ، وكان أنجح هذه الجمعيات جمعية مدينة واشنطون بفضل ضم جهود السفراء المسلمين الى جهود الزعماء المحليين ، واثمر نشاطهم عن بناء مسجد ومركز اسلامى جميل للغاية فى مدينة واشنطون ، كما توجت جهود المسلمين فى نيويورك بشراء منزل صغير خصصت احدى قاعاته للصلاة ، كما قام مسجد بمدينة ديترويت ، ثم ظفرت بعض المؤسسات كالمركز الاسلامى فى واشنطون باعارة مدير من خيرة العلماء يشرف على أعمال المركز الادارية والدينية ، وأهم نشاط هذه المراكز الاسلامية ما يلى :

أ) جمع شتات الجالية الاسلامية فى المنطقة .
ب) توجيههم وتوعيتهم دينيا .
جـ) تيسير مكان للصلاة وخاصة لصلاة الجمعة واجتماعات أيام الآحاد وفى المناسبات .
د) تنظيم دروس دينية مناسبة للأطفال المسلمين أثناء عطلة الاسبوع .
هـ) تكوين فئة من المتطوعين لتجهيز الموتى من المسلمين .
و) العمل على توفير مقبرة خاصة لدفن المسلمين .
ز) الاجابة على الأسئلة التى ترد من شتى الجهات عن الاسلام وحضارته .
حـ) القاء المحاضرات عن الاسلام بدار المركز وخارجه .
ط) عقد قران المسلمين والفصل فى قضاياهم عند الاختلاف .

ولكن هل نجحت المراكز الاسلامية فى أداء رسالتها .. ؟ سنحاول معالجة ذلك فيما يلى :

المرحلة الرابعة : « العقد الأخير من القرن الحالى » :

اهم مظاهر هذه المرحلة ما يلى :

اولا : كثر عدد المهاجرين الى أمريكا وكذا عدد القادمين اليها من البلاد الاسلامية بصفة مؤقتة لغرض او لآخر كالعمل بالمؤسسات الدولية والسفارات والقنصليات الاسلامية والمكاتب التجارية ، أو للدراسة بجامعات أمريكا

ومعاهدها . وقد ازداد عدد المهاجرين بصفة خاصة من فلسطين عند قيام اسرائيل ، كما ازداد عدد القادمين من مصر بعد حرب عام ١٩٦٧ .

ثانيا : كثرت نسبة من يعتنق الاسلام من المحليين بصفة خاصة محسوسة واشتدت رغبة الكثير من القراءة عن الاسلام ومبادئه وتعاليمه ، وذلك بفضل مجهود بعض العاملين بالمراكز الاسلامية من جانب ، وبسبب كثرة الاحتكاك بين القادمين من المسلمين وجيرانهم من جانب آخر ، وبفضل رغبة الكثير من الملونين فى اعتناق الاسلام الذى يرون فيه رجوعا الى حضارتهم الاصلية .

ويقدر عدد المسلمين حاليا بأمريكا الشمالية بربع مليون نسمة ، ولكن لم يتم الى الآن للأسف عمل احصائية معتمدة عنهم ، لذا يدعى بعضهم أن عددهم اكثر من هذا بكثير ويزعم بعضهم أنه دون ذلك .

ثالثا : قوى الشعور بالحاجة الى ضم الجهود والعمل على مستوى الدولة ، لا على مستوى المدينة أو الولاية فقط ، فان نشاط المراكز الاسلامية — ما عدا المركز الاسلامى بواشنطن — يقتصر على العمل فى حدود المنطقة التى توجد بها غالبا ، وكان قد قام اتحاد بين الجمعيات والهيئات الاسلامية عام ١٩٥٢ ليضم جميع الجمعيات والمؤسسات الاسلامية بالولايات المتحدة وكندا ، فقوى نشاطه فى العقد الاخير ، كما قام فى عام ١٩٦٣ اتحاد جمعيات الطلاب المسلمين بالولايات المتحدة وكندا .

رابعا : كثر عدد الجمعيات الاسلامية بسبب وجود عائلات اسلامية بينهم الأطباء والمهندسون وذوو المهن المختلفة بكثير من المدن الصغيرة والكبيرة ، فكلما وجد عدد من العائلات انشأوا جمعية اسلامية وتطلعوا لبناء مسجد وشرعوا فى جمع التبرعات من شتى النواحى ، بل قد تجد فى المدينة الواحدة أكثر من جماعة اسلامية واحدة ، وقد يعكس ذلك مظهرا غير طيب ، أو قد يعنى تنافسا على الزعامة أو ميلا الى العنصرية ، ولكن لا بأس ، فمهما كان الهدف واحدا ولم تكن هناك خصومات فلا بأس بهذا التعدد اذ قد ييسر اقامة الشعائر فى أكثر من مكان واحد .

— ● —

وهنا يتكرر السؤال : الى أى حد نجحت هذه الجمعيات والمؤسسات والمراكز الاسلامية فى أداء رسالتها .. ؟

وقبل أن نجيب على هذا السؤال نود أن نوضح ما هو الوضع الحقيقى لهذه المؤسسات ، فأكثرها موجود على الورق ، ويجتمع أعضاء الجمعية فى بيت أحدهم ، وليس للجمعيات فى كثير من الاحيان مقر معين أو مكاتب ثابتة أو موظفون متفرغون مسؤولون ، لذلك نجد أن نجاح أى من هذه المؤسسات متوقف على نجاحها فى بناء مكان أو شراء منزل يكون مقرا لها ولنشاطها وتعيين موظفين ثابتين بها ، وأهم هذه المؤسسات التى نجحت فى هذا السبيل فاستطاعت أن تؤدى اكثر الخدمات على الاطلاق المركز الاسلامى فى واشنطون ، ثم يليه عدد من المراكز كذلك ، كبعض المؤسسات فى ديترويت وفى نيويورك وفى لوس أنجلس وفى سان فرانسسيكو ، كما أن لاتحاد الطلاب المسلمين نشاطا ملموسا ناجحا الى حد كبير بفضل عدد من المخلصين المضحين من الطلاب .

وأهم ما تحققه هذه المراكز والمؤسسات الاسلامية ، وعلى راسها المركز الاسلامى فى واشنطون ، ما يلى :

أولا : طبع المصحف الشريف ومعه ترجمة وتعليقات مفيدة باللغة الانجليزية وتوزيعه .

ثانيا : طبع بعض الرسائل المفيدة فى موضوعات اسلامية مختلفة وتوزيعها بالمجان .

ثالثا : تيسير بعض الكتب الاسلامية الاخرى المفيدة وبيعها تيسيرا للقارىء واستفادة مالية للمركز .

رابعا : توعية الألوف من الزائرين بفضل الاسلام وصلاحية مبادئه .

خامسا : الأخذ بيد الراغبين فى اعتناق الاسلام وتلقينهم الشـــــهادة وتسجيل أسمائهم ومساعدتهم بكل الوسائل المكنة .

سادسا : اعانة المسلمين على المحافظة على الشعائر واحيـاء المواسم الدينية واصدار تقويم سنوى به التواريخ الاسلامية ومواقيت الصلاة اليومية .

سابعا : اداء المحاضرات فى شتى الموضوعات الاسلامية وما له صلة بها فى أى مكان فى طول البلاد وعرضها .

ثامنا : عقد الزواج بين المسلمين .

تاسعا : العمل على فض المنازعات والصلح بين العائلات الاسلامية .

عاشرا : تنظيم دراسة اسلامية للاطفال المسلمين وتيسير كتب مبسطة تتناسب مع مستواهم .

حادى عشر : مواســـاة المنكوبين والاشراف على تجهيز الموتى ودفنهم بالمقبرة الاسلامية .

ثاني عشر : الرد على ما يثار ضد الاسلام من شبه واتهامات .

« ولا ننسى أن نشير فى هذه المناسبة بفضل تعاون الحكومات الاسلامية وبعض أعضاء الجالية الاسلامية من اهل الخير » .

لكننى أحذر القارىء من المبادرة الى التفاؤل ، فلا يزال هناك نقص كبير وأخطار عظيمة تهدد مستقبل الاسلام والمسلمين ، ولا أود أن أطيل على القارىء فأتحدث عن المشاكل والمصاعب الكثيرة التى تعتورنا وتضع العراقيل امامنا ، ولكننى سأقتصر على شرح مشكلتين جوهريتين ، وأرجو القارىء الكريم أن يضم جهوده الى جهودنا ويتعاون معنا من أجل وجه الله فى التغلب عليهما ، وهذا فى الواقع ما أهدف اليه من كتابة هذا المقال وتوجيه هذا النداء .

المشكلة الاولى : هى مستقبل الناشئة الاسلامية التى تتعرض للســـموم المغرضة والأهواء الالحادية ومساوىء البيئة البعيدة عن الاجواء الاسلامية .

سيصدم القارىء ــ كما صدمت ــ اذا سمع أننى كثيرا ما القى شبابا من أب مسلم أو أبوين مسلمين يذكرون فى جراة وصراحة أنهم من اتباع ملة أو أخرى من الملل المسيحية أو أنهم لا يلقون بالا للدين ولا يهمهم أمره ، وكل ما يعرفون أن آباهم مثلا كان مسلما ، وكثيرا ما اتعرف على مسلم مسن رق قلبه ويأسف

فؤاده ويتقطع كبده لأن ابنه او ابنته يتبع أو تتبع دينا آخر ، كل ذلك سببه اما عمل الأم غير المسلمة أو اهمال الوالدين اللذين شغلهما ويشغلهما الدولار والسعي وراء الرزق ، أما مدرسة العطلة الاسبوعية التى يعقدها بعض المراكز الاسلامية فانها لا تجدى الا قليلا ولا تسد الا فراغا يسيرا ، ان من يواظب على الحضور للمدرسة نسبة ضئيلة جدا من أولاد المسلمين نظرا لبعد المسافات ، ثم وقت الدراسة بها ساعة أو ساعتان اسبوعيا ، وأكثر من يقوم بالتدريس فيها من غير الضليعين فى الدين ، ثم ان الطالب لايمارس غالبا فى بيته ما يتعلمه فى مدرسة المركز مرة كل أسبوع ، وعلى هذا فان الآلاف من الناشئة الاسلامية ضائع ان لم يتداركهم الله تعالى وتتضافر جهود المسلمين لانقاذهم .

اما **المشكلة الثانية** : فهى أن وقت مدير المركز وجهده محدود ولا يتيسر له مجال الاطلاع على كل ما ينشر او يعرض أو ما يقال عن الاسلام كل يوم ، ويعلم القارىء أن الآلاف من المدن هنا تصدر صحفا محلية الى جانب الصحف الكبرى ، بل قد يوجد بالمدينة عدد من الصحف والمجلات ، وينشر يوميا عدد من الكتب قد يرد ذكر الاسلام فى كثير من صفحاتها ، كما أن لكل منطقة محطات اذاعية وقنوات تلفزيونية ، كما أن كثيرا من الافلام التى تعرض على شاشة المسرح أو على شاشة التلفزيون تتعرض للاسلام والمسلمين ، وهكذا يتغذى الملايين من الناشئة والشباب والكبار مما يكتب وما يسمع وما يشاهد كل يوم ، وفيه سموم وعدوان على الاسلام والعرب والمسلمين ، فمن أين لامام مرهق بأعمال ادارية ودينية واجتماعية يوميا أن يدرى عن كل ما يقال .. ؟ وكيف يتأتى له بجهده الضئيل المحدود أن يصل وحده الى هؤلاء الملايين من ضحايا الكيد للاسلام والمسلمين .. ؟

أيسوغ أن يسكت المسلمون فى شتى الاقطار عن ذلك ويتراخوا ويتركوا المجال مفتوحا على مصراعيه لعدو الدين اللئيم ومعه مقوماته وعدته وصحفه وخبثه .. ؟ أيليق بنا أن نصم آذاننا ويعكف كل منا على صالحه ويلقى الحبل على الغارب .. ؟ اننا مسؤولون أمام الله وأمام ضميرنا وأمام الأجيال ، الا قد بلغت ، اللهم فاشهد .. !

ولكن ما هو الحل الذى أقترحه لمواجهة هذه التحديات .. ؟

اولا : يجب فورا وبدون تمهل ، العمل على **انشاء مدرسة اسلامية داخلية كاملة** تزود الطالب بالدراسات الابتدائية والثانوية كلها بحيث تكون معتمدة من جانب السلطات التربوية الامريكية ، ويضاف الى برامجها الدراسات الاسلامية ولغات المسلمين من عربية وفارسية وتركية وملاوية واردية لمن يشاء من الطلاب ، على أن تنشأ المدرسة على مساحة واسعة فى ريف قريب من احدى المدن الهامة كمدينة واشنطون بحيث يتيسر بناء مساكن للطلاب والطالبات بها ومساكن للأساتذة والمدرسين من ذوى المؤهلات المعتبرة ، بالاضافة الى الفصول الدراسية وقاعات المحاضرات والمعامل ومساحات كافية للنشاط الرياضي للطلاب ، كما يجب أن تزود بمكتبة مناسبة .

بذلك يتيسر لأولياء الأمور الذين تفصل بينهم المئات والآلاف من الاميال من احضار أولادهم للمدرسة الاسلامية للاقامة بها اثناء الفصول الدراسية فى جو دراسى اسلامى ، على أن تنظم برامج الدراسة بحيث تتلاءم مع مواعيد الصلاة اليومية التى يجب أن ينشأ الطلاب على المواظبة على أدائها مع

اساتذتهم ، ويمرن الطلاب على مراعاة الشعائر الاسلامية ، وتنظم لهم برامج ثقافية فى أوقات الفراغ يشترك فيها ممثلون من مختلف الدول الاسلامية لتصل الطلاب ببلاد الاسلام وتقاليدها ، وبذلك ينشأ هؤلاء الطلاب فى جو اسلامى طيب ويرجى أن تبرز من بينهم قيادة اسلامية رشيدة بأمريكا نأمل ان يكتب الله على يدها صالح الاسلام والمسلمين فى شتى الأقطار .

ايعز على أمة الاسلام أن تنشىء مدرسة اسلامية على الوجه المذكور مهما تكلفت من ملايين الدولارات .. ؟ وهل يعلم القارىء أنه الى جانب المدارس الحكومية بأمريكا توجد مدارس خاصة لجميع الملل المسيحية واليهودية .. ؟ ومدارس خاصة للجاليات الصينية .. ؟ واليابانية .. ؟ والبورتوريكو .. ؟ كما أن جماعة السيد اليجة محمد الوارد ذكره أول المقال أسست مدارس خاصة فى كل فرع من فروعها لتعلم فيها مبادئه .. ؟

أما عن معالجة المشكلة الاخرى وهى ، ما يدعى ضد الاسلام ويرمى به المسلمون صباح مساء ، ففى رأيى أن من الضرورى **انشـــاء معهد للبحوث الاسلامية** يكون مقره مدينة نيويورك نظرا لزعامتها فى مجالات الصـــحافة والفن والنشر ، ويزود المعهد بعدد من العلماء المخلصين الضليعين فى اللغة ، على أن يزود هؤلاء بسكرتيرية شاملة وبكل ما يلزم من الأدوات ، وتكون مهمتهم متابعة ما ينشر وما يقال وما يعرض ، ثم تسجيل هذا كله وتبويبه وتحليله ورده الى أصوله ، ثم التعاون مع مؤسسات البحوث الاســـلامية فى العواصم الاسلامية كالقاهرة وكراتشى ومكة المكرمة فى معالجة هذه الاتهامات وصدها ، والعمل على تزويد القارىء والسامع والشاهد فى الغرب بالمعلومات الصحيحة عن الاسلام والمسلمين .

—— ● ——

« نداء الى العالم الاسلامى » : وان الضرورة الملحة الاولى والتى أهدف اليها من كتابة هذا هو **المبادرة للعمل على انشاء المدرسة الاسلامية** على الوجه الذى شرحته ..

لذلك أوجه نداء حارا متواضعا الى السادة ملوك البلاد الاســـلامية ورؤسائها والى السادة أهل الخير من ذوى الثراء ، والى كل من تحدثه نفسه أن يدخر لنفسه عند الله خيرا بالاســـهام فى مشروع من أجل المشروعات الاسلامية ، راجيا ان يتفضلوا فيبادروا بارسال ما تجود به نفوسهم الكريمة أو ما يزمعون التبرع به من نسبة التكاليف فور اتمام التصميمات الكاملة للمشروع وتقديرها ، على أن ترسل هذه الرسائل باسم المركز الاسلامى بمدينة واشنطون بالعنوان الموجود أعلى الصفحة الاولى .

وسنوف تعرض نتيجة هذا النداء ان شاء الله على السادة الســـفراء المسلمين وأعضاء مجلس الأمناء المشرف على المركز الاسلامى بواشـــنطون لتكوين لجنة مركزية عليا يضم اليها الأساتذة التربيون والمهندسون فى أمريكا لاعداد مشروع كامل للمدرسة وتخطيطه وتقدير تكاليفه ، ثم الاشراف على تنفيذه بطريقة تضمن ايرادا ثابتا للانفاق على المدرسة بعد انشائها لضمان قيامها برسالتها على الوجه المرغوب .

ايها القارىء الكريم

أرجو ان تحمل هذا النداء الى كل من تأمل فيه الخير والمعروف ، والداعى الى الخير كفاعله ، « والله يحب المحسنين » .





للدكتور : محمد سلام مدكور

ان شهر رمضان بين شهور السنة يوحى الى كل نفس مؤمنة بذكريات مجيدة عزيزة على النفوس .. ذكريات مليئة بمعانى الكفاح والصبر والعزم والتصميم ، ذكريات مليئة بمعانى جهاد النفس والجهاد فى سبيل الله ومقاومة البغى والعدوان فى كل صوره .. من مقاومة الشيطان ، ومن مقاومة العادات التى تتحكم فى الانسان ، ومن مقاومة أعداء الله فى كل مكان .. وقد شاءت حكمة الله سبحانه أن يجعل من شهر رمضان فى صدر الدولة الاسلامية شهر جهاد وكفاح وعمل دائب شاق ليبعد عن الأذهان أن الصوم يستلزم الراحة والكسل والاستكانة .. ففى شهر رمضان كتب الله النصر للمسلمين على أعدائهم فى عدة مواقع : منها أول موقعة حربية بينهم وبين المشركين ببدر ، ومنها كان أول نصر أعز الله به شأن المسلمين وجعل لهم كيانا سياسيا داخل المدينة وخارجها .. ومنها فتح مكة واستسلامها للمسلمين .. وقد آثرت أن أقدم لقرائى حديثا عن فتح مكة ليروا ما فيها من عظات وعبر ومن تخطيط حربى يدل على عبقرية ، وتدبير للأمور يدل على حكمة وبعد نظر .

كلنا يعرف أن محمد بن عبد الله صلوات الله عليه ولد بمكة ونشأ فيها ، وأنها بلد آبائه وأجداده ، كما نعرف أن سفارته عن ربه واختياره لتبليغ دعوة الاسلام ونزول الوحى عليه فى أول أمره كان بمكة ، وأنه صلوات الله عليه كان يتعبد بغار حراء بمكة بعيدا عن الناس وعن مظاهر الحياة . فهى من أجل هذا كله دون شك عزيزة على نفسه قريبة من قلبه فضلا عن أن بها بيت الله الحرام .

وكلنا يعرف أن قريشا عادته وقاومته وحاربته بكل الوسائل لما صدع لأمر ربه وأخذ يدعو الناس الى الاسلام واستجاب لدعوته لفيف من الناس ومن أهل مكة .. وكلنا يعرف أن قريشا لما آذت الرسول والمسلمين فى مكة أيقن عليه الصلاة والسلام أنه سوف لا يتمكن من اظهار كلمة الله وتبليغها للناس وهو بين هؤلاء القوم وهم على هذا العناد ، وأيقن أنه لا بد لحماية الدعوة من وجود قوة ومنعة لأن الحق والحرية يعيشان فى ظل النظام والقوة ، وأن نفاذ الأحكام لا يتأتى بدون سلطة ، ومن هنا كان التلازم فى الاسلام بين الدعوة الى الدين وقيام الدولة .. وكلنا يعرف أن الرسول عليه الصلاة والسلام اتخذ يثرب مقاما له وللمسلمين ، وجعلها نواة لتكوين دولة الاسلام فكانت مبدأ الوجود الدولى للمسلمين .

ومن الواضح البين أن دولة الاسلام لم تكن متطلعة الى سفك الدماء بالقتال والغزو ، وانما يدفعها اليه الدفاع عن نفسها وحماية الدعوة . فالرسول حتى بعد تكوين الدولة بيثرب ظل يدعو قومه بالحسنى ، وما كان القتال الا تطورا طبيعيا اقتضته الظروف التى أحيط بها المسلمون من أعدائهم ، ومع هذا فان الاذن لهم بالقتال كان مشروطا بعدم العدوان . اقرأ معى قول الله تعالى « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » وانظر قول الرسول صلى الله عليه وسلم لجنده وصحابته : « لا تمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية » وما جاء فى القرآن من آيات يفيد ظاهرها عموم القتال فان أسبابها تدل على تخصيصها بحالات رد العدوان ، ومع هذا فان الله يقول : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

وقد أشرنا الى أن أول صدام بين المسلمين فى المدينة وبين قريش هو معركة بدر وانها كانت فى شهر رمضان وفيها يقول الله سبحانه « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » . ثم كانت غزوة أحد التى مثلت فيها قريش بأسرى المسلمين وقتلاهم ، ثم غزوة الخندق ثم كان عهد الحديبية الذى تعاهد فيه الطرفان على وقف القتال بضع سنوات ، وأنه لا جناح على أية قبيلة فى أن تحالف أحد الفريقين . وحالفت خزاعة الرسول فعلا ، وحالفت بنو بكر قريشا ، وكان بين هاتين القبيلتين عداء قديم . ثم كانت غزوة (مؤتة) التى كانت تجاه الشام بين المسلمين وجيوش الروم بسبب قتل الروم المبشرين بالاسلام من أفراد المسلمين . وانتهت هذه الغزوة بانسحاب المسلمين من القتال لقلة عَددهم وعُددهم .

فرحت قريش لذلك واتخذت من انسحاب المسلمين هزيمة منكرة ، وتصوروا أن المسلمين لن تقوم لهم بعد ذلك قائمة ووجدوا أن هذه أنسب فرصة لنقض ما بينهم وبين المسلمين من عهد بوقف القتال . فحركت قريش بنى بكر التى دخلت فى حلفها ، يساندها نفر من شباب قريش للاغارة على « خزاعة » التى قلنا انها دخلت فى حلف الرسول ، فباغتوهم وقاتلوهم فقتلوا منهم نحو عشرين أو أكثر وفر منهم الباقون أمام المطاردة حتى دخلوا مكة . فشكوا لقريش نقض العهد ، واستصرخ عمرو بن سالم الخزاعى بالرسول فى المدينة قائلا للرسول عليه السلام :

إن قريشاً اخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا

فعجب الرسول من نقض قريش للعهد ، وأحس منها بنية الغدر ، وانها تقصد من وراء ذلك جس نبض قوته بعد الانسحاب من « مؤتة » واثر ذلك فى الروح المعنوية لجنود المسلمين . فرأى الرسول عليه الصلاة والسلام بثاقب نظره وبنور إيمانه أن خير رد على هذا الصنيع هو أن يباغتهم ويفتح مكـة نفسها التى تتوق اليها نفسه والتى هى معقل قريش ، وفى الحق إن نفسه قد تاقت من زمن بعيد أن تكون الكعبة فى ولاية المسلمين وحمايتهم ، غير أن أمله أن تدخل مكة فى الاسلام طوعا ودون إراقة دماء .

كانت هذه مجردافكارمرت بخاطر الرسول صلى الله عليه وسلم لما علم بما حدث . وقد عجب من صنيع قريش وسخر من تفكيرها وتدبيرها ولكنه لم يقل من ذلك شيئا وإنما قال : نصرت يا عمرو بن سالم . وفى رواية قـام يجر رداءه ويقول : « لا نصرت إن لم انصركم بما أنصر به نفسى » .

وأما قريش فقد احست بعد بخطل صنيعها وخطورة نتائجه ، وخاصة أن الدعوة الاسلامية انتشرت فى شبه الجزيرة ، كما عرفت قريش أن انسـحاب المسلمين فى موقعة « مؤتة » بقيادة خالد بن الوليد لم يكن نتيجة ضعف واستخذاء وإنما كان مهارة وحنكـة من خالد أملاه عليه عدم التناسب بين القوتين . وندمت قريش على صنيعها أو هكذا تظاهرت . ورأوا أن يرسلوا مندوبا عنهم ليلقى الرسول ، ويبلغه تمسكهم بعهد الحديبية ، ورغبتهم فى الابقاء على وقف القتال المدة المحددة بل ومد اجله إن امكن ، وتخيروا لهذه المهمة أبا سفيان بن الحارث صهر الرسول صلى الله عليه وسلم ووالد زوجته أم حبيبة .

وفى طريقه الى المدينة التقى بنفرمن خزاعة ممن وفـدوا على الرسول يستصرخونه ، وأحس منهم (برغم اخفائهم وتكتمهم) أنهم كانـوا يستصرخون بالرسول . ففضل أن يذهب أولا الى بنته « أم حبيبة » عله يتعرف منها حقيقة الامـر .

ذهب اليها فلاقته بما ينبغى أن تلقى الفتاة أباها ، ولما هم بالجلوس علـى فراش الرسول ، سارعت فطوت الفراش الطاهر خشية أن يتنجس بجلوس مشرك عليه . هكذا اعتقدت وهكذا غلبت العقيدة على الولاء وما يتطلبه عامل البنوة . غضب أبو سفيان من صنيع ابنته ، ولم ينتظر من ورائهـا ما يفيده ويكشف له النوايا . فتركها وذهب الى الرسول نفسه وهو يعلم نبله وكرم خلقه لكنه لم يلق منه جوابا فذهبالى أبى بكر ليستعين به . فلم يجبه ، فذهب الـى عمر فسخر منه ، فذهبالىعلىوزوجته السيدة فاطمة فلم يحققا بغيته برغم حسن اللقاء . فقفل راجعا وقد امتلأت نفسه بأن فى الامر شيئا .

اما الرسول صلوات الله عليه فقد استدعى المسـلمين وأمرهم باعداد انفسهم للقتال مناصرة لحلفائه الذين استصرخوه ، وان كان ما زالت أمنيته أن يدخل مكـة دون قتال ودون سفك دماء . دعا المسلمين لاعداد انفسهم ونفسه مطمئنة الى نصر الله له ، واصبحت امنيته فى دخول مكة وإخضاعها لحكمـه وولائها له أملا قريب المنال فلا يبعد أن يتم الله عليه نعمته فيدخلها دون سفك دماء

ودعا ربه قائــلا : « اللهمخذعلى أسماعهم وأبصارهم فلا يــرون الا بغتة ولا يسمعون منا الا فلتة » .

ولما بدأ جيش المسلمين يستعد للتحرك أرسل حاطب بن أبى بلتعة خطابا الى قريش بمكة مع امرأة استأجرها لذلك يخبرهم فيه بأن الرسول قادم اليهم فــى جيش عظيم يسير كالسيل لا قبل لكم به فانظــروا لانفسكم . وانطلقت المرأة بالخطاب وقد أخفته فى ضفائرها وسلكت مسالك غير مطروقــة ، ولما احس الرسول بذلك أرسل فى إثرهــا على بن أبى طالب والزبير . فأحضرا منهــا الخطاب . ولما عاتب الرسول حاطبا ــ وهو من شاركه فى غزوة بدر ــ قال : يا رسول الله أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ولكنى ليس لى فى القوم أهل ولا عشيرة ،وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فأحببت أن تكون لى عليهم يد . فغضب عمر منفعلة حاطب ، ولكن الرسول غفر له ونزل فى ذلك قول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء » .

تحرك الجيش بقيادة الرسول صلىالله عليه وسلم وكان ذلك فى الحادى عشر من رمضان للسنة الثامنة من الهجرة الموافق يناير سنة ٦٣٠ . واستخلف الرسول على المدينة احد أصحابه « كلثوم بن الحصين الغفارى » وكان قــوام الجيش نحو عشرة آلاف مقاتــل مجهزين ومدججين ، ولما وصل الجيش الــى (الجحفة) منطقة لا تبعد عن مكة كثيرا لقيهم العباس بن عبد المطلب عم الرسول بأهله وعياله وانضموا الى جيش المسلمين واظهروا إسلامهم ، كما لقيهم بعد ذلك أبو سفيان بن الحارث الهاشمى ومعه ابنه جعفر ، وعبد الله بن أبى أمية المخزومى . وقد خرجوا من مكة خوفا من مباغتة الرسول لها . وطلب أبو سفيان ابن الحارث ومن معه أن يؤذن لهم فى لقاء الرسول ، وألحوا فى طلبهم حتى رق لهم قلب الرسول وأذن لهم فىلقائه . وبعد حديث لم يطل أنشد أبو سفيان هــذا قصيدة اعلن فيها اسلامه ومن معه ، واعتذاره عما سبق أن بدر منه من إيــذاء للمسلمين بمكة مقاومــة للدعوة .

وأما العباس عم النبى وقد أصبح فى صفوف المسلمين ورأى ما هم فيه من قوة ومنعة ، وأن مكة لا قبل لها بهم ، وبدا عليه الخوف والقلق على بلده وأهله ، وهو الذى تركهم منذ أيام قلائل . فقد سأل الرسول صلى الله عليه وسلم : ماذا أنت صانع لو طلبت قريش منكالامان ؟.

هنا تحركت فى نفس الرسولامنيتهالعزيزة فى أن يفتح مكة دون قتال ، ورأى بريقا من الامل فى تحقيقها فأجاب عمه بما أزال الخوف من نفسه على قومه واتخذه سفيرا الى قريش لينبئها خبر قدوم محمد بجيشه علها تستسلم فيدخل مكــة دون قتال ولا إراقةدماء وليس هذا على الله بعزيز واعطاه الرسول بغلته البيضاء لتكون علامة تحميه من تعرض احد من جند المسلمين ولتكون دليلا لقريش على صدق وفادته .

ســار العباس تجاه مكــة فلقى فى طريقه نفرا من قريش على رأسهم أبو سفيان بن حرب وقد خرجوا ليستطلعوا قوة جيش محمد ، فأخبرهم العباس بما وراءه وقال : إن محمدا جاء فى جيش لا قبل لقريش به ، وإن مكة اذا دخلهــا محمد عنوة سيصيبها ما يصيبها . واستحسن العباس أن يأخذ معه أبا سفيان ابن حرب ويرجع به الى الرسول صلى الله عليه وسلم ليقف بنفسه على مدى قوة المسلمين ، ويطلب منه الامان له ولاهل مكــة .

رحب أبو سفيان بن حرب بهذهالفكرة وركب خلف العباس على بغلــة الرسول بعد أن رد من معه الى مكة ، وسار به العباس بين جيوش المسلمين

وقد أشعلوا نيرانهم ، فكلما مرا على جماعة منهم ورأوا البغلة عرفوها وعرفوا من عليها وتركوها تمر بمن عليها ، ولما مرا بنار عمر بن الخطاب ، وتعرف على أبى سفيان أدرك أن العباس يريد أن يجيره فأسرع الى خيمة الرسول وطلب اليه أن يأذن له فيضرب عنق أبى سفيان ، فقال العباس وكـان قد أدرك عمر عند الرسول : إنى اجرته يا رسول الله . فقال الرسول وكان الوقت ليلا : اذهب به فى رحلك فاذا أصبحت فائتنى به .

وفى الصباح حضرا ودارت مناقشة اسـلم بعدهـا ابو سفيان ونطق بالشهادتين ، وباسلامه نسى النبى والمسلمون معه كل ما أصابهم منه من أذى ، لأن الاسلام يجب كل ما قبله ، ولأن هدف المسلمين الهداية والسلام ، وهكـذا كان يفعل الاسلام فى نفوس المسلمين يطهرها من كل غل وحقد ، ويخليها مـن الضغائن والاحقاد .

—— ● ——

ما زالت هناك فكرة فى ذهن العباس يريد أن يحققها ، وهى أن تنجو مكة مما يصيبها من خراب ودمار لو فتحت عنوة ، وأراد أن يعزز أبا سـفيان وهو ذو نفوذ فى عشـيرته ، وكان رأسا من رءوس المشركين . فقـال العباس للرسول صلى الله عليه وسلم : إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا . وسرعان ما أدرك الرسول صلوات الله عليه ما يهدف إليه عمـه العباس ، وصادف ذلك هوى فى نفسه ورغبة أكيدة كم تمنى أن تتحقق . فقال : « نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن اغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن » .

وسواء قلنا إن ما حدث من العباس كان نتيجة تفكيره استقلالا ، أم كان نتيجة تدبير الرسول شخصيا دون أن يعلم أحد ، وسواء أكان لقاء العباس مـع أبى سفيان وليد الصدفة أم نتيجة تخطيط فان ما فعله الرسول يدل على مقدرة حربية فائقة وحسن تدبير ومهارة فى الفنون العسكرية والوصول الى النصر من أقرب الطرق وأسلمها من غير خسائـر فى الارواح والاموال .

أذن الرسول لأبى سفيان بن حرب أن يسبقه الى قريش ليخبرهم الامـر واستعرض أمامه الجيش ليعرف مدى قوته فيخبرهم عن مشاهدة . فانطلق ابو سفيان الى قومه يصيح فيهم يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن اغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن . فبهت القوم من هول المفاجأة واستسلموا وحاول كل منهم أن ينجو بنفسه فيغلق عليه بابه أو يعدو الى المسجد .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الاثناء تحرك بجيشه ووصل الى مشارف مكة وشاهد استسلامها فسجد لله شاكرا له منّته وعظيم فضله عليه . ولكنه مع هذا أخذ الحيطة ففرق جيشه أربع فرق ، وأصدر أمره اليها جميعها ألا تقاتل الا اذا اضطرت احدى الفرق الى القتال ، وجعـل الزبير بن العوام على الجناح الايسر من الجيش وأمره أن يدخل مكة من شمالها ، وجعل خالد بن الوليد على الجناح الايمن وأمره أن يدخل مكة من أسفلها ، وجعل سعد ابن عبادة على أهل المدينة ليدخلوا مكة من جانبها الغربى . غير أن الرسول عليه السلام لما علم أن سعد بن عبادةقال : اليوم يوم الملحمة ، وأحس أنه متأهب للقتال أمر أن يجعل الراية فى يد قيس ابنه لضخامته وهدوئه . كما جعل صلوات الله

عليه أبا عبيدة بن الجراح على المهاجرين . وسار الرسول وإياهم ليدخلوا مكة من اعلاها . فدخلوها يوم عشرين من رمضان دون أى مقاومة الا ما كان من جيش خالد بن الوليد وقد اندفع الى مكة من اسفلها فتصدى له من شهروا عليه السلاح ورموه بالنبال فاضطر الى قتالهم حتى هزمهم وقتل منهم نيفا وعشرين وفر الباقون الى الدور ، ومنهم من فر الى أعالى الجبال وتبعهم المسلمون مما جعل أبو سفيان ينادى فيهم « يا معشر قريش علام تقتلون أنفسكم . من دخل دارى فهو آمن ومن وضع السلاح فهو آمن » . وانتهت المعركة بهذا دون أن يقتل أحد من المسلمين الا رجلين ضلا الطريق . وبعد أن اطمأن الرسول صلى الله عليه وسلم لخالد قال له معاتبا : قاتلت وقد نهيتك عن القتال ؟! فقال : هم بدءونا بالقتال وقد كففت يدى ما استطعت . فقال رسول الله : قضاء الله خير .

روى البخارى فى صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة واضعا رأسه الشريف على راحلته القصواء تواضعا لله وهو يقول : « اللهم إن العيش عيش الآخرة » . دون أن يفتنه النصر أو يزهو به .

وفى مكة عرضوا عليه صلوات الله عليه أن يذهب الى بيته ليستريح فيه فرفض واستراح فترة بالقرب من مقبرة عمه أبى طالب وزوجته خديجة ، ثم خرج الى الكعبة فطاف بها وخطب فى الناس قائلا :ـ

« يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا . اخ كريم وابن اخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء » ثم أمر فطهرت الكعبة مما حولها من الاصنام ، ثم أذن بلال من فوقها للصلاة ، وصلى الرسول وصلى المسلمون ؛ ثم تسابقت قريش الى الاسلام .

وفى غداة يوم الفتح خطب فى الناس قائلا : « يا أيها الناس إن الله حرم مكة الى يوم القيامة لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما أو يعضد فيها شجرا . لم تحلل لأحد كان قبلى ولا تحل لأحد يكون بعدى ، ولم تحلل لى إلا هذه الساعة غضبا على أهلها . ثم رجعت كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

ولم يطل مقام الرسول صلوات الله عليه بمكة أكثر من خمسة عشر يوما يبصر فيها الناس بأمر دينهم ، ويدعوهم الى الحق والطريق المستقيم ، وينظم فيها شئونها . وخشى الأنصار أن يبقى الرسول بمكة فهى مسقط رأسه والتى قضى بها أغلب عمره ، وفيها بدأ الوحى ، وبها قبر زوجته خديجة وعمه أبى طالب وقد شاهدوا حنينه الى قبرهما . ولما أحس الرسول عليه السلام بما فى نفوسهم وقلقهم ومخاوفهم ألا يقيم بينهم فى يثرب قال : « معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم » . ورحل معهم الى يثرب .

وبمناسبة فتح مكة جاء يقول الله تعالى « اذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » وصدق الله العظيم وبر عبده الامين بوعده فسبح بحمده حقا وصدقا واستغفر له ولقومه واخبرهم أن الله هو الرحمن الرحيم .

وقد روى عن ابن عباس أن نزول هذه السورة كان دلالة على دنو اجل الرسول عليه السلام قال البخارى حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا أبو عوانه عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال : لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه ممن قد علمتم . فدعاهم ذات يوم فأدخلنى معهم فما رأيت أنه دعانى فيهم يومئذ الا ليريهم فقال : ما تقولون فى قول الله عز وجل « إذا جاء نصر الله

والفتح .. » فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا . وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لى : أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا . فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له . قال : إذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا «فقال عمر : لا أعلم منها إلا ما تقول » .

وروى البيهقى باسناده عن ابن عباس قال : لما نزلت « إذا جاء نصر الله والفتح ... » دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وقال : إنه قد نعيت إلىّ نفسى » فبكت ثم ضحكت وقالت : أخبرنى أنه نعيت اليه نفسه فبكيت ثم قال : اصبرى فانك أول أهلى لحوقا بى » فضحكت .

فهذه السورة ــ على هذا ــ كما تحمل البشرى لرسول الله بنصر الله والفتح ، وكما توجهه الى الاستغفار والتسبيح والحمد فانها تكشف عن دنو أجله وقرب انتهاء مهمته فى الحياة الدنيا .

ويقول ابن كثير فى تفسيره إن المراد بالفتح هنا فتح مكة قــولا واحدا . وهكذا كان محمد صلوات الله عليه فى موقف النصر والفتح الذى جعله ربه علامة له . انحنى لله شاكرا على ظهر دابته ودخل مكه التى آذته وأخرجته ، وهو على هذه الصورة نسى فرحــة النصر وانحنى انحناءة الشكر وسبّح وحمـد واستغفر .

أخى القارىء:

انظر معى الى توفيق الله سبحانه الى رسوله المصطفى وتأييده إياه . خرج من مكة مطاردا ، وتمنى أن يدخلها دون قتال ، وأن تكون كلمة الله فيها هى العليا فتحقق له ذلك ، ودخلها خاشعا خاضعا شاكرا لله نعمته وفضله . فلم يحس فى نفسه بصورة من صور الانتقام ، ولم تدفعه فرحة النصر الى التجبر والتكبر والطغيان ، ولم يمكنه هذا بدافع من التسامح الاسلامى وقوة الايمــان الروحى من أن ينتقم لنفسه ممن نكلوا بــه وحاربوه وآذوه ، ولم يقدم أحد من جنوده على شىء من ذلك مع منّ فيهم ممن عُذّبوا من قريش وأوذوا شر إيذاء ، ولم ينسه الحنين الى بلده ومسقط رأسه الوفاء للأنصار الذين عاونوه وقت الشدة ، وفتحوا له وللمسلمين قلوبهم ودورهم ، ونزلوا لهم عن طيب خــاطر عن بعض أموالهم ومتاعهم من الحياة الدنيا لرفاقه والمهاجرين معه .

الله اكبر أيها المسلم فهذا اثر النصر فى نفوس الصديقين . الله أكبر أيها المسلم فهذا الاثر الروحى فى نفوس المؤمنين تطهير من كل حقد وشر ، وارتفاع بالنفوس الى المعانى السامية والقيم الخلقية العالية والتفانى فى سبيل تحقيق الهــدف والمبدأ . وحدة الغاية والهدف . إلــه واحد لا تعبد البشرية سواه وتدين له بالعبودية والطاعة ، ووحدة الصف ، والتعاون الكامل فى بناء مجتمع صالح طاهر أساسه الخلق والدين امتثالا لقول الله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

فلنتخذ من هذه المواقف درساوعبرة ، وليكن لنا من رسولنا وسلفنا القدوة الصالحة التى نحتذى حذوها فى الدين والخلق . ولنتذكر دائما أن أساس دعوة الاسلام التكوين الخلقى السليم والتعاون الكامل بين الافراد على البر والتقوى . نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لتذوق معانى هذا الدين الكريم ، والعمل بتعاليمه وإرشاداته والسير فى الحياة على نهجه .



كيف يستعيد المسلمون مجدهم القديم؟

لكـــاتب كبير

إن الايمان بالله وحده هو الــذى يجمع عشرات الالوف من المسلمين ، على اختلاف لغــاتهم ، وجنسياتهم والوانهم لاداء فريضة الحج ، وزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم كل عام ، وهو الذى وحد بينهم ، وجعلهم إخوة فى الايمان إرضاء لله ، وجمعهم فى المسجد الحرام .

إن المسلمين الاول كانوا يؤمنون بالله إيمانا قويا ، ويثقون بالله ثقة لا نهاية لها ، ولا يخافون إلا الله ، ولا يخشون فى الحق لومة لائم . وكانوا يضحون بأنفسهم وأموالهم وأولادهم فى سبيل الله ، وابتغاء مرضاته ، ولذلــك كان النصر حليفهم ، وقــد نصرهم الله على أعدائهم ، وفتحوا العالم ، ونشروا الاسلام فى مــده قصيرة لا تذكر .

لقــد كان المســلمون فى علمهم وأخلاقهم وانسانيتهم ، ووحدتهم ، وتضامنهم وتعاونهم ، وايمانهم بالقدرة الالهية ، والعظمة الربانية ــ خــير أمة أخرجت للناس .

كان المســـلمون فى العصــور الاسلامية الاولى متحدين اتحــادا قويا ، يفكــرون فى اخوانهم فــى مشارق الارض ومغاربها ، ويحبون لهم ما يحبون لانفسهم ، ويستهينون بالموت ، ويطلبون الاستشــهــاد ، ويقولون : احرص على الموت توهب لك الحياة . ويعملون بقوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان

يشد بعضه بعضا » . فانتصروا ، وهابهم العالم كله ، وقادوا العالم فى العدالة والحـــرية ، والاخـــاء والمساواة ، والحضارة والمدنية . ولكن اين المسلمون اليوم ؟ وايـــن الامـــة الاسلامية العظيمة ؟ وايـــن الاخـــوة المحمديـــة ؟ واين الوحـــدة الاسلامية ؟ واين الرابطة القوية التى كانت تربط المسلمين بعضهم ببعض فى عصور العظمة الاسلامية ؟

إن المسلمين اليوم ـــ مع الاسف الشديد ـــ فى عزلة وتخاذل ، وتنازع واختلاف ، وعداء احيانا ، لانهم الآن مجبون لانفسهم ، ولا يفكرون الا فى أنفسهم ، ولا يعيشون الا لانفسهم ، ولا يجيون الا لانفسهم ، ولا يفكرون فى غيرهم من المسلمين ، ولا يعبدون الا المال والمركز والجاه والسلطان ، واصحـــاب المال والمركز والجـــاه والسلطان .

فهل نعجب اذا صاروا ضعفاء بعد أن كانوا اقوياء ، وأذلاء بعد ان كانوا اعزاء ، ومتأخرين بعد أن كانـــوا يقـــودون العـــالم فيما مضى مـــن الزمان ؟

ولن يستعيد المسلمـــون مجدهم القديم ، وعصرهم الـــذهبى الا اذا آمنوا بالله إيمانا صادقا ، واتحدت كلمتهم ، وتعاونت قلوبهم وارواحهم ، وقضوا على الفساد الخلقى ، واعطوا السائلين والمحرومين حقوقهم ، واحب كل مسلم اخاه كمـــا يحب نفسه ، وكونوا وحدة اسلامية قوية شاملـــة للعالم الاسلامى كله ، بعيدة عـــن الاستعمار كل البعد ، ونبذوا الاهواء والاغراض ، والمنافع الخاصة التى يجرون وراءها ، ويفكرون فيها .

إذا استطعنا أن نصل الى تحقيق الـــروح الاسلامى الحـــق ، وآمنا بالعظمـــة الالهية ، ونظمنا حياتنـــا الاسلامية ، وكونا وحدتنا القويـــة ـــ أمكننا أن نستعيد مجدنا التليد ، وقوتنا السالفة ، ولن تستطيع أى أمة أن تقف أمام الامـــة الاسلامية المتحدة ، المؤمنة باللـــه ، وعظمته وحده لا شريك له . لن تستطيع اى قوة فى العالم أن تستهين بالمسلمين ، أو تتحكم فيهم ، أو تسيطر عليهم اذا اتحدوا وفكروا فى الموت اكثر مـــن تفكيـــرهم فى الحيـــاة كأجدادهم السابقين .

لكى يستعيد المسلمون مجدهم فى صدر الاسلام يجب أن ينشروا التعليم فى بلادهم ، حتى لا يبقى فيها أمى واحد ، ويعملوا على رفع مستوى معيشة الفقراء باعطائهم حقوقهم التى فرضها الله لهم ، حتى لايكون هناك سائل أو محـــروم بين المســـلمين ، ويتخلصوا من الفقر ، ويعنوا بالتربية الدينية الخلقية المثالية ، حتى تقضى عـــلى الاثـــرة ، وحب النفس ، والفساد الخلقى ، ويهتموا بالناحية الصحية حتى يجد كل مريض وسائل العلاج ميسرة أمامه ، ويعنوا بالتربية الجسمية عنايتهم بالتربية العقليـــة والروحية والوجدانية والعملية .

وبهذا كله نقضى على الجهـــل والفقر والمرض وفساد الخلق . وهى المشـــكلات الاجتماعية التى خلفهـــا الاستعمار وراءه قبل أن يرحل مـــن البلاد الاسلامية التى احتلها عشرات السنين ، وامتص خيراتها ، وخلف لها الجهل والفقر والمرض والفساد .

إن الاســـلام قد منح الانسان حقوقا ، مثل الحريـــة الشخصية ، وحرية العقيدة ، وحق المساواة ، وحق التعلم ، وحق الحياة ، وحق الاخوة . وكما منحه كثيرا من الحقوق فرض عليه كثيرا من الواجبات الدينية التى تتعلق بالـــدين ، والواجبات الانسانية التى تتصل بالحياة . وأمر بالعدل والاحسان وبر ذوى القربى ، والصدق والامانـــة والوفاء ، ونهى

عن الظلم والغدر وحرمان الفقير ، والعقوق والكذب والخيانة والسرقة والقتل والزنى :

« إن الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » (١) .

ومن العيوب المنتشرة بيننا اننا نفكر فيما لنا من حقوق ، ونسعى لاخذ هذه الحقوق . ولكننا لا نؤدى ما علينا من واجبات . فنحن ناخذ ولا نعطى ، ولا نشعر بالواجب ، ولا نفكر فى ادائه . ولا نحاسب انفسنا على ما قمنا به من عمل . ويجب أن نرضى الله فى السر والعلانية . وقد خاطب الله رسوله بقوله :

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » . يجب أن نعمل الخير ونفكر فى الخير دائما ، ونقوم بما علينا من واجبات لله وللوطن وللاسرة والجيران ، والانسانية .

فلكى يستعيد المسلمون مجدهم الماضى ، وعظمتهم السالفة ، يجب أن يتمسكوا بروح الاسلام ، ومبادئه المثالية واخلاقه الكريمة ، ويعودوا الى ايمانهم القوى بالله ، ويكونوا يدا واحدة ، ووحدة قوية متماسكة متعاونة ، ضد المستعمرين والمحتلين ، ويتركوا المظاهر الكاذبة ، ويدافعوا عن بلادهم ، متحدين بقلوبهم واعمالهم ، ويبتعدوا عن الخلاف والنزاع والشقاق ، والرياء والملق والنفاق ، والجرى وراء الحكم والجاه والسلطان . عندئذ سينتصرون على الاعداء المغتصبين . ولن يستطيع الاستعمار أن يقف فى سبيلهم ، مهما تكن عدده واسلحته . وسيكون النصر حليفهم ، كما كان حليفا لاجدادهم من المؤمنين السابقين الاولين .

الاستعمار هو السبب فى اضعاف المسلمين :

إن الاستعمار قد مزق البلاد الاسلامية ، حتى يسهل عليه احتلالها . ويتخذها مناطق نفوذ له . واسواقا تجارية لمصنوعاته ، ويتحكم فى اهلها بما نال من سيطرة وامتيازات ، ويسلب ما فيها من خيرات ، بجشع وشراهة ، وينهب ما فيها من الآثار .

ولهذا كان الاستعمار السبب الاول فى اضعاف المسلمين ، والتفرقة بينهم ، بعد أن كانوا أمة واحدة تتمتع بالحرية ، وتسود العالم .

والحمد لله قد تخلص المسلمون فى معظم البلاد الاسلامية من القراصنة ، وعصابة اللصوص المستعمرين ، ومظالمهم واعتداءاتهم ، وطغيانهم ، وصاروا احرارا فى بلادهم ، مستقلين فى حياتهم ، يعملون لاعادة مجدهم السالف ، وقوتهم السابقة ، ليكونوا خير امة ، كما كان آباؤهم واجدادهم فى صدر الاسلام .

الشيخ محمد عبده والاسلام :

قال المرحوم الامام الشيخ محمد عبده (٢) :

« ابتدا هذا الدين بالدعوة كغيره من الاديان ، ولقى من اعداء انفسهم اشد ما يلقى حق من باطل ، اوذى الداعى صلى الله عليه وسلم بضروب الايذاء ، واقيم فى وجهه ما كان يصعب تذليله من عقبات ، لولا عناية الله ، وعذب المستجيبون له ، وحرموا الرزق ، وطردوا من الدار ، وسفكت منهم دماء غزيرة ، غير أن تلك الدماء كانت عيون العزائم تنفجر من صخور الصبر ، يثبت الله بمشهدها المستيقنين ، ويقذف بها الرعب فى انفس المرتابين ، فكانت

تسيل لمنظرها نفوس أهل الريب ، وهى ذوب ما فسد من طباعهم ، فتجرى فى مناحرهم جرى الدم الفاسد من المقصود على أيدى الاطباء الحاذقين :

« ليميز الله الخبيث من الطيب ، ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه(٣) جميعا فيجعله فى جهنم أؤلئك هم الخاسرون (٤) .

« تألبت الملل المختلفة ممن كان يسكن جزيرة العرب وما جاورها على الاسلام ، ليحصدوا نبتته ، ويخنقوا دعوته ، فما زال يدافع عن نفسه دفاع الضعيف للاقوياء ، والفقير للاغنياء ، ولا ناصر له الا أنه الحق بين الاباطيل . والرشد فى ظلمات الاضاليل ، حتى ظفر بالعزة ، وتعزز بالمنعة » .

« ضم الاسلام سكان القفار العربية الى وحدة لم يعرفها تاريخهم ، ولم يعهد لها نظير فى ماضيهم . وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد أبلغ رسالته بأمر ربه الى من جاور البلاد العربية من ملوك الفرس والرومان ، فهزءوا وامتنعوا . وناصبوه وقومه الشر ، وأخافوا السابلة ، وضيقوا على المتاجر ، فغزاهم بنفسه ، وبعث اليهم البعوث فى حياته . وجرى على سنته الائمة من صحابته . طلبا للامن ، وإبلاغا للدعوة . فاندفعوا فى ضعفهم وفقرهم يحملون الحق على أيديهم ، وانهالوا به على تلك الامم فى قوتها ومنعتها . وكثرة عددها . واستكمال أهبتها وعددها . فظفروا منها بما هو معلوم . وكانوا متى وضعت الحرب أوزارها ، واستقر السلطان للفاتح عطفوا على المغلوبين بالرفق واللين ، وأباحوا لهم البقاء على أديانهم ، وإقامة شعائرهم آمنين مطمئنين . ونشروا حمايتهم عليهم يمنعونهم بما يمنعون منه أهلهم وأموالهم ، وفرضوا عليهم كفاء ذلك جزءا قليلا من مكاسبهم على شرائط معينة .. » .

« ولم يعهد فى تاريخ فتوح الاسلام أن كان له دعاة معروفون لهم وظيفة ممتازة ، يأخذون على انفسهم العمل على نشره ، ويقفون مسعاهم على بث عقائده بين غير المسلمين ، بل كان المسلمون يكتفون بمخالطة من عداهم . ومحاسنتهم فى المعاملة . وشهد العالم بأسره أن الاسلام كان يعد مجاملة المغلوبين فضلا وإحسانا عندما كان يعدها الاوروبيون ضعة وضعفا » .

« رفع الاسلام ما ثقل من الاتاوات (٥) ، ورد الاموال المسلوبة الى أربابها ، وانتزع الحقوق من مغتصبيها ، ووضع المساواة فى الحق عند التقاضى بين المسلم وغير المسلم . بلغ أمر المسلمين فيما بعد الا يقبل اسلام من دخل فيه الا بين يدى قاض شرعى ، باقرار من المسلم الجديد أنه أسلم بلا إكراه ولا رغبة فى دنيا » .

« ووصل الامر فى عهد بعض الخلفاء الامويين أن كره عمالهم دخول الناس فى دين الاسلام . لما رأوا أنه ينقص من مبالغ الجزية . وكان فى حال أولئك العمال صد عن سبيل الدين لا محالة ، ولذلك أمر عمر بن عبد العزيز بتعزيز مثل أولئك العمال (٦) » . وأجاب عامله بمصر حينما شكا اليه ذلك : « إن محمدا صلى الله عليه وسلم بعث هاديا ، ولم يبعث جابيا » .

ونحن نقول : هذا ما كان من أمر المسلمين فى معاملتهم لمن أظلوهم بسيوفهم ، لم يفعلوا شيئا سوى أنهم حملوا الى أولئك الاقوام كتاب الله وشريعته ، والقوا بذلك بين أيديهم ، وتركوا الخيار لهم ، فى القبول وعدمه ، ولم يقوموا بينهم بدعوة ، ولم يستعملوا لإكراههم عليه شيئا من

القوة ؛ وما كان من الجزية لم يكن مما يثقل اداؤه على من ضربت عليه . فما الذى اقبل بأهل الاديان المختلفة على الاسلام . واقنعهم أنه الحق دون ما كان لديهم حتى دخلوا فيه افواجا . وبذلوا فى خدمته ما لم يبذله العرب أنفسهم ؟.

لقد دخل اهل الاديان المختلفة فى دين الله افواجا لانهم احسوا أنه دين الطبيعة والفطرة . دين العقل والمنطق . دين الرأى الحر . والتفكير السليم ، دين الرحمة والشفقة ، دين الانسانية والنبل . دين الفضيلة والكمال . دين قضى على الرذائل الخلقية . والنقائص البشرية ، دين الحرية (والديمقراطية) ، دين الدنيا والآخرة . دين يدرك معنى الحياة ، ويعنى بالجسم كما يعنى بالروح ، دين يدعو الى الاخلاص فى السر والعلانية . وصفاء النية والسريرة ، دين ألغى الامتيازات بين الطبقات ، ورفع العبيد الى منزلة الاشراف ، وسوى بين الاغنياء والفقراء ، ونادى باحترام الشرف والعرض وحقوق الجار ؛ دين يسهل على كل انسان فهم أحكامه وأسراره . ومعرفة الحكمة فى كل تشريع من تشريعاته ، دين العدالة المطلقة ، وقف بجانب المظلوم ليأخذ له حقه من الظالم . مهما يكن مركز ذلك الظالم وسلطته . دين أخذ للفقراء حقوقهم من الاثرياء ، دين أجاز لامرأة مصرية فقيرة غير مسلمة أن ترفض بيع بيتها الصغير بأى ثمن لحاكم مصر وهو عمرو بن العاص ، مع أنه لم يفكر فى شرائه لنفسه ، بل أراد أن يشتريه ليوسع به ناحية من المسجد ، فرفضت بيعه ؛ مع أن ابن العاص عرض عليها أضعاف ثمنه ، وشكته الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فأمر ابن العاص برد البيت الى صاحبته ، ولامه على ما فعل . دين سمح ليهودى بالوقوف ضد على ابن ابى طالب — كرم الله وجهه — أمام القاضى المسلم ، فكان حكمه بينهما مثلا عاليا للعدالة والنزاهة والمساواة .

لهذه المثل السامية دخل الناس فى دين الله افواجا ؛ وصاروا من أكبر انصاره ، وأنار الله قلوبهم ، فاعتنقوا الاسلام برغبة قوية ، وعقيدة روحية . ووازع نفسى ، لا سيف من ورائهم يخيفهم ، ولا مبشر أمامهم يكرههم على اعتناقه .

---

(١) سورة النحل : ٩٠ .
(٢) ارجع الى كتابه : (الاسلام والرد على منتقديه) ص ١١٦ .
(٣) يجمعه .
(٤) سورة الانفال : ٣٧ .
(٥) الاتاوة : الخراج ، والضريبة ، والرشوة
(٦) الحكام .

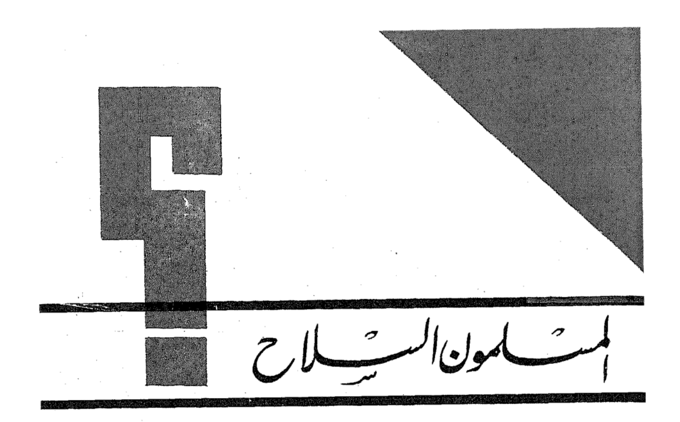


١) إن الاسلام دين سلام ومودة واخوة بين الناس جميعا ، من آمن به ومن لم يؤمن فلماذا أباح الحرب ، وحض على الجهاد ، واعد للشهداء فى سبيله الأجر الجزيل والنعيم المقيم ؟

إن الحرب فى الاسلام ليست أصلا من اصوله ، وهو يرفض كل الوان الاكراه فى الايمان بـه ، لان العقيدة الصحيحة اساسها الاقتناع الصادق القائم على الوجدان والبرهان ، ولا يتسنى لاية قوة فى الارض أن تفرض على انسان عقيدة يأباها قلبـه وينفر منها عقله ، فما هى الغـاية إذن من الحـروب الاسلامية ؟

إن الاسلام كما اشرت غير مرة دين عالمى جـاء للناس كافة وقد بلـغ الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الدين الى العرب ، وتوفى عليه السلام بعد أن ترك قومه على المحجة البيضاء ، وأصبح على هؤلاء العرب الذين اختار الله منهم خاتم رسله أن يحملوا هذا الدين الى غيرهم من الامم ، فالشرائع لا تلزم الا بعد السماع كما يقول الامام محمد (١) ، ومن هنا كان غير العرب اذا لم تصل اليهم دعوة الاسلام لا حجـة عليهم ، وانما تقع الحجة على الذين بلغهم هذا الدين ثم قصروا فى تبليغه الى سواهم .

٢) فمن اجل تبليغ هذا الدين الى الناس فى كل زمان ومكان وحماية الدعوة اليه فرض الجهاد ، وكان ماضيا الى يوم القيامة ، انه جهاد من اجل حمايـة



للدكتور : محمد الدسوقى

التبليغ فحسب ، فمن شاء بعد ذلك فليؤمن ومن شاء فليكفر ، فقد اكدت حوادث التاريخ ان الطغاة لا يتركون الناس احرارا فيما يدينون به ويسمعون له . وفى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الحى على ذلك فهو عليه السلام قد دعا قومه الى عبادة الله وحده وتـرك عبادة الاصنام فآذوه واضطهدوه ، وعذبوا من صدقه واتبعه ثم اخرجوه واصحابه من مكة .

إن مشركى مكـة أرادوا الحجر على القلوب والعقول ، وأبوا ان يدعوا للناس الحرية فى التفكير والاختيار ، فهم بهذا يحمون مبدأ الاكراه فى الدين ، فلو ترك هؤلاء الكفار وشأنهم لطغا الباطل على الحق ولطمس النور الظلام (٢) فكان الاذن بالقتال واتخاذ القوة لدفع هذا الظلم الذى تعرض له المؤمنون ، لانهم قالوا ربنا الله : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع اللـه الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع صلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا » (٣) .

فغاية الحرب فى الاسلام تنحصرفى تحرير الناس من الطغاة فلا يكون فى الارض سلطان غير سلطان الحق تبارك وتعالى ، وبذلك لا تكون فتنة ويكون الدين كله للـه .

٣) وان غاية الحرب الاسلامية هى تحقيق الحرية الدينية لطف الاسلام

من حدتها . وجعل لها قانونا عادلا ونظاما محكما ، واكبر ما يسجل له من امرها انه لم يشرعها لنيل المغانم ، وفرض المغارم ، ولكنه جعلها وسيلة عند الضرورة لنشر كلمة الله بين الامم (٤) .

واول ما يجب على المسلمين اذاساروا الى غيرهم ان لا يبدأوهم بالحرب او الاعتداء لانهم لم يسعوا رغبة فى القتال لذاته فهم أصحاب دعوة . وليس عليهم الا البلاغ . ومن هنا كان واجبا ان يسبق الحرب أمران اذا ووفق على احدهما فلا قتال :

الامر الاول : البدء بالدعاء الى الاسلام ، وجاء فى شرح السير الصغير (٥) ان هذا الدعاء قد يكون موجها لقوم لم تبلغهم الدعوة . فيجب إعلامهم حتى يكونوا على بينة من امرهم ، وقد يكون موجها لقوم بلغتهم الدعوة . ودعاؤهم مرة ثانية أمر مطلوب لانه كما جاء فى هذا الشرح : جد ومبالغة فى الانذار بما ينفع . وهذا يؤكد الرغبة فى إيثار السلم على الحرب ، فى تبليغ دعوة الاسلام فاذا استجاب هؤلاء طوعا واختيارا لما دعاهم اليه المسلمون فهم اخواننا لهم ما لنا وعليهم ما علينا وإن ابوا ولم يستجيبوا فان على المسلمين أن يدعوهم الى الامر الثانى وهو أن يدخلوا مع المسلمين فى عهد وميثاق ، ويصبحوا أهل ذمة لا يتعرض لهم فى عقائدهم الدينية ويتمتعون بكل حقوق الحماية والرعاية فى مقابل ضريبة مالية يسيرة لا تجب على غير القادرين منهم ، وذلك لهدف واحد وهو أن يأمن المسلمون هؤلاء ، فلا يظاهروا غير المسلمين على المسلمين . فان أبوا ان يدخلوا مع المسلمين فى عهد وميثاق ، فقد جاهروا بهذا الرفض بالعداء ، وأمعنوا فى الضلال وكان قتالهم فى هذه الحالة لتحرير الناس من التسلط والقهر .

وجاء فى شرح السير الكبير(٦) : ان الكفر وان كان من أعظم الجنايات فهو بين العبد وربه جل وعلا ، وجزاء مثل هذه الجناية يؤخر الى دار الجزاء فأما ما عجل فى الدنيا — وهو قتال الكفار — فهو مشروع لمنفعة تعود الى العباد .

ومؤدى هذا النص يؤكد الحقيقة التى أشرت اليها وهى أن القتال فى الاسلام ليس للاكراه فى الدين ، ولكن لتحقيق مصالح العباد بانقاذهم من الطغاة المستبدين حتى يكون الطريق امام دعوة الله خاليا من الاشواك والعقبات يسلكه من شاء ويعرض عنه من أبى .

٤) وما دام القتال لدفع فتنة الكفر وشر الكفار . فانه لا يجوز قتال الا هؤلاء الذين يمثلون الفتنة ويمكنون للشر بالفعل أو بالقول ، ولهذا لا ينبغى قتل النساء والولدان والمجانين (٧) وان حملوا السلاح والذين لا يخالطون الناس وترهبوا فى الأديرة ، وكذلك الشيوخ الفانون لقوله تعالى : وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، وهؤلاء لا يقاتلون (٨) ، فاذا شارك احد من هؤلاء برأيه أو فعله فى الحرب ، فقد أصبح مقاتلا ، يجوز قتاله وقتله فيما عدا المعتوه فان على المسلمين اخذه ومنعه من مشاركته فى الحرب (٩) .

وكما جاء النهى عن قتل غير المحاربين جاء النهى ايضا عن الغدر والمثلة وحمل الرءوس وقطع الاشجار وتخريب الديار وذبح المواشى الا لضرورة إطعام الجند (١٠) .

٥) واذا وضعت الحرب أوزارها فلا يقتل اسير . ولا يذفف على جريح ولا يتبع فار ، ولا يتعرض لأحد من أهل دار الحرب بالعنت بل يعاملون جميعا معاملة انسانية لا تعرف الاذلال وامتهان كرامة الانسان ، وانما تعرف الرحمة والعدل والانصاف .

وأهل دار الحرب يعاملون أيضا قبل أن يكون بينهم وبين المسلمين علاقة من

ذمة او موادعة معاملة انسانية ، فالتجارة مثلا بيننا وبينهم لا تتوقف . وعلى المسلمين ان يحذروا فقط من أن يحملوا لدار الحرب ما يزيد من قوة أهلها وبأسهم . فقد جاء فى شرح السير الكبير : والاولى للمسلم أن يحترز عن اكتساب سبب القوة لهم الا أنه لا بأس بذلك فى الطعام والثياب ونحو ذلك لما روى ان ثمامة بن اثال الحنفى أسلم فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فقطع الميرة عن أهل مكة فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه ان يأذن له فى حمل الطعام اليهم ، فأذن فى ذلك ، وأهل مكة يومئذ كانوا حربا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرفنا أنه لا بأس بذلك (١١) .

٦) وبهذا يتضح ان الحروب فى الاسلام ضرورة . وانها تخضع لقانون العدل واحترام آدمية الانسان وليست سبيلا لاستغلال الشعوب ونهب ثرواتها . وهى فى جوهرها تحقق السلم الدائم بين الناس ، لانها تنقذهم من تجار الحروب والطغاة الذين يكرهونهم على ما لا يبتغون .

ويتضح ايضا أن اصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم السلم . وان نظرة الاسلام الى غير المسلمين لا تعرف العداء والتعصب والكبرياء . وانما تقوم على التسامح والتعاون والاخاء وعلى احترام العهود والوفاء بها مهما تكن الظروف والاسباب . وصدق الله العظيم : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » (١٢) .

فهاتان الآيتان تلخصان الدستور الاسلامى فى العلاقات الدولية ، وهو دستور يقوم على السلم ويؤثر المودة على العداوة حتى مع من عادوه ما ضمن كفهم عن الاعتداء استحياء للمودة الانسانية وتوثيقا للروابط البشرية ، فقبل الآيتين قوله تعالى : « عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم » .

٧) وخلاصة القول ان العلاقات الدولية فى الاسلام تقوم على ما يلى :

اولا : المساواة بين الناس ، فهم جميعا أمة واحدة ، لا طائفية ولا عنصرية بينها ، ولا مفاضلة بالالوان والاجناس والاوطان ولكن بخشية الله ومراقبته « إن اكرمكم عند الله اتقاكم » .

وأما قواعد القانون الدولى فى صورته الراهنة — على الرغم من تطور الفكر القانونى وتطلعه نحو افق رحب من الانسانية والعالمية — فانها لا تستجيب لمبادىء المساواة بين مختلف الدول من غير تمييز بين أديانها وأجناسها وألوانها .

ويلاحظ ان انقسام العالم انقساما سياسيا خطيرا بين المذاهب الشيوعية والرأسمالية والحيادية قد ساعد من جديد على ظهور الطائفية فى نطاق القانون الدولى . وبدات ظواهر هذه الطائفية فى التكتلات الدولية الحديثة (١٣) .

ثانيا : السلم اصل العلاقة بين الناس .

ويتفرع على تقرير مبدأ المساواة والوحدة قيام العلاقة بين الناس على المحبة والمودة والسلام والوئام ، لان معنى المساواة يفقد قيمته اذا لم يبلغ كل أسباب الحروب من الاستغلال والاحتلال .

واذا كان الاسلام قد قرر ان اصل العلاقة بين الناس السلم ، فان هذا لا يتعارض مع اذنه بالحرب وحضه على الجهاد ، لان الحرب التى اباحها فى

جوهرها حماية للسلم وتمكين له فى الارض ولهذا وضع لها القوانين التى تجعلها رحمة وخيرا .

واذا كان القانون الدولى قد انتهى أخيرا الى نبذ الحرب فى فض المنازعات الدولية فان هذا جاء نتيجة للدمار المروع الذى تعرضت له البشرية فى الحرب العالمية الثانية ، ومع هذا لا يلقى ما انتهى اليه هذا القانون من الدول التقدير والاحترام ، وما زالت الحرب القانون الذى يلجأ اليه فى المشكلات الدولية ، وما زالت القاعدة التى تعيش عليها الغابة وهى : القوة تخلق الحق وتحميه وتضع حدا لكل نزاع — هى المعول عليها فى فض كل الخلافات بين الامم بالرغم من وجود المنظمة الدولية وجمعيتها العامة وما تصدره من قرارات .

ثالثا : ترتبط أصول العلاقات الدولية الاسلامية بالعقيدة ارتباطا وثيقا فهى جزء منها لا يكمل الايمان الا بها ، ومن هنا تلقى من الدولة والافراد فى المجتمع الاسلامى كل الاحترام والاقتناع الذاتى بها .

أما القوانين الوضعية — ومنها القانون الدولى — فانها مبتوتة الصلة بعقائد الافراد والدول ، ولا تلقى الاحترام غالبا بدافع ذاتى ويزداد الامر بالنسبة للقانون الدولى انه غير ملزم فى رأى بعض فقهائه ، (١٤) وانه لا يحول بين الدول واطماعها السياسية والاقتصادية ، وهى أطماع لا يردعها غير القوة الحربية ، وليس عدوان ١٩٥٦ على بلادنا وأيضا عدوان ١٩٦٧ ، وما يجرى فى الهند الصينية وفى المستعمرات الافريقية الا دليلا ملموسا على أن القانون الدولى لا يلقى — مع قصوره — الاحترام والصدق فى الاخذ بقواعده .

رابعا : العدالة :

يحرم الاسلام الظلم بجميع اشكاله ، ويأمر بالعدل مع الاصدقاء والاعداء فى كل الحالات « ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » (١٥) .

واذا كان من العدالة أن نرد الاعتداء بمثله « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله » . فان الاسلام كما تنص الآية الكريمة لا يجعل رد الاعتداء بمثله أمرا مطلقا ، بل يقرن به تقوى الله ، ومن هنا يكون العدل فى الاسلام عدلا انسانيا رحيما لا يعرف التشفى ، ولا يمتهن الكرامة والفضيلة ولا ينزل الى مستوى الهمجية والوحشية . ولو كان غيرنا قد هبط الى هذا المستوى . ومن أجل ذلك كان الاسلام دين القوة . قوة الايمان والابدان والسلاح حتى نحمى دائما العدالة والفضيلة .

ومن أروع ما يروى عن عدالة المسلمين مع أعدائهم فى الحروب أن قتيبة ابن مسلم الباهلى القائد الفاتح دخل سمرقند من غير أن يخير أهلها بين الاسلام أو العهد أو الحرب ، فأرسل أهل سمرقند الى عمر بن عبد العزيز والى أمر المسلمين يشكون اليه أن قتيبة لم يخيرهم ولو خيرهم لاختاروا ، فأرسل خامس الراشدين الى القاضى وقال له : اذا جاءك كتابى هذا فاجلس قتيبة والمحاربين وسلهم ، فان تبين صدق شكوى أهل سمرقند ، فأمر جيش المسلمين بأن يترك البلاد ، وحقق القاضى القضية وتبين له أن قتيبة لم يخيرهم ذلك التخيير ، فأصدر أمرا بأن يترك جيش المسلمين سمرقند ، وأن يخير أهلها بين الاسلام أو العهد أو الحرب ، وخرج جيش المسلمين من سمرقند ، وقبل أهلها بعد ذلك العهد ، ومنهم من دخل فى الاسلام (١٦) .

أليس هذا هو العدل الكامل الرائع ، قاضى المسلمين ينصف أهل الحرب من قائد جيش المسلمين ، ثم يأمر هذا الجيش بترك المدينة التى دخلها دون

ان يخير القائد اهلها فهو بهذا قد ظلمهم . والاسلام شريعــة العــدل فى السلم والحــرب ..

فهل يمكن أن يحدث هــذا اليوم فى عصر الحضـــارة والمدنية والقوانين الدولية ؟

خامسا : احترام العهود والوفاء بها :

للعهود والمواثيق فى الاسلام حرمة مقدسة يجب الوقوف عند حدها ، وعدم التفريط فيها ، والنصوص فى ذلك كثيرة يمكن الاجتزاء منها بقولــه تعالى : « واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ، ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، ان الله يعلم ما تفعلون ، ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون أمة هى أربى من أمة » (١٧) .

فهذا النص الكريم يحتم الوفاء بالعهــد وعدم نقضه ، ويحذر من الخديعة والدخل فى المواثيق ، ويشبه الذين يعقدون العهد ثم ينقضونه بالحمقاء التى تغزل غزلا محكما وبعد ذلك تنقضه ، وفى هذا اشارة الى أن نقض العهد لا يفعلــه الا الحمقى (١٨) ، ويشير النص أيضا الى أن الرغبة فى زيادة الارض أو القوة لا يصلح أن يكون شىء من هذا سببا لنقض العهد . فالعدالة الاسلامية لا تجعل مصلحة الدولة سبيلا لنقض العهد ما دامت شروطه مصونة من الاعــداء . ولذلك يحذر القرآن الكريم من نقض العهد حين يستنصر المسلمون اخوانهم المسلمين ليجاهدوا معهم فى الدين ، فان عليهم أن يحترمـــوا ما بينهم وبين غيرهم مــن مواثيق : « وانْ استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق » (١٩) .

ولم تكن هذه المبادىء القويمة فى رعاية العهود مثلا نظرية بل كانت سلوكا واقعيا فى حياة المسلمين وفى صلاتهم الدولية . ومن ذلك ما جاء عن حذيفة بن اليمان قال : ما منعنى أن أشهد بدرا الا أننى خرجت انا وأبو الحسيل فأخذنا كفار قريش . فقالوا : انكم تريدون محمدا ، فقلنا : ما نريده وما نريد الا المدينة ، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننطلق الى المدينة ولا نقاتل معه ، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر فقال : « انصرفا : نفى بعهودهم ، ونستعين الله عليهم » .

وقال أبو رافع مولى رسول الله : بعثتنى قريش الى النبى . فلما رأيت النبى وقع فى قلبى الاسلام ، فقلت : يا رسول الله لا أرجع اليهم . قال :« انى لا أخيس العهد ولا أحبس البرد ، ولكن ارجع اليهم . فان كان فى قلبك الذى فيه الآن فارجــع » (٢٠) .

هذا هو موقف الاسلام من رعاية العهود والوفاء بها . ولكن الامر بالنسبة للعرف الدولى يختلف كل الاختلاف فالمعاهدات لدى هذا العرف وسيلة القــوى ينال بها من الضعيف . وهى لا تعدو ان تكون قصاصة ورق يمكن نكثها قبل أن يجف مدادها . ففى مطلع القرن الحالى اتفقت بعض الــدول على حياد بلجيكا ، وأرادت المانيا أن تمر بجيوشها مــن الاراضى البلجيكية حتى تحارب فرنسا ، ورفضت بلجيكا ذلك ، واحتجت انجلترا على تصرف المانيا وانذرتها بالحرب اذا لم تعدل عن خرق حياد بلجيكا وقال المستشار الالمانى فى رده على انجلترا : ان من الهــول ما تنويه حكومة جلالة الملك البريطانى ، ومما يعز على أن أتصور جلالته قابلا دخول حرب مراعاة لقصاصة ورق يسمونها معاهــدة واتفاقا على حياد أرض » (٢١) .

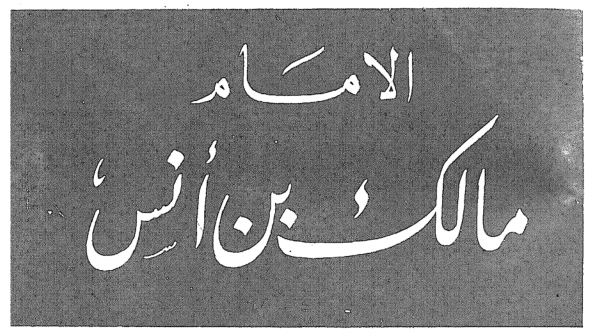
فالمعاهدات قصاصات ورق لا قيمة لها اذا تعارضت مع مصلحة الدولة ،

والمصلحة هنا تشمل الغزو للاحتلال . وهذا يؤكد أن قواعد القانون الدولى — وهى نحض على المحافظة على المعاهدات — مبتوتة الصلة بضمائر الافراد والجماعات .

٨) وبعد فهذه فى إجمال اصول العلاقات الدولية فى الاسلام كما بينها كتاب الله وسنة رسوله ، وتحدث عنها فقهاؤه وفى مقدمتهم الامام محمد بن الحسن الشيبانى . وهى اصول لحمتها وسداها السلام والوئام والرحمة والعدالة وحماية الفضيلة ، وهى وحدها صمام الامن للبشرية جمعاء . ومهما أبدع الفكر الانسانى من قوانين ونظم فلن يبلغ شأو تلك الاصول « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون »(٢٢) .

---

١) شرح السير الكبير ج٤ ص ٢٩١ .
٢) نظم الحرب فى الاسلام لجمال الدين عياد . ص : ٢١ .
٣) الآية : ٣٩ ، ٤٠ فى سورة الحج .
٤) مهمة الدين الاسلامى فى العالم بحث للمرحوم الاستاذ / محمد فريد وجدى ، منشور فى مجلة نور الاسلام سنة ١٣٥٢ ص : ٣٧١ .
٥) انظر المبسوط ج١٠ ص ٦ .
٦) ج٣ ص ١٨٢ .
٧) المصدر السابق : ص ١٩٧ .
٨) شرح السير الكبير ج٣ ص ١٨١ ، ١٩١ .
٩) المصدر السابق ص ١٩٤ ، ١٩٧ .
١٠) شرح السير الكبير ج١ ص ٤٤ . د. صلاح الدين المنجد .
١١) شرح السير الكبير ج٣ ص ١٧٧ — ١٧٨ . ط : الهند .
١٢) الآيتان رقم ٨ ، ٩ فى سورة الممتحنة ، ومن المفسرين من يرى ان الآيتين نسختهما آية « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » وقيل انهما خاصتان بحلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بينه وبينهم عهد فلم ينقضه ، وقال أكثر أهل التاويل : هى محكمة ، وهو الصحيح . (انظر احكام القرآن للجصاص ٤٣٦/٣ وتفسير القرطبى ج ١٨ ، ص ٥٩ والنسخ فى القرآن الكريم لأستاذنا الدكتور مصطفى زيد ص : ٥٥٣ ط : أولى) .
١٣) القانون الدولى فى وقت السلم للدكتور حامد سلطان ، صفحة : ٤٢ .
١٤) آثار الحرب فى الاسلام ، الدكتور وهبه الزحيلى ، ص ١٠ .
١٥) الآية : ٨ فى سورة المائدة .
١٦) أنظر أسبوع الفقه الاسلامى الثالث ، ص : ٢٠٠ .
١٧) الآيتان ٩١ ، ٩٢ فى سورة النحل .
١٨) أسبوع الفقه الاسلامى الثالث ، ص : ١٩٩ .
١٩) الآية ٧٢ فى سورة الانفال .
٢٠) أنظر مجلة المسلمون شوال سنة ١٣٧٢ هـ ص : ٢٣ .
٢١) أنظر نظم الحرب فى الاسلام للاستاذ جمال الدين عياد ص ٣٧ .
٢٢) الآية : ١٣٨ فى سورة البقرة .



للأستاذ أحمد محمد مصطفى السفاريني

لا تزال الأمة بخير ما دام فيها يكمن الأحساس بالرغبة في حياة كريمة رائدة ، وما دمت تشعر بأن لديها شيئا ثمينا تقدمه إلى الانسانية ، وتحرص على إلزام الناس به ، أملا منها في أن يعيش العالم حياة طيبة .. شرط أن تكون التضحية في سبيل ذلك كله طريقا واضحا ومفروضا .

والأمة قبل أن تكون ذات نظرة بعيدة في تسنم مركز الصدارة في الحياة .. عليها أن تستكمل مقومات الأمة الكبرى .. أي أن تكون ذات مبدأ شامل عن الحياة الدنيا .. وكلما كانت نظرة هذا المبدأ صحيحة وعقيدته صادقة تكون فرص نجاحها في هذا المضمار أكبر وأوسع .

إلا أن الحياة المبدئية لأية أمة نوع من الجدية الصارمة ، والالتزام المطلق بأفكار ومفاهيم ذلك المبدأ .. وهذا يعني أن تكون أحكام المبدأ وثقافته هي المتحكمة في شئون المجتمع .

والأمة الاسلامية أمة مبدؤها الاسلام بعقيدته وأحكامه ومفاهيمه وثقافته ، وعلى هدى من الأوامر والنواهي التي يتضمنها تقيم الأمة الاسلامية نظام حياتها ، وتضبط تصرفاتها .

الاجتهاد والطريقة التي عينها الاسلام ونص على اتباعها في التعرف إلى أحكام الشريعة الاسلامية هي الاجتهاد فالاجتهاد ، هو : « بذل الوسع في استنباط الحكم الشرعي من أدلته التفصيلية » .

والمجتهدون هم الذين يتولون هذه المهمة .. ويقومون بها على الوجه الشرعي بعد تحقق الشروط المطلوب توفرها في المجتهد ، من توفر على دراسة النصوص الشرعية ، ومعرفة تامة بأوضاعها متنا وسندا ، وناسخا ومنسوخا ، ومحكما ومتشابها .. هذا إلى جانب الاحاطة بعلوم اللغة العربية لأنها أداة الاجتهاد ، ولأن النصوص الشرعية انما كتبت بها .

وضرورة الاجتهاد للمسلمين في كل مكان وزمان انما تنبع من حاجتهم إلى معرفة خطاب الله لهم فيما يعترضهم من مشاكل وقضايا وأمور مستجدة .. وما أكثرها .

لذلك رأينا تاريخ المسلمين مزحوما بالفقهاء والمجتهـدين الذين قصروا حياتهم ونشاطاتهم على تتبع القضايا والمسائل التى تجد على المسلمين لاستنباط الأحكام الشرعية لهـــا .

وفى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كان المسلمون يفزعون إليه حينما يحزبهم أمر يسألونه فيجيبهم ، فلم يكونوا بحاجة إلى اجتهاد .. ومع هـــذا فقد كان المسلمون حينمـــا يجدون أنفسهم بحاجة الى الأجتهاد يحاولون فهم النص على الأوجه التى يحتملها لغة وتعليلا . واقرهم على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مالك بن أنس :

ومن أوائل الذين دونت اجتهاداتهم لتصبح مذهبا متكاملا الأمام الكبير مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحـــــارث .

اختلفت الرواة فى تحديد سنة ميلاده ، واتفقت كلها على أنه ولـــد فى المدينة المنـــورة أو بالقرب منها فى مكان يسمى « ذو المروة » . ولعل اظهر الأقـــوال فى ميلاده انه ولد سنة ٩٣ هجرية . وكان مولده فى عهد الخليفـــة الأمـــوى الوليد بن عبد الملك .

ولم يكن قد مضى على تمكن الاسلام قرن واحد أمتد فيه سلطانه هـــذا الامتداد الشاسع حتى كاد يعم العالم المعروف . ودخل فى المجتمع الاسلامى اخلاط كثيرة صاغها الاسلام صياغة جديدة ، وجعلها أمـــة واحـــــدة .. مما احدث حالات كثيرة احتاجت الى البحث والتنقيب بواسطة الاجتهاد عن حكم شرعى لهـــا .. وقد مهـــد هذا الطريق إلى النابغين ذوى المواهب ليصبحوا هم المجتهدين بعد الدراسة والتثقف وممارسة التفقه بالدين عقيدة واحكـــــاما ونصوصا . فكان صاحبنا ثانى اصحاب المذاهب الاربعة المشهورة مولدا إذ كان قـــد سبقه إلى الحياة الأمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت الذى ولـــد ســـنة ٨٠ للهجرة .

نشــــــأته :

نشأ مالك بن انس فى بيت فقير ، فأبوه كان مقعدا يتكسب عيشه من ممارسة صناعة النبال ومات مبكرا ومالك لا يزال صبيا يافعا ، فعـــاش فى كنف أمـــه توجهه وتشير عليه ، وكان لها الفضل الأكبر فى اتخاذه ســـــبيله لطلب العلم ، بعد أن كاد تزيغ به قدمه إلى الغنـــاء ..

فقد روى أن ملكا اراد أن يشتغل بالغناء فى أول أمره ، فنصحته أمـــــه بترك ذلك وتعلم الفقه ، فانتصح .

واعتبرت هذه النصيحة نقطة تحول ، والمنعطف الايجابى فى حياة الامام مالك بن أنس .. اذ أنه انقطع إلى علماء الفقه انقطاعا يكاد يكـــون تاما .. إلى حـــد أنه نقض سقف بيته فباع خشبه لسد نفقاته فى طلب العلم .

وعلى الرغم من أن البالغين كانوا يأخذون راتبا من المال من بيت مـــال المسلمين .. فإن مالكا ظل يعيش فى حالة من التضييق فى نفقتـــه حتى فتح الله عليـــه .

مالك وطلب العلم :

وبمشورة من أمه أيضـــا اختار مالك أول ما اختار شيخا له هو ربيعة ابن أبى عبد الرحمن فروخ المعروف بربيعة الرأى ، واحد مستشارى عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل . فاطاعها ولزم ربيعة .. وتتلمذ أيضا على نافـــع مولى عبد الله بن عمر ، والامام جعفر بن محمد الباقر ، ومحمد مسلم الزهرى، وعبد الرحمن بن ذكوان ، ومحمد بن المنكدر ، وعبد الله بن دينار .. إلى جانب كثيرين آخرين من فقهاء التابعين ..

وطالب العلم الذى يعيش فى هذا الجو ينهل الثقافة ممن حملها وأشربت فى قلبه محظوظ ولا شك ولا بد أن يتكشف عن موهبته قدرة هائلة يتقدم بهـــا الصفوف ويـــؤم الناس .

وهكذا كان فان الامام مالك ما لبث ان استساغ طلب العلم وهضم ثقافته هضما جيدا ادى به إلى ان يجلس للفتيا وأن يتبوأ كرسى الامامة والعلم ، فيصبح فقيها عالما صاحب مذهب .

فقــه الامام مالك :

لا يهمنا كثيرا البحث عن دقائق حياة فقيهنا الكبير بقدر ما يهمنا التعمق فى طريقته التى عالج بها مهمته التى اضطلع بها وهى البحث الفقهى واستنباط الحكم الشرعى ، وممارسة الاجتهاد .. إذ أننا بحاجة ماسة إلى فهم طبيعـــة الاجتهاد باعتباره سبيلنا الوحيد للخروج من هذه الفوضى التشريعية التى نعانى منهـــا ..

وقـــد أثرت الأجـــواء التى احاطت بالامام مالك على الخطوط العريضة التى انتهجها فى فقهه واجتهاده ، فهو قد عاش فى المدينة المنـــورة مأوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومهبط الوحى ، وفيها كان يلتقى بالتابعين الذين اخذوا عن صحابة رسول الله مشافهة ، وورثوا فضلهم وتقاهم ، مما جعـــل لهم فى نفسه مكانة عظيمة .

وهو بطبيعة الحال يدرك أن الاسلام نصوص من عند الله سبحانه وتعالى: قرآن وسنة .

اصـــول فقهيـــة :

والقرآن الكريم عند مالك مقدم على غيره فما جاء به فهو الحـــق الذى لا يحاد عنه أبدا .. يستعين على فهمه بآياته يفسر بعضها بعضا ، وبالحديث النبـــوى الشريف بعض آيات القرآن .

واعتنى مالك **بالحـــديث** عناية كبيرة فانه كان واعيا حافظا ، يدقق فى رواية الحـــديث ، ولا يأخذه إلا ممن جمع الوعى مع الحفظ والفهم مع التقوى . وكان اذا شك فى أمر تركه كما قال عنه الشافعى رضى الله عنه .

وهو يقول فى هذا الشأن : « كتبت بيدى مائة الف حديث » وقـــال : « ان هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذونه لقد ادركت سبعين ممن يقـــول : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذه الأساطين . واشار إلى أعمدة المسجد ـــ فما أخذت عنهم شيئا ، وان أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان أمينا. الا انهم لم يكونوا أهـــلا لهذا الشأن » .

وبحكم وجوده فى المدينة المنورة ، وقرب مقامه من الرسول صلى الله عليه وسلم فان مهابته للحديث كانت على درجة كبيرة ، وتقديره لآثار الرسول كان لها مكانة ضخمة فى نفس الامام مالك .

ويعتبر مالك **فتوى الصحابة** حكما شرعيا يؤخذ به لأن الصحابة رضوان الله عليهم هم أقرب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن هاجر ونصر ، وتلقى مشافهة عنه .

أما تفسير مفهوم **الاجماع** عند مالك فهو ما اجتمع عليه اهل الفقه والعلم .

وإلى جانب ذلك فمالك يعتمد على **عمل اهل المدينة** ويتخذه مصدرا تشريعيا أو أصلا من أصول الفقه .. اى يعتبر عمل الصحابة دليلا شرعيا ..

وهناك **القياس** وهو الحاق أمر بأمر لعلة جامعة بينهما ، وفى اعتبار مالك أن القياس دليل شرعى على الاحكام يعطيها الصفة الشرعية .. واخذه معتبر .

وأضاف مالك إلى هذه المصادر التشريعية مصادر أربعة أخرى ظنها إصولا وليست بذاك كالاستحسان ، والعرف ، وسد الذرائع ، والمصالح المرسلة .. وهو لا يلجأ إلى هذه الأصول إلا بعد ان يعييه البحث فى الكتاب والسنة والاجماع وعمل الصحابى والقياس ، وعمل أهل المدينة .. ومع هذا فهو يتحرز عن الأخذ بالمصالح المرسلة ويضع لها شروطا ان لا تتنافى المصلحة مع أصل من أصول الاسلام ، ولا مع دليل قطعى من أدلته .

وان تكون المصلحة مقبولة عند ذوى العقول .

وان يرتفع بها الحرج لقوله تعالى : « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » .

صلة مالك بالحكام :

كانت القاعدة التى يتبناها مالك فى تعامله مع الحكام وفى دعوة الآخرين للتعامل معهم واضحة تمام الوضوح وهى :

« أن العلم اشرف من أن يرتمى على أعتاب الحكام ، وينبغى أن يستعمل لتصحيح اعوجاجهم ، وقد اوقعت هذه التصرفات تجاه الحكام الامام مالك فى مآزق حتى أنه جلد فى المدينة زمن أبى جعفر المنصور بسبب فتواه التى اعتمد فيها على الحديث الشريف « ليس على المكره طلاق » والتى فسرت عن طريق القياس على الايمان التى يقسمها الناس عندما يبايعون الخليفة . ولكن مكانة مالك أجبرت المنصور على الامر بالعفو عنه .

وطلب المنصور مالك أن يحضر اليه فرفض .. فلما حج المنصور عرج عليه فى المدينة فقابله وواساه ثم رغب إليه أن يجمع فقهه فى كتاب ليصبح مذهب الدولة كلها .. ولكن مالك ماطل فى ذلك ولم ينته من تدوين كتابه الموطأ إلا فى سنة تسع وخمسين والف اى بعد احد عشر عاما من تكليف المنصور إياه ، فمات المنصور قبل أن يتم الكتاب .

وهنا يبين مالك مسألتين هامتين وهما مسألة التقليد ، ومسألة التبنى .

فمسألة التقليد يدخل فيها موضوع الاجتماع والاتباع .. وفيها لا يجوز

الحجر على الاجتهاد ولا فرض المسائل على الناس بالقصر لان لكل مجتهـــد نصيب من الحق توصل اليه باجتهاده . وأما مسألة التبنى فانها مسألة تتعلق بالحاكم وهل يجوز له أن يأخذ برأى واحد ويجبر الناس على تطبيقه .. وهنا لا يرضى مالك أن يكون هذا التبنى عاما شـــاملا لكل أحكام الفقه . لذلك فقد رفض مالك إجبار الناس على ما فى موطئه من أحكام عندما عـــاود سؤاله إلى ذلك هارون الرشيد .

الموطـــــا :

وكتاب الموطــأ الذى دونه مالك هو كتاب فقه يجمع احاديث الرسول وعمل أهل المدينة وأقوال الصحابة أدلة على احكامه الفقهية .

فهو يقول : « اما أكثر ما فى الكتاب فرأى لعمرى ما هو برأى ، ولكن ســـماع من غير واحد من أهل العلم والفضل والأئمة المهتدى بهم الذين اخذت عنهم . وهم الذين كانوا يتقون الله تعالى ، فكثر على فقلت رأيى ، اذ كان رايهم رأى الصحابة الذين ادركوهم عليه ، وادركتهم أنا على ذلك ، فهذا وراثـــة توارثوها قرنا عن قرون إلى زماننا ، وما كان رأيا فهو رأى جماعة ممن تقدم من الأئمة .

وما كان فيه الأمر المجتمع عليه فهو ما اجتمع عليه من قول أهل الفقـــه والعلم لم يختلفوا فيه ، وما قلت : الامر عندنا ، فهو ما عمل الناس به عندنا ، وجرت به الأحكام وعرفه العام والخاص وكذلك ما قلت فيه : ببلدنا ، وما قلت فيه : بعض أهلها ، فهو شىء أستحسنه من قول العلماء .

واما ما لم اسمعه منهم ، فاجتهدت ونظرت على مذهب من لقيته ، حتى وقع ذلك موقع الحق او قريبا منه ، حتى لا يخرج عن مذهب أهل المدينة وارئهم . وان لم اسمع ذلك بعينه فنسبت الرأى إلى بعد الاجتهاد مع السنة .. وما مضى عليه عمل أهل العلم المقتدى بهم ، والأمر المعمول به عندنا منذ لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم والأئمة الراشدين مع من لقيت ، فذلك رأيهم ما خرجت الى غيره » .

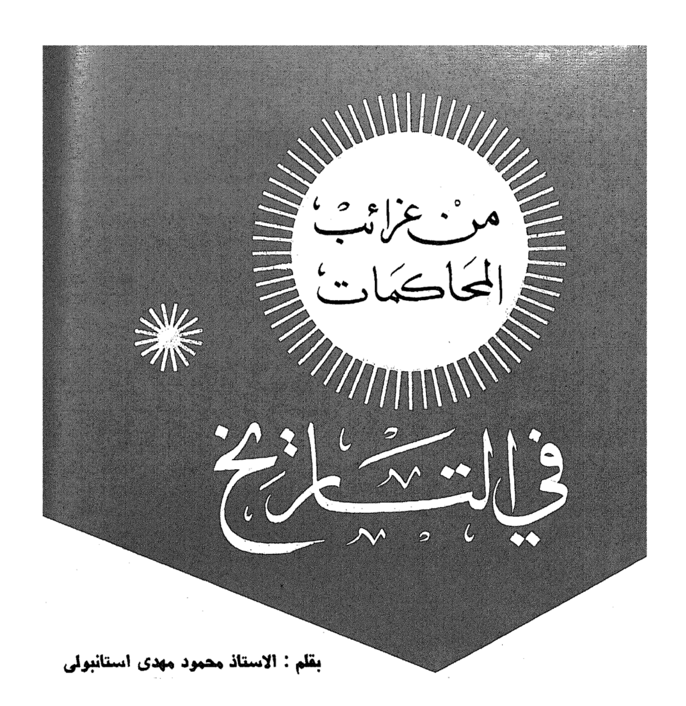
وهذه المقدمة توضح الطريق الذى اتبعه مالك فى فقهه واجتهاده ويمكن تلخيصها بأنها اعتماد على النصوص من الكتاب والسنة وأقوال الصـــحابة والآثار من عمل أهل المدينة ، ثم الاجتهاد أى بذل الوسع فى استنباط الحكم الشرعى فى المسائل المستجدة التى لم يجد لها حكما .

وهى الطريق الواضح المبسوط لكل مجتهد بعد تقعيد القواعد الاصولية لفقهـــه .

وفـــاة مالك :

مرض مالك اثنين وعشرين يوما وكانت وفاته بالمدينة فى يوم الرابـــع عشر من ربيع الاول سنة ١٩٩ هجرية .

ودفن بمقبرة البقيع رضى الله عنه .



بقلم : الاستاذ محمود مهدى استانبولى

نشرت مجلة المختار (ريدرزدايجست) فى احد اعدادها مقـــالا بعنوان ((داروين فى قفص الاتهام)) بقلم (جون سوكبس) ذكر فيه قصة محاكمته ، لأنه قال : ان اصل الانســـــان قرد .. كما يزعم داروين فى نظريته : ((النشـــوء والارتقاء)) التى تخالف ما جاء فى التوراة والانجيل .

وقد اصدر القاضى حكمه عليه بطرده من التعليم وتغريمه (١٠٠) مئة دولار مع المصاريف ، بناء على طلب هيئة المحلفين ، وكان عددهم اثنى عشر ، ثلاثة منهم لم يسبق لهم ان قراوا اى كتاب سوى الانجيل ، واعترف واحد بانه لا يعرف القــراءة !

فما اجهل واسخف نظام المحلفين البالى ، الذى لا يعرف الحق كحق ، انما يعرفه حسب صداه فى الراى العام مهما كان هذا الراى جاهلا وظالما .

وإلى القارىء وصف طريف لهذه المحاكمة الغريبة :

سرت دمدمة بين افراد الجمهــور ، وانا اتخذ مكانى فى قاعـــة المحكمة المزدحمة ببلدة ((دايتون)) الصغيرة بولاية تنيسى فى ذلك اليوم الشديد القيظ من

ايام يوليو ١٩٢٥ . وقد جلس الى جوارى امام منضدة الدفاع المحامى الأول عن كلارنس دارو أشهر محامى الجنـايات ، بينما جلس فى مواجهتنا نجم الادعاء وليام جننجز بريان الخطيب الذى اشتهر بزلاقة لسانه وهو يحرك فى وهن مروحة من سعف النخيـل .. وقد رشح الحـزب الديموقراطى بريان ثلاث مرات فى انتخابات الرئاسة ، وهو زعيم حركة « الأصولية » التى تدعو للتمسك بحرفية الكتاب المقدس ، والتى كانت السبب فى تقديمى للمحاكمة ..

كنت قبل ذلك ببضعة اسابيع مدرسا ثانوياً مغموراً فى بلدة جبلية صغيرة ، وهاأنذا الآن اشترك فى محاكمة تذاع انباؤها فى انحاء العالم ، وقد جلس فى قاعة المحكمة استعدادا للشهادة فى صالحى ١٢ من مشاهير الأساتذة والعلماء وفى مقدمتهم البروفسور كيرت لى ماثر الأستاذ بجامعة هارفارد .. وكان هناك اكثر من مائة مخبر من مخبرى الصحف ومندوبى الاذاعة ، الذين جاءوا لأول مرة فى التاريخ لإذاعة إحدى المحاكمات التى تجرى أمام هيئة من المحلفين ..

● ● ●

لقد أحاطت هذه القضية برأسى بعد وصولى الى بلدة « دايتون » بقليل ، لتدريس العلوم وتدريب فريق الكرة فى المدرسـة الثانوية .. وكان هناك صـدام بين أنصار « الأصـولية » من أهالى البلدة ، وأنصـار النظريات الحـديثة ، فالأصوليون يتمسكون بالتفسير الحرفى للنصوص الدينية ، بينما يقبل الآخرون نظرية النشوء والارتقاء التى نادى بها عالم الأحياء البريطانى (تشارلس داروين) فى القرن التاسع عشر ، والتى تتلخص فى أن كل الحياة الحيوانيـة ، بما فيها القردة والانسان ، قد نشأت عن سلف مشترك .

وكان مذهب (الأصولية) قويا فى ولاية تنيس ، وقد أصـدر المجلس التشريعى للولاية أخيرا قانونا يجرم تدريس أية نظرية تنكر قصة الخلق كما وردت فى الانجيل ، وكان القانون الجديد يهدف بصفة خاصة الى تحريم نظرية داروين عن التطـور ، وقد اعتاد مهندس يدعى جورج رابلين أن يجلس فى « صيدليـة روبنسون » كل يوم حيث يجادل لفيفاً من أهل البلدة مهاجماً القانون .. وفى خلال مناقشة من هذه المناقشات قال رابلين أنه ليس هناك مدرس يستطيع أن يدرس علم الأحياء ، دون أن يشرح نظرية النشوء والارتقاء ... ولما كنت مدرساً لعلم الاحياء ، فقد بعثوا فى طلبى لمعرفة رأيى ..

وجئت لأقول لهم رابلين على حق .. وعندئذ قال الصيدلى روبنسون :

ــ اذاً فأنت تخرق القانون !

قلت :

ــ وكذلك يفعل كل مدرس آخر .. فقد ورد شرح نظرية التطور فى كتاب هانتر عن علم الأحياء ، وهو الكتاب الذى ندرّسه للطلبة .

واقترح المهندس أن نحمل الأمر الى القضاء لنختبر مدى ما فيه من شرعية

وعندما تلقيت قرار الاتهام فى ٧ مايو ، لم يكن هناك من يتوقع أن تصـبح قضيتى من أشهر المحاكمات التى دارت فى تاريخ الولايات المتحدة .. فقد أعلن « اتحاد الحريات المدنية » فى أمريكا أنه سينقل قضيتى الى المحكمـة الأمريكية العليا إذا دعا الحال ليقرر ما اذا كان للمدرس أن يذكر الحقيقة دون أن يلقـوا به فى السجن ، ثم تطوع بريان لمساعدة الولاية فى اثبات اتهامى، وعلى الفور عرض المحامى الكبير كلارنس دارو خدماته للدفاع عنى . والطريف أننى لم أكن أعرف دارو قبل ذلك .

وفى الوقت الذى بدات فيه المحاكمة يوم ١٠ يوليو ١٩٢٥ ، كانت بلدتنا التى لا يزيد عدد سكانها على ١٥٠٠ نسمة قد اصبحت اشبه (بالسيرك) ..

فقد امتلأت المبانى على طول الشارع الرئيسى بالاعلام والرايات ، وازدحمت الشوارع التى تحيط بمبنى المحكمة العتيق بمنصات مؤقتة لبيع السجق والكتب الدينية والبطيخ ، واقام بعض رجال الدين الانجيليين خياما للوعظ .

وبالإضافة الى دارو الداهية الذى يبلغ الثامنة والستين ، كان الدفاع عنى يتكون من المحامى الوسيم الساحر « راولى فيلد بالون » و « ارثر جارفيلد هايز » الهادىء المتبحر فى القانون .. وفى هذه المحاكمة التى يلعب فيها الدّين دوراً رئيسيا كان دارو يمثل الالحاد .. ومالون يمثل الكاثوليكية .. اما هايز فهو يهودى ، وجاء ابى من ولاية كنتكى ليكون الى جوارى خلال المحاكمة .

ودعا القاضى رولستون احد القسس المحليين ليفتتح الجلسة بالصلاة .. ثم بدات المحاكمة بإحضار المحلفين ، وقد ذكر ثلاثة من المحلفين الاثنى عشر انه لم يسبق لهم أن قرأوا اى كتاب سوى الانجيل ، واعترف واحد بأنه لا يعرف القراءة !

وبعد المناقشات الأولية على الشكليات القانونية ، نهض دارو ليلقى كلمته .. فقال :

ـــ يقول صديقى المدعى العام ان (جون سكوبس) يعرف لماذا يمثل امامنا اليوم ..

وانا اعرف ايضا لماذا هو هنا .. انه هنا لأن الجهل والتعصب قد تحالفا معا وهو تحالف بالغ القوة ..

وجلس بريان يقرض بأسنانه أطراف مروحته المصنوعة من سعف النخيل ، بينما سار دارو ببطء فى ارجاء القاعة التى تتلظى من حرارة الجو ..

واستطرد يقول :

ـــ انكم تحاكمون اليوم احد مدرسى المدارس العامة ، وغدا الخاصة .. وبعد ذلك محررى الكتب والصحف والمجلات .. وبعد فترة قليلة تطلقون الانسان على الانسان ، والدين ضد الدين .. حتى نسير القهقرى .. الى القرن السادس عشر المجيد ، الذى كان المتعصبون فيه يشعلون حزم الحطب ليحرقوا الرجال الذين يجرؤون على ادخال اى ذكاء أو تنوير أو ثقافة الى العقل البشرى .

وعندما أنهى دارو خطابه . همست سيدة بصوت مرتفع : هـذا الكافر الملعــون !

وفى اليوم التالى بدأت النيابة فى استدعاء شهود الإثبات ، فشهد اثنان من تلاميذى ، وهما ينظران إلىّ ، وعلى شفتيهما بسمة الخجـل ، بأننى كنت أدرس لهما نظرية النشوء والارتقاء ..

ثم أضافا قائلين : ان هذه التجربة لم تسمم افكارهما !

وبعد أن انتهت الشهادة ، نهض بريان ليلقى كلمته على المحلفين ..

فقال : المسألة بسيطة ، فالمسيحى يؤمن بأن الانســان جاء من اعلى .. واصحاب نظرية التطور يؤمنون بأنه جاء من اسفل .. وهنا ضحك الجمهور مما شجع بريان على مواصلة حملته.، وكان يمسك فى يده كتابا لعلم الأحيــاء ، ويصيح ضد العلماء الذين جاؤوا الى البلدة ليشهدوا فى صالح الدفاع ..

وعندما انتهى بريان من كلمته الحماسية وقد برز فكه وتألقت عيناه صفق الحاضرون بشدة ..

وعلى الرغم من ذلك ، فقد بدا بوضوح أن أيام الحماسة البالغة التى كان بريان يكتسح فيها مؤتمر الحزب الديمقراطى اكتساح النار الهشيم قد ولت .. واحس الجمهور أن بطله لم يحرق الكفرة بأنفاسه الملتهبة كما كان يجب أن يفعل .

ونهض راولى مالون ليرد فقال :

إن مستر بريان ليس الوحيد الذى له الحق فى التحدث عن الانجيل ، بل هناك أشخاص آخرون فى هذه البلاد وهبوا حياتهم كلها لله والدين ، أما بريان فقد وهب اغلب حياته وحماسته للسياسة .

ورشف بريان بعض الماء بينما كان صوت مالون يزداد ارتفاعا وهو يدعو لحرية الثقافة ، واتهم بريان بأنه يدعو لصراع حتى الموت بين العلم والدين .

وعندما انتهى مالون ، ساد الصمت فى انحاء القاعة لحظة ، ثم انفجرت فجأة عاصفة مدوية من التصفيق ، فاقت ما لقيه بريان .. ووجدت نفسى أربت على ظهر مالون الذى كان العرق يبلل سترته .. ولكن على الرغم من أن مالون قد كسب جولة الخطابة ، فان القاضى رولستون رفض أن يسمح للعلماء بالشـــهادة لصالح الدفاع .

وبعد أن تأجلت الجلسة ، امتلأت شوارع البلدة بالغرباء .. كان الباعة يصيحون على سلعهم فى كل ركن ، وكان هناك ٢٢ من عمال التلغرافات يرسلون كل يوم ١٦٥ الف كلمة عن المحاكمة .

وبسبب الحرارة الشديدة والخوف من انهيار سقف مبنى المحكمة القـــديمة تحت ثقل الحشود المزدحمـــة ، فقد تقرر استئناف المحاكمة فى الخـــارج تحت الأشجار العالية . وبلغت المحاكمة ذروتها عندما تمسكت النيابة بوجوب تفسير الكتاب المقدس حرفيا وفقا لنص القانون المعـــادى لنظرية داروين ، وعندئذ كشف المحامى دارو عن ورقته الرابحة . بدعوة بريان نفسه للشهادة لصـــالح الدفـــاع !

ونظر القاضى اليه فى ذهول ..

وعندئذ قال دارو :

ـــ اننا ندعوه بصفته خبيرا فى الانجيل .. وسمعته كخبير فى النصوص المقدسة ، معروفة فى انحاء العالم !

وساورت الشكوك بريان ، حيال دعوة دارو الداهية .. ولكنه لم يستطع أن يرفض هذا التحدى ، فقد ظل بضع سنوات يحاضر ويكتب عن الكتاب المقدس ويشن حملة عنيفة على نظرية داروين فى أنحـــاء الولاية حتى قبل أن يصـــدر القانون الذى يحرم تدريسها ..

وتلا دارو نصاً من سفر التكوين يقول : « والمساء والصباح كانا اليـــوم الأول » .

ثم سأل بريان عما اذا كان يعتقـــد أن الشمس قد خلقت فى اليوم الرابع فقال بريان أنه يعتقد ذلك .

وعاد دارو يسأله :

ـــ وكيف يتسنى ان يكون هناك صبح ومساء بلا شمس ..؟!!

فمسح بريان صلعته اللامعة فى صمت .. وسرت قهقهة بين الحضور حتى الأتقياء منهم ، بينما أخذ دارو يحكم وثاق الطوق الذى يطوق به عنق بريان .. فسأله عما اذا كان يعتقد حرفياً فى قصة حواء . فأجاب بريان بالإيجـــاب .. فقال دارو :

ـــ وهل تعتقد أن الله عاقب الحية بأن حكم على كـــل الحيات بعدئذ أن تزحف على بطونها الى الأبد (١) .

ـــ أجل .. اننى أؤمن بذلك ..

ـــ حسنا .. هل تعرف كيف كانت الحية .. تسير قبل ذلك .. ؟

وعندئذ انفجر الجمهور ضاحكا . واحمر وجه بريان وارتفع صـــوته فى حشرجة ، واهتزت المروحة فى يده . ودق القاضى مطرقته لإسكات الجمهور ، ثم أجل المحاكمة لليوم التالى ..

ووقف بريان المخذول وحده .

وفى ظهر اليوم التالى طلب القاضى الى المحلفين أن يصـــدروا قرارهم ، فاختلوا فى أحد أركان حديقـــة المحكمة ، وظلوا يتبادلون الهمس تسع دقائق ، ثم صدر حكمهم بأننى مذنب ..!

وأصدر القاضى رولستون حكمه بتغريمى ١٠٠ دولار مع المصاريف ..

وقد وصف ورادلى فيلد مالون هذا الحكم بأنه (هزيمة منتصرة) وأشارت بعض صحف الجنوب ـــ التى لا تزال مخلصة لبطلها المخذول بريان ـــ الى الحكم باعتباره انتصارا له ، ولكن بريان كان حزينا مجهدا . فمات بعد يومين من صدور الحكم فى بلدة دايتون !

وعرض علىّ أن أعود لوظيفتى كمدرس ، ولكننى رفضت ، فقد حصل بعض الأساتذة الذين جاؤوا للشهادة فى صالحى على منحة لى من جامعة شيكاغو ، لأتمكن من متابعة دراسة العلوم . وأصبحت فيما بعد خبيرا جيولوجيا لإحدى شركات البترول فى لويزيانا وأمريكا الجنوبية .

ومنذ فترة قصيرة ، عدت الى « دايتون » لأول مرة منذ محاكمتى التى تمت منذ ٣٥ عاما .. وبدت البلدة الصغيرة فى نظرى كما كانت تقريبا . فيما عـــدا جامعة « وليام بريان » التى اقيمت فوق قمة تل يطل على الوادى .

وكانت هناك بعض تغيرات أخرى أيضا . فمذهب التطور أصبح يدرس فى ولاية تنيسى بالرغم من أن القانون الذى أداننى لا يزال قائما واجتاحت العاصفة الخطابية التى نفخها كلارنس دارو ورادلى مالون كل المدارس والجمعيـــات التشريعية فى انحاء أمريكا ، وكأنها الريح المنعشة التى تجلب فى أعقابها جوا جديدا من الحرية الثقافية والعلمية تنمو على مر السنين(٢) .

● ● ●

وهكذا انهزم بريان محامى الادعاء معنويا أمام الجماهير نتيجة دفاع دارو محامى الدفاع وانهزمت بانهزامه التوراة التى اتضح أنها تناقض العلم والتجربة والمشاهدة مناقضة لا تدع مجالا للشك !

وقد سرت موجة الإلحاد فى الغرب بسبب ذلك ما دام أن الدين يخالف العلم

والحق أن دارو كان خبيثا فى دفاعه ، كما كان بريان مفعلا فى ادعائه ، فقد كان يكفيه أن يطالب بعقوبة المعلم لتدريسه نظرية لا تزال قيد التجربة ، وقد رفضها كثير من العلماء وأثبتوا مناقضتها للعلم ، ويعتبر الأسئلة السابقة لدارو عما جاء فى التوراة ، خروجا عن الموضوع ، وتهربيا من الجريمة .

ولكن شاءت الأقدار الإلهيـــة أن يتضح ما فى التوراة من مخالفات للحقيقة العلمية والمشاهدة الحسية نتيجة تحريفها كما اعترف بذلك كثير من المؤرخين الغربيين أنفسهم ..

وقد أصدرت مجلة (لايف) العالمية عددا خاصا باسم (الكتاب المقدس) نقتطف منه ما يلى على قاعدة من فمك أدينك .

تقول هذه المجلة :

هذا الكتاب الذى نحن بصدده أوسع الكتب انتشاراً .. ولكنه مع ذلك كتاب إنسان !! ان مؤلفيه يحملون اسماء ذائعة الصيت .. ولكن أغلب كلماته كتبها أشخاص آخرون لا يعرف أحد من هم !! ولا يمكن معرفتهم فى يوم من الأيام لقد ظل الوحى الإلهى الى الانسان ينتقل من الأب الى الابن ألف سنة تقريبا بعد (ابراهيم) من غير أن يكتب ! وبعد ذلك فقط بدأ اليهود فى تدوينه ! وكان ذلك قبل الف سنة أخرى جديدة.وقد استلزم الأمر أن تعاد كتابة لفائفهم .ة مرات . وأن تنقل وتنسخ . مما أوجد فرصا أخرى جديدة لا تحصى لتغييرات لا عد لها ، وبعضها مقصود !!

والبعض الآخر غير مقصود . ولما بدات المسيحية تنتشر بسرعة ، ازدادت الحاجة الى عمل نسخ جديدة ، لا سيما (العهد الجديد) واخذ كثير من المؤمنين يصنعون نسخا لانفسهم بأنفسهم ، أو كان أحدهم يقرأ بصوت مرتفع فى (النسخ) بينما كان يتلقى عنه ما يقرب من اثنى عشر ناسخا ، وهذا ما مهد الطريق لاخطاء اكثر واكثر !!

لذلك فإنه لا يوجد اليوم اى نص (اصلى) لأى جزء من هذا الكتاب !! وربما حوى (العهد الجديد) تغييرات أكثر وابلغ من (العهد القديم) !! هـ ..

ونورد فيما يلى مثالا من تحريف التوراة على مر السنين من أصل مئات الأمثلة ما جاء فى ترجمة سفر التكوين المطبوعة سنة ١٨١١ « هكذا سمى ابراهيم اسم الموضع مكان يرجم الله زائره » .

وفى ترجمته المطبوعة سنة ١٨٤٤ وردت هذه الفقرة هكذا « دعا ابراهيم اسم ذلك المكان : الرب يرى » .

وفى سفر التكوين فى النسخ المتداولة اليوم .

« فدعا ابراهيم اسم ذلك المكان : يهوه يراه » .

أنظر الاصحاح الثانى والعشرين الفقرة الرابعة عشرة منه .

ومن اعظم الأدلة على تحريف التوراة ما جاء فيها من انحرافات اخلاقية فى حق الأنبياء المعصومين الذين أرسلوا لهداية البشر وتهذيبهم والى القارىء بعض الأمثلة على ذلك ..

أولا : النبى لوط زنا بابنتيه (سفر التكوين الاصحاح ١٩ الفقرة ٣٠) .

ثانيا : أحد أولاد يعقوب يزنى بسرية أبيه (سفر التكوين : ٣٥ : ٢٢) .

ثالثا : النبى يهوذا بن يعقوب يزنى بكنته (سفر التكوين : ٣٨ — ٦) .

رابعا : داود يزنى بامرأة قائده أوريا (سفر صموئيل الثانى : ١١ — ٢) .

خامسا : احد أولاد داود يزنى بأخته (صموئيل : ٢ — ١٣) .

سادسا : النبى سليمان يعبد الأصنام (سفر الملوك الأول : ١١) .

سابعا : تغزل هذا النبى بالنساء تغزلا فاحشا ويهيم بهن كأحد العشاق الفساق (نشيد الأنشاد) .

ولم يكتف محرفو التوراة بنسبة الزنا الى الانبياء ، بل راحوا ينسبونه الى الله نفسه ! « تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا » راجع سفر حزقيال (الاصحاح الثالث والعشرون) .

● ● ●

نعود بعد هذا الاستطراد الى نظرية داروين التى صالت وجالت فى القرن الماضى ، وكانت سببا فى الحاد الكثيرين وارتمائهم فى أحضان الشهوات البهيمية

بعد ما زعمت أن أصل الانسان حيوان ، وقد تبع ذلك انكار الإله والبعث ..

نعود لهذه النظرية لنثبت انهيارها وضلالها وجهل واضعها ، باعتراف كبار أنصارها وأشدهم تحمسا لها .

قال جوليان هكسلى معلناً بكل صراحة تفرد الانسان واستقلاله عن جميع الحيوانات .

« وبعد نظرية داروين لم يعد الانسان مستطيعا تجنب اعتبار نفسه حيوانا ولكنه بدأ يرى نفســـه حيواناً غريباً جداً . وفي حالات كثيرة لا مثيل له . ولا يزال تحليل تفرد الانسان من الناحية البيولوجية غير تام »(٣) .

وإذن فالانسان متفرد في كيانه البيولوجي ذاته .. الذى ظن فيه داروين المشابهة الكاملة للحيوان ، وبنى عليه تفسيره الحيوانى للانسان !

ويسرد هكســـلى الواناً من هـــذا التفرد البيـــولوجي . من بينها انه في الحيوانات كلها ترتبط العضـــلات بالمخ بنوعين من الأعصاب ، أحدهـــا يتصل بالعضـــلات القابضة ، والثانى يتصل بالعضـــلات الباسطة ، ولا يصدر مخ الحيوان إلا نوعاً واحداً من الاشارات في اللحظة الواحدة . فإما إشارة للعضلات القابضة ، وإما إشارة للعضلات الباسطة ، فالكلب اما أن يهرش واما أن يجرى في اللحظة الواحدة ، ولا يستطيع أن يهرش ويجرى معاً في ذات الوقت . أما الانسان ، فهو ــ وحده في هذه الخلائق كلها ــ الذى يستطيع ان يقوم بأعمـــال متعارضة في آن واحد ، لأن مخه يستطيع ان ينسق بين الاعمال المتعارضة(٤) !

ويتحدث هكسلى عن « خواص » الانسان البيولوجية فيقول :

« واولى خواص الانسان الفذة وأعظمها وضـــوحاً ، قدرته على التفكير التصويرى ، واذا كنت تفضل استخدام عبارات موضوعية ، فقل : استخدامه الكلام الواضح .

« ولقد كان لهذه الخاصية الاساسية في الانســـان نتائج كثيرة ، وكان أهمها نمو التقاليد المتزايدة .. »

« ومن أهم نتائج تزايد التقاليد ــ أو إذا شئت ــ من أهم مظاهره الحقيقية ما يقوم به الانسان من تحسين فيما لديه من عدد وآلات ..

« وإن التقاليد والعدد لهى الخواص التى هيأت للانسان مركز السيادة بين الكائنات الحية . وهذه السيادة البيولوجية في الوقت الحاضر خاصية أخرى من خواص الانسان الفذة .

ولم يتكاثر الانسان فحسب ، بل تطور ، ومدّ نفوذه ، وزاد من تنوع سبله

« وهكذا يضع علم الحياة الانسان في مركز مماثل لما أنعم به عليه كسيد المخلوقات ، كما تقول الأديان .

« ولقد أدى الكلام والتقاليد والعدد الى كثير من خواص الانسان الاخرى ، التى لا مثيل لها بين المخلوقات الأخرى ، ومعظمها واضح معروف .. ولذلك أرى عدم التعرض لها حتى أنتهى من التحدث عن الخواص غير المعروفة كثيراً ، لأن الجنس البشرى ــ كنوع ــ فريد في صفاته البيولوجية الخالصة . ولم تلق تلك الصفات من العناية ما تستحق ، سواء من وجهة نظر علم الحيوان ، أو من

وجهة نظر علم الاجتماع .

« ... واخيرا فإن الانسان لا مثيل له بين الحيوانات الراقية فى طريقة تطوره » .

ويقول هكسلى ايضا فى موضع آخر :

« ... وهذه الخواص التى امتاز بها الانسان ، والتى يمكن تسميتها « نفسية » أكثر منها « بيولوجية » تنشأ من خاصية أو أكثر من الخواص الثلاث الآتية:

« الأولى » قدرته على التفكير الخاص والعام .

« الثانية » التوحيد النسبى لعملياته العقلية ، بعكس انفصام العقل والسلوك عند الحيوان .

« الثالثة » وجودات الوحدات الاجتماعية مثل القبيلة والأمة والحزب والجماعة الدينية ، وتمسك كل منها بتقاليدها وثقافتها .

« وهناك نتائج ثانوية كثيرة لتطور العقل من مرحلة ما قبل الانسان الى مرحلة الانسان (٥) ، وهى بلا شك فريدة من الناحية البيولوجية . ولنذكر منها العلوم الرياضية البحتة والمواهب الموسيقية ، والتقدير والابداع الفنيين ، والدين ، والحب المثالى ..

« ولكن لا يكفى هنا أن نحصى بعض أوجه النشاط ، ففى الحقيقة أن معظم أوجه النشاط الانسانى وخواصه ، نتائج ثانوية لخواصه الأصلية . وكذلك فهى فذة من الناحية البيولوجية !!.. وقد يكون لتفرد الانسان نتائج ثانوية أخرى لم تستغل بعد ... »

« وبذلك يكون الانسان فريدا فى أحواله أكثر مما نظن الآن »(٦) .

وقال العالم الأمريكى : « ا. كريسى موريسون » فى كتابه :
" Man does not alons " الذى ترجمه الى العربية الأستاذ محمود صالح الفلكى بعنوان « العلم يدعو الى الايمان » .

« ان القائلين بنظرية التطور (النشوء والارتقاء) لم يكونوا يعلمون شيئا عن وحدات الوراثة » (الجينات) !! ص ١٤٥ .

« لقد رأينا أن « الجينات » متفق على كونها تنظيمات أصغر من الميكروسكوبية للذرات فى خلايا الوراثة بجميع الكائنات الحية ، وهى تحفظ التصميم ، وكل السلف ، والخواص التى لكل شىء حى . وهى تتحكم تفصيلا فى الجذر والجذع والورق والزهر والثمر لكل نبات ، تماما كما تقرر الشكل والشعر والأجنحة لكل حيوان بما فيه الانسان » (ص ١٤٧) .

« .. ويلاحظ ان جميع الكائنات الحية ، منفصل بعضها عن بعض بهوات كثيفة لا يمكن عبورها !! حتى ان الحيوانات المتقاربة ينفصل بعضها عن بعض كذلك » .

« والانسان حيوان من رتبة الطليعة ، وتكوينه يشبه فصائل « السيميا »

(الاورانجتان والغوريلا والشمبانزى) ولكن هذا الشبه الهيكلى ليس بالضرورة برهانا على أننا من نسل أسلاف سينمائية (من القرود) أو أن تلك القرود هى ذرية منحطة للانسان ، ولا يمكن احد أن يزعم أن سمك القد (Cod) قد تطور من سمك الحساس وإن يكن كلاهما يسكن المياه نفسها ، ويأكل الطعام نفسه ، ولهما عظام تكاد تكون متشابهة .. » (ص ١٤٢) .

« إن ارتقاء الانسان الحيوانى الى درجة كائن مفكر شاعر بوجوده هو خطوة أعظم من أن تتم عن طريق للتطور المادى ، ودون قصد ابتداعى » .

« وإذا قبلت واقعية القصد ، فان الانسان بوصفه هذا قد يكون جهازاً ، ولكن ما الذى يدير هذا الجهاز ؟ لأنه بدون أن يدار ، لا فائدة منه ، والعلم لا يعلل من يتولى إدارته ، وكذلك لا يزعم أنه مادى ! »

« لقد بلغنا من التقدم درجة تكفى لأن نوقن بأن الله قد منح الانسان قبساً من نوره ، ولا يزال الانسان فى طور طفولته من جهة الخلق ، وقد بدأ يشعر بوجود ما يسميه « بالروح » وهو يرقى فى بطء ليدرك هذه الهيئة بغريزته بأنها خالدة » . ؟

هذا — ومن أهم ما ينبغى الاشارة اليه أن دارون لم يكن ملحداً — كما يتولون(٧) — بما أدت نظريته الى انتشار الالحاد بين الناس . وقد كان من أهم غاياته رد المخلوقات الكبيرة الى الحيوانات الصغيرة البسيطة بظنه ، ليعلل طريقة وجود الحياة على الأرض لانقاذ العلم من الوقوف عاجزاً عن إيجاد تعليل صحيح لها .

وقد كان مخطئاً خطأ فاحشاً فيما ذهب اليه من ظنه ببساطة هذه المخلوقات التى زعمها بدائية نشأت فى الطبيعة أول ما نشأت ثم تطورت منها الحيوانات الأخرى .

يقول « رسل تشارلز إرنست » أستاذ الأحياء والنبات بجامعة فرنكفورت بالمانيا :

« لقد وضعت نظريات عديدة لكى تفسر نشأة الحياة من عالم الجمادات ، فذهب بعض الباحثين إلى أن الحياة قد نشأت من البروتوجين ، أو من الفيروس ، أو من تجمع بعض الجزئيات البروتينيةالكبيرة ، وقد يخيل الى بعض الناس أن هذه النظريات قد سدت الفجوة التى تفصل بين عالم الأحياء ، وعالم الجمادات . ولكن الواقع الذى ينبغى أن نسلم به هو أن جميع الجهود التى بذلت للحصول على المادة الحية من غير الحية قد باءت بفشل وخذلان ذريعين . ومع ذلك فإن من ينكر وجود الله لا يستطيع أن يقيم الدليل المباشر للعالم المتطلع ، على أن مجرد تجمع الذرات والجزئيات عن طريق المصادفة ، يمكن أن يؤدى الى ظهور الحياة وصيانتها وتوجيهها بالصورة التى شاهدناها فى الخلايا الحية . وللشخص مطلق الحرية فى أن يقبل هذا التفسير لنشأة الحياة ! فهذا شأنه وحده ! ولكنه إذ يفعل ذلك إنما يسلم بأمر اشد اعجازاً وصعوبة على العقل من الاعتقاد بوجود الله ، الذى خلق الأشياء ودبرها .

« إننى اعتقد أن كل خلية من الخلايا الحية قد بلغت من التعقد درجة يصعب علينا فهمها وأن ملايين الملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الأرض

تشهد بقدرة الله شهادة تقوم على الفكر والمنطق . ولذلك فاننى أؤمن بوجود الله ايمانا راسخا »(٨) .

وهكذا انهارت نظرية دارون وانهار معها الالحاد الذى نجم بسببها ، وثبت أن الانسان جاء من الأعلى لا من الأسفل . .

ومما يؤسف له ويحز فى النفس أن هذه النظرية الهدامة التى اثبت العلم فشلها وضلالها فى الغرب والفت المجلدات فى البرهنة على بطلانها ، لا تزال تدرس فى كثير من معاهدنا وجامعاتنا كأعظم حقيقة علمية ، مما يدل على أن هناك مخططات مرسومة لافساد النشء الاسلامى والقائه فى هوة الالحاد ، ليعمل هدماً فى كيان أمته ويتهالك على الشهوات والموبقات ما دامت حياته ــ كما تقول النظريات الإلحادية ــ صائرة الى الفناء والاضمحلال ، وما دام ليس هناك مثل عليا مقدسة ، فكل شىء فى تطور ، حتى الأخــلاق فما هو فضيلة اليــوم رذيلة غدا . .

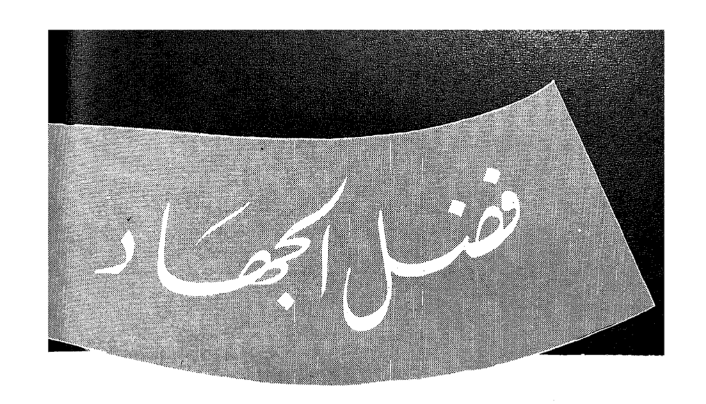
وهكذا يعمل الأعداء على هدم معاقل المقاومة فى الأمة الاسلامية .

جاء فى « بروتوكولات زعماء صهيون » :

« إن دارون ليس يهوديا ، ولكننــا استطعنا كيف نستخدم نظريتــه لهدم الأخلاق وانحراف الشباب غير اليهودى ، ليفسح لنا المجال لحكم العالم . . »
فهل من معتبر . .

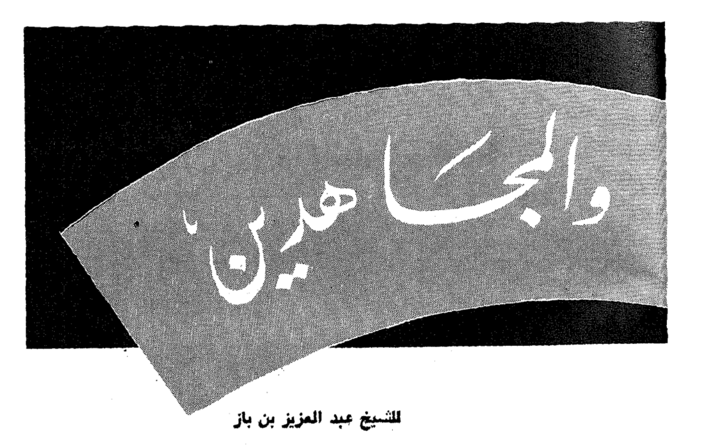
---

(١) ونص الفقرة فى الاصحاح الثالث من سفر التكوين : « . . على بطنك تسعين ، وترابا تاكلين كل ايام حياتك » وترى هل تتغذى الحيــة بالتراب ؟! أرجو جواب المشاهدة العلم والتجربة !!
(٢) المجلد ٣٨ العدد ٧ الصادر فى نيسان (ابريل) ١٩٦٥ .
(٣) جوليان هكسلى ــ الانسان فى العالم الحديث ــ ص ٣ .
(٤) المصدر السابق ص : ٢٧ ــ ٢٩ .
(٥) هذا رأى هكسلى الخاص وقد نقضه بنفسه مرارا .
(٦) من كتاب « الانسان فى العالم الحديث » ترجمة الاستاذ حسن خطاب . . مقتطفات متفرقة .
(٧) المصدر السابق مقتطفات من ص ٣ ــ ص ٦ .
(٨) مقال « الخلايا الحية تؤدى رسالتها » فى كتاب « الله يتجلى فى عصر العلم » .



إن الجهاد في سبيل الله من افضل القربات، ومن اعظم الطاعات ، بل هو أفضل ما تقرب به المتقربون وتنافس فيه المتنافسون بعد الفرائض ، وما ذاك إلا لما يترتب عليــه من نصر المؤمنين وإعــلاء كلمة الدين ، وقمـــع الكافرين والمنافقين وتسهيل انتشار الدعوة الاسلامية بين العالمين ، واخراج العباد من الظلمات إلى النور ونشر محاسن الاسلام واحكامه العادلة بين الخلق اجمعين ، وغير ذلك من المصالح الكثيرة والعواقب الحميدة للمسلمين ، وقد ورد في فضله وفضل المجاهدين من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما يحفز الهمم العالية ، ويحرك كوامن النفوس الى المشاركة في هذا السبيل ، والصدق في جهـاد اعداء رب العالمين وهو فرض كفاية على المسلمين إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين ، وقد يكون في بعض الأحيان من الفرائض العينية التي لا يجـوز للمسلم التخلف عنها الا بعذر شرعي كما لو استنفره الامام او حصر بلــده العدو او كان حاضرا بين الصفين والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة معلومة ، وممـــا ورد في فضل الجهاد والمجاهدين من الكتاب المبين قوله تعالى : (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون ، عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الــذين صدقوا وتعلم الكاذبين ، لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا بأموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين . إنما يستاذنك الــذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فـــي ريبهم يترددون) ..

ففي هذه الآيات الكريمات يأمر الله عباده المؤمنين ان ينفروا إلى الجهاد خفافا وثقــالا اى شيبا وشبانا وأن يجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله ، ويخبرهم عز وجل ان ذلك خير لهم في الدنيا والآخرة ، ثم يبين سبحانه حـــال المنافقين وتثاقلهم عن الجهاد وسوء نيتهم ، وأن ذلك هلاك لهم بقوله عز وجل :



للشيخ عبد العزيز بن باز

« لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لا تبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة » الآية ، ثم يعاتب نبيه .. صلى الله عليه وسلم ـ عتابا لطيفا على إذنه لمن طلب التخلف عن الجهاد بقوله سبحانه : « عفا الله عنك لم اذنت لهم » ، ويبين عز وجل أن في عدم الاذن لهم تبين الصادقين وفضيحة الكاذبين ، ثم يذكر عز وجل أن المؤمن بالله واليوم الآخر لا يستاذن في ترك الجهاد بغير عذر شرعي لأن إيمانه الصادق بالله واليوم الآخر يمنعه من ذلك ، ويحفزه إلى المبادرة الى الجهاد والنفير مع أهله ، ثم يذكر سبحانه ان الذى يستاذن في ترك الجهاد هو عادم الايمان بالله واليوم الآخر المرتاب فيما جاء به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفي ذلك اعظم حث وابلغ تحريض على الجهاد في سبيل الله ، والتنفير من التخلف عنه ، وقال تعالى في فضل المجاهدين : « إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » ..

ففى هذه الآية الكريمة الترغيب العظيم في الجهاد في سبيل الله عز وجل وبيان أن المؤمن قد باع نفسه وماله لله عز وجل ، وانه سبحانه قد تقبل هذا البيع وجعل ثمن اهله الجنة وانهم يقاتلون في سبيله فيقتلون ويقتلون ، ثم ذكر سبحانه انه وعدهم بذلك في اشرف كتبه واعظمها التوراة والانجيل والقرآن ، ثم بين سبحانه أنه لا أحد اوفى بعهده من الله ليطمئن المؤمنون الى وعد ربهم ويبذلوا السلعة التى اشتراها منهم وهي نفوسهم واموالهم في سبيله سبحانه عن إخلاص وصدق وطيب نفس حتى يستوفوا اجرهم كاملا في الدنيا والآخرة ، ثم يأمر سبحانه المؤمنين ان يستبشروا بهذا البيع لما فيه من الفوز العظيم والعاقبة الحميدة والنصر للحق والتاييد لأهله وجهاد الكفار والمنافقين وإذلالهم ونصر أوليائه عليهم وافساح الطريق لانتشار الدعوة الاسلامية في أرجاء المعمورة ، وقال عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة

تنجيكم من عذاب أليم • تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون • يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنـــات عدن ذلك الفوز العظيم • وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين)) ..

ففى هذه الآيات الكريمات الدلالة من ربنا عز وجل على أن الايمان بالله ورسوله والجهاد فى سبيله هما التجارة العظيمة المنجية من العـــذاب الأليم يوم القيامـــة ، ففى ذلك أعظم ترغيب وأكمـــل تشويق إلى الايمان والجهاد ، ومن المعلوم أن الايمان بالله ورسوله يتضمن توحيد الله وإخلاص العبادة لـــه سبحانه ، كما يتضمن أداء الفرائض وترك المحارم ، ويدخل فى ذلـــك الجهـــاد فى سبيل الله لكونه من أعظم الشعائر الاسلامية ومن أهم الفرائض ، ولكنـــه سبحانه خصه بالذكر لعظم شأنه ، وللترغيب فيه لما يترتب عليه من المصالح العظيمة والعواقب الحميدة التى سبق بيان الكثير منها ، ثم ذكـــر سبحانه ما وعد الله به المؤمنين المجاهدين من المغفرة والمساكن الطيبة فى دار الكرامـــة ليعظم شوقهم إلى الجهاد ، وتشتد رغبتهم فيه ، وليسابقـــوا إليه ويسارعـــوا فى مشاركة القائمين به ، ثم أخبر سبحانه أن من ثواب المجاهدين شيئا معجلا يحبونه وهو النصر على الأعداء والفتح القريب على المؤمنين ، وفى ذلك غايـــة التشويق والترغيب ..

والآيات فى فضل الجهاد والترغيب فيه وبيان فضل المجاهدين كثيرة جدا ، وفيما ذكر سبحانه فى هذه الآيات التى سلف ذكرها ما يكفى ويشفى ويحفـــز الهم ويحرك النفوس إلى تلـــك المطالب العالية والمنازل الرفيعة والفوائد الجليلة والعواقب الحميدة ، والله المستعان ..

أما الأحاديث الواردة فى فضل الجهاد والمجاهدين ، والتحذير من تركـــه والاعراض عنه فهى أكثر من أن تحصر ، وأشهر من أن تذكر ، ولكن نذكـــر منها طرفا يسيرا ليعلم المجاهد الصادق شيئا مما قاله نبيه ورسوله الـــكريم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم فى فضل الجهاد ومنزلة أهله ، ففى الصحيحين عن سهل بن سعد ــ رضى الله عنه ــ قال قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ((رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد فى سبيـــل الله ، أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها)) ، وعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ((مثل المجاهد فى سبيل الله ــ والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله ــ كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد فى سبيله إن توفاه أن يدخلـــه الجنة أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة) خرجه مسلم فى صحيحه ، وفى لفظ لـــه : ((تضمن الله لمن خـــرج فى سبيله لا يخرجه إلا جهاد فى سبيلى وإيمان بى وتصديق برسلى فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الـــذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة)) ، وعن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ قال قال رسول الله ــ صلى الله عليـــه وسلم ــ : ((ما من مكلوم يكلم فى سبيل الله إلا جاء يوم القيامـــة وكلمه يدمى اللون لون الـــدم والريح ريح المسك)) متفق عليه ، وعن أنس ــ رضى اللـــه عنه ــ أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : ((جاهدوا المشركين بأموالـــكم

وأنفسكم وألسنتكم » رواه أحمد والنسائي وصححه الحاكم ، وفي الصحيحين عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم أنه سئل أى العمل أفضل ، قال : « إيمان بالله ورسوله » قيل ثم ماذا ، قال : « الجهاد في سبيل الله » قيل ثم ماذا ، قال : « حج مبرور » متفق على صحته ، وعن أبى عبس بن جبر الأنصارى ـ رضى الله عنه ـ قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار) رواه البخارى فى صحيحه ، وفيه أيضا عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (إن فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض) ، وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من نفاق) ، وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه شيء حتى ترجعوا إلى دينكم) رواه أحمد وأبو داود وصححه ابن القطان ، وقال الحافظ في البلوغ رجاله ثقات ، والأحاديث في فضل الجهاد والمجاهدين وبيان ما أعد الله للمجاهدين الصادقين من المنازل العالية ، والثواب الجزيل ، وفى الترهيب من ترك الجهاد والاعراض عنه كثيرة جدا ، وفى الحديثين الآخيرين ، وما جاء فى معناهما الدلالة على أن الاعراض عن الجهاد وعدم تحديث النفس به من شعب النفاق ، وأن التشاغل عنه بالتجارة والزراعة والمعاملات الربوية من أسباب ذل المسلمين وتسليط الأعداء عليهم كما هو الواقع ، وأن ذلك الذل لا ينزع عنهم حتى يرجعوا إلى دينهم بالاستقامة على أمر الله والجهاد فى سبيله ، فنسأل الله أن يمن على المسلمين جميعا بالرجوع إلى دينه وأن يصلح قادتهم ويصلح لهم البطانة ويجمع كلمتهم على الحق ويوفقهم جميعا للفقه فى الدين والجهاد فى سبيل رب العالمين حتى يعزهم ويرفع عنهم الذل ، ويكتب لهم النصر على أعدائه وأعدائهم إنه ولى ذلك والقادر عليه ..

المقصود من الجهاد :

الجهاد جهادان ، جهاد طلب ، وجهاد دفاع ، والمقصود منهما جميعا هو تبليغ دين الله ودعوة الناس إليه وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وإعلاء دين الله فى أرضه وأن يكون الدين كله لله وحده كما قال عز وجل فى كتابه الكريم من سورة البقرة : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » ، وقال فى سورة الأنفال : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » ، وقال عز وجل فى سورة التوبة : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم » ، والآيات فى هذا المعنى كثيرة وقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله عز

وجل) متفق على صحته من حديث ابن عمر ــ رضى الله عنهمــا ــ ، وفى الصحيحين عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) ، وفى صحيح مسلم عنه ايضا ــ رضى الله عنه ــ قــال قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللــه ويؤمنوا بى وبما جئت به) ، وفى صحيح مسلم أيضا عن طارق الأشجعى ــ رضى الله عنه ــ قال قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (من وحد الله وكفر بمــا يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل) ، والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة ، وفى هذه الآيــات والأحاديث الدلالة الظاهرة على وجــوب جهاد الكفار والمشركين وقتالهم بعد البلاغ والدعوة الى الاسلام ، وإصرارهم على الكفر حتى يعبدوا الله وحده ويؤمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم ويتبعوا ما جاء به ، وأنه لا تحرم دماؤهم وأموالهم إلا بذلك وهى تعم جهــاد الطلب ، وجهاد الدفاع ، ولا يستثنى من ذلــك إلا من التزم بالجزيــة بشروطها إذا كان من أهلها عمــلا يقول الله عز وجل : (قاتلوا الــذين لا يؤمنون باللــه ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) ، وثبت عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه أخذ الجزية من مجوس هجر ، فهؤلاء الأصنــاف الثلاثة من الكفار وهم اليهود والنصارى والمجوس ثبت بالنص أخذ الجزية منهم فالواجب أن يجاهدوا ويقاتلوا مع القدرة حتى يدخلوا فى الاسلام أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، أما غيرهم فالواجب قتالهم حتى يسلموا فى احد قولى العلماء لأن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قاتل العرب حتى دخلوا فى ديــن الله افواجا ، ولم يطلب منهم الجزية ، ولو كان أخذها منهم جائزا تحقن دماؤهم واموالهم لبينه لهم ، ولو وقع ذلك لنقل وذهب بعض أهل العلم إلى جــواز أخذها من جميع الكفار لحديث بريدة المشهور فى ذلك المخــرج فــى صحيح مسلم ، والكلام فى هذه المسالة وتحرير الخلاف فيها وبيان الأدلة مبسوط فى كتب أهــل العلم من أراده وجده ، ويستثنى من الكفار فى القتال النساء والصبيان والشيخ الهرم ونحوهم ممن ليس من أهل القتال ما لم يشاركوا فيه فان شاركوا فيه أو ساعدوا عليه بالرأى والمكيدة قوتلــوا كما هو معــلوم من الأدلة الشرعية ، وقد كان الجهاد فى الاسلام على أطوار ثلاثة ، الطور الأول : الاذن للمسلمين فى ذلك من غير الزام لهم به كما فى قوله سبحانه : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) ، الطور الثانى : الأمر بقتال من قاتــل المسلمين والكف عمن كف عنهم ، وفى هذا النوع نزل قوله تعــالى : (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغمى) الآية ، وقوله تعالى : (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شــاء فليكفر) ، وقوله تعالى : (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) فى قول جماعــة من اهل العلم وقوله تعالى فى سورة النساء : (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله فان تولو فخــذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا ، إلا الذين يصلــون

إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) والآية بعدها ، الطور الثالث : جهاد المشركين مطلقا وغزوهم فى بلادهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ليعم الخير اهل الارض وتتسع رقعة الاسلام ويزول من طريق الدعوة دعاة الكفر والالحاد وينعم العباد بحكم الشريعة العادل ، وتعاليمها السمحة وليخرجوا بهذا الدين القويم من ضيق الدنيا إلى سعة الاسلام ، ومن عبادة الخلق الى عبادة الخالق سبحانه ، ومن ظلم الجبابرة إلى عدل الشريعة واحكامها الرشيدة ، وهذا هو الذى استقر عليه أمر الاسلام وتوفى عليه نبينا محمد — عليه الصلاة والسلام — وأنزل الله فيه قوله عز وجل فى سورة براءة وهى من آخر ما نزل : ((فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)) الآية ، وقوله سبحانه : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) والأحاديث السابقة كلها تدل على هذا القول وتشهد له بالصحة ، وقد ذهب بعض اهل العلم إلى أن الطور الثانى وهو القتال لمن قاتل المسلمين والكف عمن كف عنهم قد نسخ لأنه كان فى حال ضعف المسلمين فلما قواهم الله وكثر عددهم وعدتهم أمرهم بقتال من قاتلهم ، ومن لم يقاتلهم حتى يكون الدين لله وحده أو يؤدوا الجزية إن كانوا من اهلها ، وذهب آخرون من أهل العلم إلى أن الطور الثانى لم ينسخ بل هو باق يعمل به عند الحاجة إليه ، فاذا قوى المسلمون واستطاعوا بدء عدوهم بالقتال والجهاد فى سبيل الله فعلوا ذلك عملا بآية التوبة وما جاء فى معناها ، اما إذا لم يستطيعوا ذلك فانهم يقاتلون من قاتلهم وتعدى عليهم ، ويكفون عمن كف عنهم عملا بآية النساء وما ورد فى معناها ، وهذا القول اصح واولى من القول بالنسخ وهو اختيار شيخ الاسلام ابن تيمية — رحمه الله — وبهذا يعلم كل من له أدنى بصيرة أن قول من قال من كتاب العصر وغيرهم ان الجهاد شرع للدفاع فقط قول غير صحيح والأدلة التى ذكرنا وغيرها تخالفه ، وإنما الصواب هو ما ذكرنا من التفصيل كما قرر ذلك اهل العلم والتحقيق ، ومن تامل سيرة النبى — صلى الله عليه وسلم — وسيرة اصحابه — رضى الله عنهم — فى جهاد المشركين اتضح له ما ذكرنا وعرف مطابقة ذلك لما اسلفنا من الآيات والأحاديث .

وجوب الاعداد للأعداء :

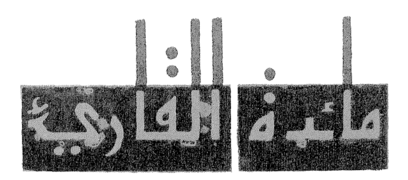
وقد امر الله سبحانه عباده المؤمنين ان يعدوا للكفار ما استطاعوا من القوة وأن يأخذوا حذرهم كما فى قوله عز وجل : (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وقوله سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) وذلك يدل على وجوب العناية بالأسباب والحذر من مكائد الأعداء ويدخل فى ذلك جميع انواع الاعداد المتعلقة بالأسلحة والأبدان ، كما يدخل فى ذلك اعداد جميع الوسائل المعنوية والحسية وتدريب المجاهدين على انواع الأسلحة وكيفية استعمالها وتوجيههم الى كل ما يعينهم على جهاد عدوهم والسلامة من مكائده فى الكر والفر والأرض والجو والبحر وفى سائر الأحوال لأن الله سبحانه أطلق الأمر بالاعداد واخذ

الحذر ولم يذكر نوعا دون نوع ولا حالا دون حال وما ذاك إلا لأن الأوقات تختلف والأسلحة تتنوع ، والعدو يقل ويكثر ويضعف ويقوى والجهاد قد يكون ابتداء وقد يكون دفاعا ، فلهذه الأمور وغيرها أطلق الله سبحانه الأمر بالاعداد وأخذ الحذر ليجتهد قادة المسلمين وأعيانهم ومفكروهم في إعداد ما يستطيعون من القوة لقتال أعدائهم وما يرونه من المكيدة في ذلك ، وقد صح عن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : (الحرب خدعة) ومعناه : أن الخصم قد يدرك من خصمه بالمكر والخديعة في الحرب مالا يدركه بالقوة والعدد وذلك مجرب معروف ، وقد وقع في يوم الأحزاب من الخديعة للمشركين واليهود والكيد لهم على يد نعيم بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ باذن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ما كان من أسباب خذلان الكافرين وتفريق شملهم واختلاف كلمتهم ، وإعزاز المسلمين ونصرهم عليهم وذلك من فضل الله ونصره لأوليائه ومكره لهم كما قال عز وجل : (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) ، ومما تقدم يتضح لذوى البصائر أن الواجب امتثال امر الله والاعداد لأعدائه وبذل الجهود في الحيطة والحذر ، واستعمال كلما أمكن من الأسباب المباحة الحسية والمعنوية مع الاخلاص لله والاعتماد عليه والاستقامة على دينه ، وسؤاله المدد والنصر ، فهو سبحانه وتعالى الناصر لأوليائه والمعين لهم اذا أدوا حقه ، ونفذوا امره وصدقوا في جهادهم وقصدوا بذلك إعلاء كلمته واظهار دينه ، وقد وعدهم الله بذلك في كتابه الكريم وأعلمهم أن النصر من عنده ليثقوا به ويعتمدوا عليه مع القيام بجميع الأسباب قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) ، وقال سبحانه : ((وكان حقا علينا نصر المؤمنين)) ، وقال عز وجل : (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) ، وقال عز وجل : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا) الآية وقال تعالى : (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط) وقال سبحانه : (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بالف من الملائكة مردفين . وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) ، وقد سبق في هذا المعنى آية سورة الصف وهي قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) ، والآيات في هذا المعنى كثيرة ، ولما قام سلفنا الصالح بما امرهم الله به ورسوله وصبروا وصدقوا في جهاد عدوهم نصرهم الله وأيدهم وجعل لهم العاقبة مع قلة عددهم وعدتهم وكثرة اعدائهم كما قال عز وجل : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) ، وقال عز وجل : (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ، ولما غير المسلمون وتفرقوا ولم يستقيموا على تعاليم ربهم وآثر

أكثرهم أهواءهم أصابهم من الذل والهوان وتسليط الأعداء ما لا يخفى على أحد ، وما ذاك إلا بسبب الذنوب والمعاصي ، والتفرق والاختلاف وظهور الشرك والبدع والمنكرات في غالب البلاد ، وعدم تحكيم أكثرهم الشريعة كما قال الله سبحانه :

((وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)) ، وقال تعالى : (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ، وقال عز وجل : (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) ، ولما حصل من الرماة ما حصل يوم أحد من النزاع والاختلاف والاخلال بالثغر الذي أمرهم النبي — صلى الله عليه وسلم — بلزومه جرى بسبب ذلك على المسلمين من القتل ، والجراح والهزيمة ما هو معلوم ، ولما استنكر المسلمون ذلك أنزل الله قوله تعالى : (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير) ولو أن أحدا يسلم من شر المعاصي وعواقبها الوخيمة لسلم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه الكرام يوم أحد وهم خير أهل الأرض ويقاتلون في سبيل الله ومع ذلك جرى عليهم ما جرى بسبب معصية الرماة التي كانت عن تأويل لا عن قصد للمخالفة لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — والتهاون بأمره ، ولكنهم لما رأوا هزيمة المشركين ظنوا أن الأمر قد إنتهى وأن الحراسة لم يبق لها حاجة وكان الواجب عليهم أن يلزموا الموقف حتى يأذن لهم النبي — صلى الله عليه وسلم — بتركه ، ولكن الله سبحانه قد قدر ما قدر وقضى ما قضى لحكمة بالغة وأسرار عظيمة ، ومصالح كثيرة قد بينها في كتابه سبحانه وعرفها المؤمنون وكان ذلك من الدلائل على صدق رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأنه رسول الله حقا ، وأنه بشر يصيبه ما يصيب البشر من الجراح والآلام ونحو ذلك ، وليس بإلاه يعبد وليس مالكا للنصر ، بل النصر بيد الله سبحانه ينزله على من يشاء ، ولا سبيل إلى إستعادة المسلمين مجدهم السالف واستحقاقهم النصر على عدوهم إلا بالرجوع إلى دينهم والاستقامة عليه وموالاة من والاه ، ومعاداة من عاداه ، وتحكيمه في أمورهم كلها ، واتحاد كلمتهم على الحق وتعاونهم على البر والتقوى كما قال الامام مالك بن أنس — رحمة الله عليه — : (لن يصلح آخر هذه الأمة الا ما أصلح أولها) ، وهذا هو قول جميع أهل العلم والله سبحانه إنما أصلح أول هذه الأمة باتباع شرعه والاعتصام بحبله والصدق في ذلك والتعاون عليه ، ولاصلاح لآخرها إلا بهذا الأمر العظيم ، فنسأل الله أن يوفق المسلمين للفقه في دينهم وأن يجمعهم على الهدى وأن يوحد صفوفهم وكلمتهم على الحق وأن يمن عليهم بالاعتصام بكتابه وسنة نبيه — عليه الصلاة والسلام — وتحكيم شريعته والتحاكم إليها ، والاجتماع على ذلك والتعاون عليه إنه جواد كريم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .





الموعظة الحسنة :

كتب الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز الى الحسن . اجمع لى امر الدنيا وصف لى امر الآخــرة فكتب اليه ــ انما الدنيا حلم والآخــرة يقظــة ، من حاسب نفســه ربح ، ومن غفل عنها خسر ، ومن نظر فى العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضل ، ومن حلم غنم ، ومن خاف سلم ومن اعتبر ابصر ، ومن ابصر فهم ، ومن فهم علم ، ومن علم عمل ، فاذا زللت فارجــع ، واذا ندمت فاقلع واذا جهلت فاســأل ، واذا غضبت فامسك ، واعلم أن افضل الأعمال ما اكرهت النفوس عليه .

النمام مخــذول :

جاء رجل الى الخليفة العــادل عمر بن عبد العزيز فذكر عنده وشاية فى رجل ، فقال : إن شئت حققنا هذا الأمر الذى تقول فيه ، ونظرنا فيما نسبته اليه ، فان كنت كاذبا ، فأنت من اهل هذه الآية (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) وان كنت صادقا فأنت من اهل هــذه الآية (هماز مشــاء بنميم) وان شئت عفونا عنك .

فقال الرجل النمام : العفو يا أمير المؤمنين ، ولا اعود اليه أبدا .

نائب الامام :

كان المدنى فى الصف وراء الإمام فقطع الإمام الصلاة لحــدث ، وقام المدنى ليؤمهم ، فوقف طويلا فلما أعيا الناس سبحوا له ، وهو لا يتحرك ، فنحوه وقدموا غيره ، وبعد الصلاة عاتبوه ، فقال :

ــ ظننت الإمام يقول لى : احفظ مكانى حتى أجىء .

□ ■ □

يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون .

الاعرابى والحجـــاج

كان الحجاج يؤدى فريضة الحج ثم جاء وقت الغذاء فقال لحاجبه :

ــ انظر من يأكل معى .

فخرج الحاجب من الخيمة والتقى بأعرابى نائم فأيقظه وعاد به الـى الحجاج الذى قال له :

ــ اغسل يديك وكل معى أيهـا الاعرابى .

فرد عليه قائلا : لقد دعانى من هو خير منك فأجبته .

فقال الحجاج غاضبا : ومن هذا الذى دعاك ؟

قال : الله تعالى دعانى للصوم فصمت .

قال : فى هذا اليوم الحار !

قال : نعم صمت ليوم أشد منه حرارة .

قال : فافطر اليوم وصم غدا .

قال : وتضمن لى البقاء الى الغد !

قال : ليس ذلك فى قدرتى .

قال : فكيف تطلب منى عاجلا فى يدي لمعطينى آجلا لا تقدر عليه وتركه وانصرف .

البخيل وأولاده :

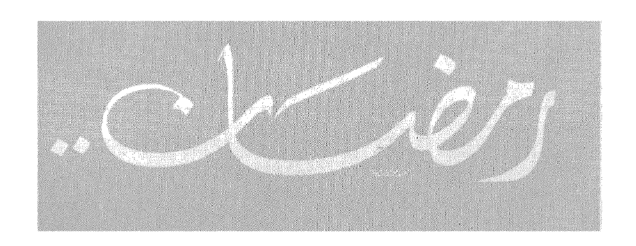
قال رجـــل من البخـــلاء لأولاده : اشتروا لى لحمـــا فاشتروه فأمـــر بطبخه ، فلما استوى أكله جميعـــه حتى لم يبق فى يده الا العظم وعيون أولاده ترمقه فقال : ما أعطى أحـــدا منكم هذا العظم حتى يحسن وصف أكله فقال الأكبر : أمشمشه يا أبت وأمصه حتى لا أدع للذر فيه شـــيئا فقال :

لست بصاحبه ، فقال الأوسط : الوكه يا أبت والحسه حتى لا يدرى أحد لعام هو أم لعامين . فقـــال : لست بصاحبه . فقال الأصغر : يا أبت أمصه ثم أدقه وأسفه سفا قال : أنت صاحبه وهـــو لك ، زادك الله معرفة وحزما . .

□ ■ □

الشاهد الآخر :

قدم رجل رجلا الى بعض القضاةفادعى عليه بثلاثين دينارا ، واقام شـاهدا واحدا فقال القاضى : ادفعله خمســـة عشر دينارا الى أن يقيم الشـاهد الآخر .



والقرآن .. وليلة القرآن

— ١ —

الزمن فى نظر الإسلام ، حقيقة واقعة .. يعيش فيه الوجود ، وتتحرك الموجودات فى آناته ولحظاته ، كما تتحرك الأجنّة فى أرحام أمهاتها ..

فالزمن فى حساب الإسلام وتقديره ، هو الرحم التى تتخلّق فيها الأحداث ، والبوتقة التى تنضج فيها الكائنات ، وتتحرك فى محيطها من المولد إلى الممات.

ففى كل لحظة من لحظات الزمن ، وفى كل آنة من آناته ، يخلع الوجود قديما ، ويلبس جديدا ، حيث لا يكون الوجود فى أية لحظة على الصورة التى كان عليها فى اللحظة السابقة ، أو التى سيكون عليها فى اللحظة التالية ، وهذا بعض ما يشير إليه قوله تعالى : « كلّ يوم هو فى شأن » ..

والإنسان — فى هذا الكوكب الأرضى ، هو الكائن الذى يشعر بالزمن ، ويدرك آثاره ، ويَلْحَظ حركة مسيره ، وأنها حركة تتجه إلى الأمام دائما ، دون أن تتوقف لحظة ! وإن كان ذلك الشعور على اختلاف كبير بين الناس ، إذ بينما يكون فى الناس من لا تمر به ساعة من ليل أو نهار ، إلا ويشهد فيها آثار الزمن فى نفسه ، وفى الحياة من حوله ، على حين يكون فى الناس من لا يكاد يشعر حتى باختلاف الليل والنهار عليه ، فيقطع العمر غافلا لاهيا ، لا يجد الحياة إلا لونا واحدا ، ولا يرى فيها أو فى نفسه شيئا يختلف فيه يومه عن أمسه !

وقد كان من تدبير الإسلام هنا أن عمل بشريعته وأحكامه على إيقاظ الشعور بالزمن فى كيان المؤمنين ، بحيث تقوم نظرتهم إليه على أساس قوى من الاحترام له ، والحرص على الإفادة من كل نفس يتنفسه الانسان فيه ..

ومن هذا التدبير الحكيم أن ربط الإسلام ما تعبد الله به المسلمين من

للاستاذ : عبد الكريم الخطيب

وأمة القرآن ..

صلاة ، وصيام ، وحج ، وزكاة ، بمواقيت محددة من الزمن تؤدى فيه ، ولا تقبل فى غيره ..

فللصلوات الخمس كل يوم ، وقت محدد لكل صلاة ، وللصوم المفروض ، وقت محدد معلوم ، هو شهر رمضان ، وللحج وقته المعلوم ، الذى يبدأ من شوال وينتهى فى اليوم العاشر من ذى الحجة ، كما يقول سبحانه وتعالى : « الحج اشهر معلومات » .. وللزكاة وقت محدد لكل نوع منها ، فزكاة النقدين وما يلحق بهما ، تكون على رأس الحول عن ملك نصاب الزكاة فيهما ، وزكاة الزرع تكون عند حصاده ، وجنى ثماره ، كما يقول : « وآتوا حقه يوم حصَاده »

وأكثر من هذا ، فانه إظهارا لقيمة الزمن ، ولفتا لآثاره العظيمة فى بناء الحياة الإنسانية للإنسان ــ أقسم الله سبحانه وتعالى بمقاطيع محـددة من الزمن ، وبأجزاء معلومة منه ، لتكون معالم للإنسان فى مسيرته مع الحياة ، يشخص بوجـوده كله اليها ، ويهيىء نفســه لاستقبالها ، والتزود من الخير المحمول بين يديها .. فأقسم الحق سبحانه وتعالى بالليل والنهار : « والليـل إذا يغشى . والنهار إذا تجلّى » .. وأقســم جلّ شأنه بالفجـر ، والصبح ، والضحى ، والعصر .. « والفجر . وليال عشر » .. « والليـل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفس » .. « والضحى . والليل إذا سجى » .. « والعصر .. إن الإنسان لفى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر » .. وذكر سبحانه فى مقام التكريم والتنويه يوم الجمعــة ، لم يذكر فى القرآن بالاسم يوما غيره ، فقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع » .. وبمثل هذا جاء ذكر شهر رمضان من بين شهور العام ، لم يذكر شهر غيره ، فقــال سبحانه : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هـدى للنــاس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

— ٢ —

ونخلص من هذا الى انقول بان تلك الاوقات من مقاطع الزمن واجزائه ، التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم ، فى معرض القسم أو فى غيره — هذه الأوقات لها فضلها على غيرها من مقاطع الزمن وأجزائه .. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من خلقه ، كما يقول سبحانه : « يخلق ما يشاء ويختار » .. وكما فضل الله تعالى بعض الناس على بعض ، فاصطفى منهم الرسل والأنبياء ، والصديقين ، والأولياء ، فقد فضل سبحانه بعض الأوقات على بعض ، واصطفى من أيامها ، ولياليها ، وشهورها ما شاء سبحانه وتعالى منها ..

— ٣ —

وشهر رمضان ، هو الشهر الذى تؤدّى فيه فريضة الصوم ، امتثالا لقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون .. أياما معدودات » .. ثم بيّن سبحانه وقت هذه الأيام المعدودات ، وعَددها ، فقال سبحانه : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهدمنكم الشهر فليصمه » .. ففى قوله تعالى : « شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » تنويه بهذا الشهر ، ورفع لقدره ، إذ كان الظرف الزمنى الذى نزل فيه القرآن ، بما يحمل الى العالمين من هدى ، وما يسوق اليهم من فضل الله ورحمته .. وفى قوله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » تعقيب على هذا البيان الذى كشف عن قدر هذا الشهر وفضله ، فكان الأمر بأداء فريضة الصيام فيه تنويها آخر بفضله من جهة ، وتنويها بفريضة الصيام من جهة اخرى ، بجعل هذا الشهر المبارك ظرفا لها ، حيث تعظم فيه آثار الصوم ، ويتضاعف خيره ..

وهنا حقيقة ، أو ظاهرة ، ينبغى أن ننتبه اليها ، وهى أن أكثر ما يلتفت اليه كثير من الصائمين ، هو هذا الحرمان من الطعام والشراب ، والإمساك عن شهوتى البطن والفرج ، من الفجر الى غروب الشمس ، وقليل هم أولئك الذين ينظرون فى رمضان إلى ما وراء الطعام والشراب ، منعا أو أخذا ، ولهذا فإنه يسبق رمضان ويتخلل أيامه ما نشهده من هذا الإقبال الشديد على مواد الطعام التى يستجلبها الصائمون ، ويستكثرون منها . وخاصة ما كان من تلك المواد التى يستغنى عنها الناس أو أكثر الناس عادة فى غير رمضان ، فإن هذه المأكولات التى تُعرف بمأكولات رمضان تكاد تكون فى نظر كثير من الصائمين . بل وغير الصائمين . كأنها جزء من فريضة الصيام ، وحتى لكأن الصوم لا يكمل ولا يُقبل إلا بها ، الأمر الذى يحملهم على حمل ما لا تتسع له قدرتهم المالية فيعانون فى سبيل ذلك ما يعانون ، من جهد ومشقة ، من أجل الحصول على أشياء رمضان !!

والصوم ، وإن كان فى ظاهره ، هو حرمان الجسد من شهوتى البطن والفرج ساعات محددة من الزمن كل يوم من أيام رمضان ، فإن هذا الحرمان ليس غاية فى ذاته ، وإنما هو وسيلة الى غاية أو غايات تتصل بالجانب الروحى والنفسى من الإنسان أكثر من اتصالها بالجسد ، وذلك لا يكون إلا إذا كان الصائم على شعور دائم بأن هذا الحرمان الواقع على الجسد هو امتثال لأمر

الله ، وأنه جهـاد فى سبيل الله ، وحـرب على أهواء النفس ووسـاوس الشيطان .. وهنا يشعر الصائم بأنه قائم فى ميدان الجهاد فعلا ، وأن أيـة عَضّة للجوع أو العطش ، ليست إلا كَلْما يكلمه الصائم ، فى سبيل الله ، فيحتملها صابرا ، راضيا مغتبطا ، كما يحمل المجاهد المقاتل جراحاته فى صبر ، ورضى ، وغبطة ، عندئذ يجـد الصائم نفسه وقد تهيأ لاحتمـال كل حرمان ، وتجاوز كل شهوة تعرض له على طريق صومه .. وبذلك يكون الصائم صائما حقا ، له أجر الصوم كاملا ، سواء شق عليه الصوم أو لم يشق ، تماما كالمجاهد يخرج غازيا فى سبيل الله ، ثم يعود سالما غانما ، وقد وقع أجره على الله .

هذا وجه من وجوه الصوم ، لا يكاد يلتفت إليه كثير من الصائمين الذين يحضرون دائرة الصوم فى حدود الجسد ومطالبه ، وفى حرمانه من شهواته ساعات محدودة كل يوم ، حتى إذا دنت ساعة الإفطار أخذ الصائم يضع بين يديه ما أعدّ من ألوان الطعام لإفطاره ، والتى قضى نهاره مفكرا فيها مشغولا بها ، فإذا جاء وقت الافطار أقبل على الطعام فى نَهَم وإسراف ، يتنقل من لون الى لون ، حتى تمتلىء معدته ، وتختنق أنفاسه !.

ليس الصوم فى حقيقته حربا تدور رحاها بين الصـائم وبين شـهواته الجسدية ، وانما هو فى صميمه حرب على شهوات كثيرة مُنْدسّة فى كيـان الانسان ، كشهوة العدوان على الناس ، وشهوة الغيبة والنميمة ،وشـهوة الغفـلة عن الضـمير لتقضى النفس حاجاتهـا من التقصير فى الواجب ، أو الاستخفاف بأداء حقوق الله ، وحقوق عباد الله .. فهذه الشهوات وما إليها هى التى جاءت رسالات السماء لمحاربتها ، وكسر شوكتها .

فالعبادات ، من صلاة ، وزكاة ، وصوم ، وحج ، هى الدواء السماوى لهذه الأدوار التى تسكن فى كيان الانسان ، والتى من شأنها أن تفسد فطرته إن لم يتداوا بهذا الدواء ، ويجرى فى تعاطيه على الحدود التى رسمها الله ..

والصوم اذا اداه الصائم على وجهه المطلوب ، هو أظهر العبادات واكثرها فعالية فى عـلاج الروح عن طـريق الجسد ، واخذه بالحرمان المـادى من شهواته ، حالا بعد حال ..

إن صوم رمضان هو فرصة المسلم التى تتاح له بلقاء هذا الشهر كل عام ، حيث يلقاه فيها بآلامه وهمومه ، وذنوبه ، وبما أصابه فى طريق الحياة من جراح ، ليستشفى من آلامه وعلله ، وليجـد برد السكينة وثلج العافية فى نفسه ، وليخرج من هذا الشهر المبارك وقد برىء من كل داء ، وعوفى من كل هم وحزن .. وان أخسر الصائمين صفقة ، وأكثرهم غبنا من أقبل عليه رمضان ثم لم يهيىء نفسه لاستقباله على نية الاستشفاء لنفسه فيه ، وطلب العافيـة من نفحات أيامه وبركات لياليه ، ثم إن أخسر الخاسرين ، وأغبن المغبونين من خرج من رمضان ولم تزدد شعلة الايمـان فى قلبه توهجـا ، ولم يتزود من التقوى بزاد يدنيه من الخير ، ويباعد بينه وبين المنكر والإثم .

ويلتقى المسلمون فى شهر رمضان بثلاثة معالم من عالم الحق ، اختصهم الله تعالى بها ، ووسمهم بسماتها ، وآتاهم بها من فضله ما لم يؤت أحـد من العالمين .. وتلك المعالم هى : القرآن ، وليلة القرآن ، وأمة القرآن .. التقت ثلاثتها فى رمضان لقاء على قدر ، فكان من ثمرها هذا الخير الذى تعيش فى ظله الانسانية كلها ، والذى تتندى منه قلوبها بمشاعر الرحمة ، والمودة ، والاحسان ، سواء فى هذا من كانَ من المسلمين ، أم كان جيرة للمسلمين ..

فشهر رمضان هو شهر القرآن ، حيث ابتدأ نزوله فيه ، واشرقت شمسه على الوجود فى ليلة من لياليه .. ومن هنا كان لقاؤنا بالقرآن الكريم فى شهر رمضان يختلف كثيرا أو قليلا عن لقائنا به فى غير رمضان .. وذلك لأن شهر رمضان ، هو موسم القرآن ، وهو الظرف المبارك من الزمن الذى اختاره الله تعالى ، ليكون محملا لكلماته الى رسول الاسلام ، والى أمة الاسلام .. ولا شك أن اتصال المسلم بالقرآن فى هذا الظرف المبارك ، يضفى على من يتلو القرآن أو يستمع اليه كثيرا من نفحات هذا الشهر وبركاته ،ويمد بصيرته بالسنا الوضاء من الأنوار العلوية ، التى تكشف له من أسرار القرآن وعجائبه ما تتمثل له منه المعجزات القاهرة المتحدية ، التى يرى فيها مصداق قوله تعالى : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ..

ومن جهة أخرى ، فان لقاء المسلم بالقرآن فى رمضان إنما يكون فى حال الصوم ، الذى تتكسر فيه شهوة الجسد ، وتتخلص فيه الروح من كثير من قيود المادة المضروبة عليها من الجسد .. وهذا لا شك انسب الأحوال ، وأعدلها ، وافر بها بالانسان الى آيات الله وكلماته .. فالقرآن الكريم روح من روح الله تعالى ، كما يقول جل شأنه للنبى الكريم — صلوات الله وسلامه عليه — : « وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم » .. فأقرب الناس الى القرآن وأشكلهم به ، من خف ميزان جسده ، وثقل ميزان روحه ، فيقترب بهذا من عالم الروح ، عالم القرآن الكريم ، ومتنزل آيات الله وكلماته ..

لهذا كان شهر رمضان موسم القرآن ، ومرد المسلمين جميعا اليه ، حتى أولئك الذين لا يكادون يتصلون بالقرآن ، أو يتصلون به لماما فى غير رمضان ، فإذا جاء رمضان تزاحموا على هذا المورد العذب المبارك ، ونهلوا منه ليرووا ظمأ جعلوا موعد إروائه رمضان .. وهذا لا شك شعور حسن وسنة محمودة ، يتدارك بها كثير من المسلمين ما فاتهم من الاتصال بكتاب الله ومدارسته طوال العام ، كما أن كثيرا من المسلمين الذين يجعلون موعد لقائهم بالقرآن فى شهر رمضان ، تتوثق الصلة بينهم وبين كتاب الله ، بعد هذا اللقاء فى هذا الظرف المبارك ، فتتصل لقاءاتهم بالقرآن فى رمضان ، وفى غير رمضان ..

ونود أن نقف هنا قليلا مع الذين يتصلون بكتاب الله ، تلاوة أو استماعا ، فى رمضان وفى غير رمضان لنقول : ان تلاوة القرآن الكريم ، أو الاستماع اليه هو ذكر ، وصلاة ، ودعاء ، وإنه لن يحرم أحد من المسلمين حظه من نفحات آيات الله ، ورحماتها ، وبركاتها ، تاليا أو مستمعا .. ثم إنه ليس لتلاوة القرآن أو الاستماع اليه — فى غير الصلاة المكتوبة — وقت معين ، أو قدر محدد ، فأى وقت من ليل أو نهار ، هو وقت تلاوة واستماع ، وأى قدر من القرآن هو مجز فى التلاوة أو الاستماع ، لأن ذلك من النوافل التى ترك للمؤمنين إتيانها فى أى وقت يشاء ، وعلى أى قدر يريد ، وله من الجزاء الحسن عند الله على قدر ما يعطى من نفسه ، وعقله ، وقلبه ، ووقته لآيات الله .. وهذا ما يشير اليه قوله تعالى : « فاقرءوا ما تيسر من القرآن » وقوله سبحانه : « ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مدكر ؟ » ومن تيسير القرآن للذكر ، رفع كل قيد يحول بين أى مؤمن بالله ، وبين الاتصال بكتاب الله ،

تاليا ، او مستمعا ، او دارسا .. فكتاب الله هو ميراث المسلمين جميعا ، ولن يحرم أحد حظه من هذا الميراث ، اذا هو طلبه ،وحرص على الافادة منه ، وانه على قدر ما تكون عليه صلة المسلم بالقرآن ، وعلى قدر توسله إليه ، بما يقربه منه ، ويدنيه اليه ، يكون حظه من هذا الميراث المبارك العظيم .

فالقرآن الكريم ، لا يقبل إلا على من يقبل عليه ، ولا يمنح خيره وبركته ، إلا لمن يعرف قدره ، ويطرق بابه فى أدب ، وولاء ، وخشوع .!

وليس المقصود من الاتصال بالقرآن الكريم ، مجرد الإلمام به ، وقطع المسافة بين فاتحته وخاتمته ، فى أقل زمن ممكن ، فتلك سبيل غير سبيل من يريد اجابة دعوة الله تعالى الى لقاء كتابه ، اذ يقول سبحانه لنبيه الكريم : « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ، وليتذكر أولوا الألباب .

فالذى يقرأ القرآن ، أو يستمع اليه ، فى غير تدبر وتذكر ، ليس بقارىء للقرآن وإن قرأ ، وليس بمستمع للقرآن وإن سمع ، لأنه ليس من الذين وصفهم الله تعالى بقوله : « الله نزّل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده . » ..

ونحن المسلمين فى عصرنا هذا نستمع كثيرا الى آيات الله تتلى علينا ، حتى لا يكاد بيت من بيوت المسلمين لا تتردد فى جنباته ، فى الصباح وفى المساء وفيما بين الصباح والمساء — أصوات المقرئين منقولة الى كل بيت فيه مذياع ، أو الى جيران أى بيت فيه مذياع ..

فنحن من هذه الوجهة أكثر من أسلافنا سماعا للقرآن ، لما يسر الله تعالى لنا من وسائل الاتصال به ، بقصد ، أو بغير قصد .. ولكن الذى لا شك فيه ، هو أن حظنا من عطائه المبارك ، ومن أضواء هديه ، ونفحات رحمته ، أقل بكثير من حظ أولئك الذين كانوا يستمعون الى آية أو بضع آيات ، فيكون لهم منها ، ومنها وحدها ، زاد حياة ، ودستور عمل ، ومنهج سلوك ، لأنهم استمعوا الى ما استمعوا اليه من كلام الله ، بآذان صاغية ، وجوارح ساكنة ، وقلوب خاشعة ، فوقعت منها كلمات الله موقع الغيث من الأرض الجديبة ، فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج كريم .. يقول الله تعالى ، فيما يؤدب به أهل القرآن ، فى مجلس القرآن : « وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون » .. فالرجاء فى رحمة الله ، المستمطرة من آيات الله ، رهن بالاستماع والانصات لما يتلى من كلمات الله ، حيث تسكن الجوارح ، وتخشع المشاعر ، وتتهيأ العقول والقلوب للتهدى الى مواقع العبرة والعظة من آيات الله ، فيكون منها الدواء لكل ما فى كيان المسلم من داء .. يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى معنى قوله تعالى : « يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب » — يقول : « إن الحكمة هى القرآن »

ويفسر ابن عباس معنى قول الرسول الكريم : « إن الحكمة هى القرآن » فيقول : « أى فهم القرآن ، لأن القرآن يقرؤه البر والفاجر .. »

والا فليعلم أولئك الذين يفتحون المذياع على تلاوة القرآن ، ثم يدعون صوت المقرىء يملأ جنبات البيت ، وهم يحسبون انهم بهذا قد ملأوا البيت من نفحات آيات الله ، ونشروا على انفسهم وعلى أهليهم الخير والبركة منها ، دون أن يجلسوا هم وأهلوهم مجلس القرآن ، ودون أن يحسنوا الاستماع الى آيات الله ، وتدبرها ، والوقوف عند كل زاجرة وواعظة منها — الا فليعلم هؤلاء أنهم

بخسوا القرآن حقه ، وظلموا أنفسهم وأهليهم بما فاتهم من حظ عظيم كان دانيا منهم ، من نفحات القرآن وبركاته ، لو أنهم عرفوا للقرآن الكريم قدره .. وإنه لخير « لأولئك الذين يتخذون من القرآن الكريم « بخورا » يطلقونه من المذياع أن يحولوا مؤشره الى غير القرآن ، فذلك — على ما به — أصون لمقام القرآن الكريم ، وأحفظ لجلاله ، وعظمته ..

— ٥ —

وفى رمضان ليلة القدر ، التى كانت مفتتح نزول القرآن الكريم ، ومبدأ اصطفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لحمل رسالة الله الى عباد الله .. وهى ليلة من ليالى رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، وفيها يقول الله تعالى : « إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم » ويقول جلّ شأنه : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ،تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ، سلام هى حتى مطلع الفجر » .

ومعنى ليلة القدر ، أنها الليلة التى قدّر الله تعالى فيها عوالم الوجود كلها ، خلقا وأمرا ، بحكمته ، وعدله ، وعلمه ، وقدرته ، ورحمته ، فأعطى فيها كل شيء خلقه ، ثم هدى ..

فليلة القدر ، هى الليلة التى كانت الوعاء الزمنى لتجليات الله سبحانه وتعالى على هذا الوجود ، ثم كانت الوعاء الزمنى لنزول القرآن الكريم من السماء الى الأرض ، ففتح الله تعالى به قلوبا غلفا ، وأعينا عميا ، وآذانا صما .

ولهذا فإن ليلة القدر تنزل من عقول المسلمين وقلوبهم منزل الإعزاز والإكرام .. إنها ليلة العمر ، التى تهفو إليها النفوس ، وتحتشد لها الآمال ،

وأمر نحب أن نشير اليه فيما يتصل بليلة القدر ، التى نرصد مطالعها فى رمضان — وهو أن الذين ينتظرون ليلة القدر فى رمضان من كل عام ، ويتوقعون أن تطرق عليهم الباب فى أية لحظة من لحظات لياليه ، وأن تستجيب لكل ما يطلبون من مال ، وجاه ، وسلطان ، وصحة ، وشباب ، الى غير ذلك مما يتمثل لكثير من الناس ، مما تحمل ليلة القدر الى الموعودين بلقائها — هؤلاء الذين حساب ليلة القدر عندهم هو هذا الحساب ، هم أبعد الناس عن ليلة القدر ، لأنهم يسيرون فى طريق ، وليلة القدر تسير فى طريق .. انها ليلة العاملين ، الذين يصومون رمضان ، فيمسكون ألسنتهم عن الفحش والسوء ، ويفطرون على الحلال الطيب مما كسبت أيديهم .. فاذا كان الليل قطعوه ترتيلا لآيات الله ، وتدبرا لكلماته ، وقبسا من نور كتابه ، وقطفا من ثماره .. فمن فعل هذا كان خليقا بأن يتحلى بحلل ضافية من أنوار تلك الليلة المباركة ، وأن يسامر ملائكة الرحمن التى تتنزل بما يملأ ما بين الارض والسماء من نفحات الله ورحماته .. انها ليلة القرآن ، وليلة أهل القرآن .. ليلة الارواح المنتشية بذكر الله ، لا ليلة الاجسام المتخمة المثقلة بالطعام والشراب : « سلام هى حتى مطلع الفجر » .. فلا تلتقى الا بأهل السلامة والسلام ، ولا تصافح الا أهل النور والصفاء ..

هذا ، وليلة القدر وان لم يحدد وقتها ، الا أن المقطوع به ، هو أنها ليلة من ليالى رمضان ، فمن طلبها فليطلبها فى رمضان ، صائما نهاره ، قائما ليله .. ومن فترت همته فليطلبها فى العشر الأواخر من رمضان ، حيث أشار الى ذلك الرسول الكريم بقوله : « التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان » .. ومن

ضعف عن ذلك فليقم لها الليالى الفردية من تلك الليالى العشر ، حيث تظاهرت الاخبار بأنها واحدة من تلك الليالى ، فمن عجز عن هذا فليقم لها ليلة السابع والعشرين ، حيث وردت آثار وشواهد كثيرة بأنها ليلة السابع والعشرين ..
فمن ذلك ما يروى عن ابن عباس ، وقد سئل عنها ، فقال : « انى أراها ــ أى أظنها ــ ليلة السابع والعشرين » فقيل له : أعندك من خبر بهذا ؟ فقال : « لا ، ولكن نظرت فوجدت أن الله تعالى خلق الانسان فى سبعة أطوار ، فقال تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر .. فتبارك الله أحسن الخالقين » ..
كذلك جعل الله رزق الانسان ومعاشه فى سبع ، فقال سبحانه : « فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الارض شقا ، فأنبتنا فيها حبا ، وعنبا ، وقضبا ، وزيتونا ، ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة ، وأبا .. متاعا لكم ولأنعامكم » ثم نظرت فرأيت أن الله تعالى خلق سبع سماوات ، وسبع أرضين ، وسبعة أيام ، فكانت الليلة السابعة من الليالى العشر من أواخر رمضان هى أولى الليالى أن تكون ليلة القدر » ..

ومن جهة اخرى ، فقد استظهر بعضهم ان ليلة القدر هى ليلة السابع والعشرين ، بأن عد كلمات السورة ــ سورة القدر ــ فوجدها ثلاثين كلمة ، بعدد أيام الشهر ، ثم وجد كلمة (هى) التى تشير الى ليلة القدر تقع متممة العدد السابع والعشرين من كلمات السورة .

ــ ٦ ــ

وفى رمضان ، كان ميلاد أمة الاسلام ، وكان القرآن الكريم هو اليد الصناع لها ، والروح السارية فى كيانها ، وصبغة الله التى صبغها بها ، فكانت كما نوه بها الحق سبحانه وتعلى فى كتابه الكريم بقوله جل ذكره : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » ..

ففى قوله تعالى : « كنتم » بلفظ الماضى ، ما يشير الى هذا الوصف الذى وصف الله تعالى به هذه الأمة ، بأنها « خير أمة أخرجت للناس » ــ ليس محدودا بزمن من أزمان هذه الأمة ، ولا مقصورا على جيل من أجيالها ، أو بحال من أحوالها ، وانما هو وصف عام مطلق يشمل الأمة الاسلامية كلها ، فى جميع أزمانها ، وأجيالها ، وأحوالها ، من عهد النبوة الى أن يرث الله تعالى الارض ومن عليها ، وأن أمة الاسلام فى أسوأ أحوالها ، وفى أنزل منازلها ، هى على هذا الوصف ، وأنها خير أمة ، بما فى كيانها من قوى الحق ، والخير ، وان بدا فى ظاهر الأمر أن أمما كثيرة اليوم أقوى منها قوة ، وأكثر أموالا ، ومتاعا .. اذ أن ما يقوم عليه بناء الأمة الاسلامية من حق وخير ، لا تنال منه الأيام ، وأنها لا بدأن تجد وجودها يوما ، وأن ينفخ فيها الحق من روحه ، فتصحو صحوة مشرقة تبهر أنظار العالمين .. أما ما يقوم عليه بناء تلك الأمم الظاهرة الغالبة اليوم ، فهو قائم على شفا جرف هار ، لا يلبث أن يتصدع ويهوى الى القاع ، وان علا وطاول السماء .. « كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » .

وفى التعبير القرآنى : « أخرجت » تنويه آخر بشأن هذه الأمة ، وأنها هى المولود الكامل الذى تمخضت عنه الانسانية ، ولن تلد مثله أبد الدهر ، وفى هذا يقول الرسول الكريم : « الخير فىّ وفى أمتى الى يوم القيامة » .

وفى قوله سبحانه : « أخرجت للناس » تنويه ثالث بتلك الأمة ، وانها لم تخرج من الناس ، ولكنها أخرجت للناس ، حتى لكأنها بهذا من معدن غير معدن الناس ، ومن عالم غير عالم الناس ، وحتى لكأنها قد جاءتهم من عالم الغيب ، وطلعت عليهم من أفق بعيد ،واخرجت لهم من حيث لا يتوقعون .. فمن صحراء مجدبة قفر ، ومن مجتمع أمى غارق فى جهالة الجاهلية ، لا يكاد يمسك من حظوظ الناس بشىء — تخرج هذه الأمة ، فتقود ركب الانسانية الى مواقع الخير والاحسان ، وترد بها موارد العلم والمعرفة ، وتسوسها سياسة العدل ، والرحمة ، وتقيم فى كل أفق من آفاق الأرض معالم الامن والحرية والسلام ..

فلتذكر الأمة الاسلامية دائما أنها خير أمة أخرجت للناس ، ولتذكر دائما أن هذه الخيرية انما بفضل من الله تعالى عليها بأن كانت هى المتلقية للقرآن الكريم ، الذى هو روح من روح الله، يبعث الحياة حيث نزل ، ويحيى الموات حيث حل ..

فالأمة الاسلامية ، هى أمة القرآن ، اليه يرد أصلها ، وبه يعرف نسبها ، ومنه نسجت وتنسج ما لبست أو تلبس من حلل العزة ، والكرامة ، والسيادة .

وانه لن يمسك على هذه الأمة وجودها فى هذا المقام الكريم الا رعايتها للقرآن ، وتمسكها بالعمل به ، واجتماعها على الحياة فى ظله ..

ان القرآن الكريم هو مائدة الله السماوية الممدودة لأمة القرآن ، مائدة يتغذى منها العقل والروح ، فتتخلق من هذا الغذاء ملكات علوية ، ووجدانات ربانية ، بها يسمو الانسان ويعلو ، وبها ينتصر على الضعف الانسانى ، وعلى النزعات الحيوانية المندسة فى كيانه .. وهذا ما يشير اليه الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى قوله : « القرآن مأدبة الله ، فتعلموا من مأدبته » .. ولم يقل الرسول الكريم : فكلوا من مأدبته .. لأن القرآن الكريم مأدبة علم ، وحكمة ، وادب ، وخلق ، وليس مأدبة معدات ، ولا طعام بطون .. !

فانظر كيف رفع الله قدر هذه الأمة ، وأعلى شأنها ، وكيف جعل غذاءها السماوى الذى أنزله عليها ، غذاء يتصل بالقلب ، والعقل ، والروح ، ولم يجعله طعاما للبطون ، كما انزل الله تعالى على بنى اسرائيل ما انزل من المن والسلوى ، فأكلوا حتى اتخموا وبشموا ، وحتى عافوا هذا الطعام السماوى ، وقالوا لموسى : « ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها » .. وفى هذا ما فيه من فضل الله على الأمة الاسلامية ، ومن احسانها اليها ، فكانت خير أمة أخرجت للناس ، آمرة بالمعروف ، ناهية عن المنكر مؤمنة بالله ..

وانه لكى تلبس الأمة الاسلامية هذا الفضل الذى اختصها الله تعالى به ، وتتحلى بهذا الاحسان الذى أحسن سبحانه به اليها ، ولكى تكون على الوصف الذى وصفها الله تعالى به فى قوله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون

بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » — ثم لكى تولد فى الحياة ميلادا جديدا يرى فيها المجتمع الانسانى ما رأى فى يومها الأول — لكى تحقق الأمة الاسلامية هذا كله أو بعضه ، ينبغى أن تعود الى كتاب الله ، وأن تصحبه على ما صحبه عليه الأسلاف ، دستورا عاملا فى الحياة ، وحارسا قائما على ظاهر الانسان وباطنه جميعا ، وحكما مطاعا ينزل على حكمه الحاكمون والمحكومون ، ويلتزم حدوده الأقوياء والضعفاء يوم يكون هذا ، تعرف الأمة الاسلامية طعم الحياة ، فتسعد ، ويسعد الناس جميعا معها ..

—●—

وهذا رمضـــــان قد أظلتنا أيامه ، وهذه ليلة القدر تنتظرنا على طريق رمضان ، وهذا كتاب الله بين أيدينا كما أنزله الله تعالى على رسوله ، لم تبدل منه كلمة ، ولم ينخرم منه حرف ..

فيا أمة الاسلام ..

ويا خير أمة أخرجت للناس ..

هذا هو القرآن ..

فكونى أمة القرآن .. تلاوة ، وتدبرا ، وتذكرا ، وعملا ..

وهذا شهر رمضان ..

فكونى أمة شهر رمضان .. صياما ، وقياما ، واستقامة ، واحسانا ..

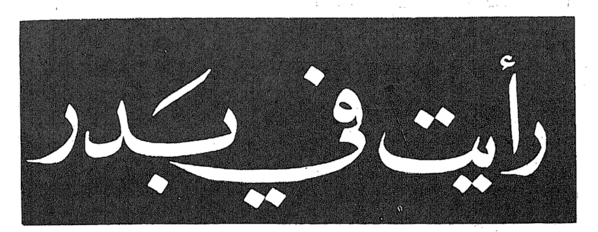
وهذه ليلة القدر ..

فكونى أمة ليلة القدر .. صفاء روح ، وطهارة نفس ..

انك ان تفعلى ثبّتَ الله خَطْوَك على الحق ، والبســـك ثوب العزة والمجد ، واقامك على الصفة التى نزل بها القرآن فى وصفك والتنويه بك ، وجعلك شهادة حية ، مشرقة الجبين ، عالية الصوت لما يرتل المرتلون ، ويسمع السامعون من كلمات الله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ..

انها مسئولية كل مسلم عن نفسه ، وعن أمته ، وعن كتاب الله ، لا تبرأ منها ذمة أى المسلم حتى يكون أقرب ما يكون الى القرآن الكريم ، بحيث يأمر ويأتمر بما أمر به القرآن من معروف ، وبحيث ينهى وينتهى عما نهى عنه القرآن من منكر ، والله سبحانه وتعالى يقول فيما أنعم به علينا بالقرآن ، وبما لهذه النعمة من حق يجب أن يؤدى : « وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .

قصــة ..



للاستاذ : محمد الخضري عبد الحميد

ـــ كيف حــال الوليــد ؟

ـــ علي حاله ، ما يــزال .

ـــ كلنا رأينا في (بدر) ما قد رأى .. فما خطبه ، وما حقيقة شأنه ؟

همسات جانبية تتردد .. تتهامس بها الشفاه علي الآذان ، في توجس ، وبخفوت .. تزداد انتشارا بين أحياء مكة ودروبها .. لا شيء يسمح بأن تتردد مثل تلــك الهمسات ، ويتسع انتشارها . هناك ما هو أشمل . ما هو أعم ، وأهم ، وأخطر . هناك (بلاء) واحد أكبر يجتاح القوم ويعصف بهم ، فيخصونه وحده دون سواه ، بكل الاحتفال والاهتمام .. هو وحسب ــ ذلك الرزء الشامل العام ــ الذي فيه يجهرون بالقول وبالفعل جميعــا .

انتهت (بدر) ، ولكن لتبدأ في أعقابها آلام وهموم الكفار .. إنهم يتعجبون لنتائجها ، ويمعنون الأنظار في دلالات عبرها وصورها . تنعقد المجالس تباعــا .. تحتــدم المناقشات باطراد ، فتعلوا الأصوات ، ويكثر التلويح المنفعل بقبضات الأيــدي في الهواء . تتضارب الآراء ، وتتناطح المؤاخذات والاتهامات .. وخلال ذلــك كله تهتز القامات ، ويشتد دق الأقدام بعنف علي الرمال ، ثم .. ثم ينفرط العقد ، وتتباعد عن بعضها البعض : أشباح كاسفة ، مهيضة ، ولا لون يغلب علي ملامح الوجوه ، الكالحة المربدة ، وما يدور في وسطها من مقل محتقنة ، ومحاجر زائغة ، إلا لون واحد .. لون الــدم !!

لكن وجها واحدا كان شأنه يختلف . وجه فتي قسيم ، ظل يلوح هادئا ، وضيئا .. لا تعكس أساريره الوديعة ، الذاهلــة الحزينة ، شيئا من أصداء ما يقال حوله ، وما يثار عن كثب منه ..

كان يهيم سارحا في عالم آخر ، مغاير تماما .. إذ ماذا يعني (الوليد) ، شقيق خالد وعمارة ابني الوليد بن المغيرة ، إذا كان المكر السيء حاق بأهلــه ، والدائرة دارت علي قومه ، فانتهي بهم الأمر إلي هزيمة ساحقة مريرة ، علي أيدي المعسكر الاسلامي في ساحــة (بدر ؟.. بل ماذا يعنيــه من الأمر كله الآن ،

وهو الذي يكابد في الأعماق : ما يجل ويسمو على كل ما يدور إلى جواره على السطح ، من هموم ، وأحـزان ؟

★ ★ ★

كان (الوليد) في طليعـة الذين خاضوا بدرا ، قبالـة جيش (محمد) .
مثلما ذهب أقرانه ذهب .. وكما قاتل بنو قومه قاتل ، ما وسعه القتـال .. فلم تغن عنه قوته في النزال ، وبأسه في الكر والطعان شيئا .. فكـان أن سقط آخر الأمر أسيرا ، وفك إساره بالفدية .. ثم عاد في النهاية ليجـد نفسه ـ لا يدري كيف ! ـ أسيرا من نوع آخر ! .. صار أسيرا للذهـول ، والدهشة ، وشدة الحيرة ، بعد أن رأى بأم عينيه ، وعن كثب ، ما رأى !
ولم يرق معظم القوم في مكة ، ما طرأ على (الوليد) من تغير .. صار سلوكه يتسم باللامبالاة بهم ، بل وبالجرأة والاستهانة بما هم غارقـون فيه إلى الأذقان من ذل ، ويأس ، وكرب عظيم .. فاتفقت كلمتهم على أن يقيدوا حركته ، وأن يحصروا خطره .. فجعلوه أسيرا بينهم ، محتجزا في عزلة اضطرارية تحت مرمى أبصارهم ..
وهكذا عاد الأسير الذي استخلص ـ بالفدية ـ حريته من المعسكر المنتصر المتسامح .. اسيرا بحق ، مفقود الحرية بشكل كامل ، وأين ؟؟ .. في بلـده ، بين آله وصحبه وكل قومه !!
لكن كلمة الحق ـ في رأيه ـ يجب أن تقال .. ولكى تقال ، يجب أن يهيأ لها الجو المناسب .. والاطار اللائـق ..
.. ويغوص (الوليـد) اكثر ، ليصل إلى كنه ما يصطخب من أحاسيس ومشاعر ، في أعماقه الموارة .. يسائل نفسه ، معايشا من جديد تلـك الصور والرؤى .. « ماذا رايت في بدر ، يا وليـد ؟ » .. وتسرح خواطره ، في وحدته، وراء المشاهد الجليلة .. « محمد .. الرجل الشامخ .. القائـد العظيم ... يحارب لمبـدأ .. يذود عن حمى عقيدة ليس كمثلها عقيدة .. إنه النبى الذى يتنزل عليه القرآن .. ويزوره من لدن العزيز الحـكيم : جبريل ، رسول السماء .. ويمضي (محمد) مزودا بتأييد ربه : ينشر على العالمين رسالة يالها من رسالة .. الاسلام .. اقوى واسمى الديانات .. ومن اجل كل ذاك البهاء والجلال ، يلتف حوله الصفوة الأخيار ، وأولو البأس الشديد . ومن الطبيعى جـدا ان يحف كل أولاء الأجلاء البررة ، بذلك الرجل الشجاع الباسل الكريم ... رأيتهم كلهم ـ في بدر ـ يتسابقون في نصرته .. يتزاحمون على بذل الأرواح رخيصة هينة ، في سـبيل أن يبقي هو بعيدا عن كل اذى ، وتبقى رسالته ، ورايـة معسكره . رايتهم في ساحة (بدر) يتفانون في تعضيده ، ومؤازرته ، وسحق كل من يعترض طريق النور الـذى يحمل لواءه .. انتصاره إذن ـ ولا محالة ـ امر منطقى .. أما : بنو جلدته ، ممن ناوأوه وأنكروا دعوته ، فمن المعقول جدا ان تكون هزيمتهم النكراء شيئا حتميا !.. أولئك الكفرة الفجرة ، الذين تعج بهم الدروب والطرقات ها هنا حولى .. لا شيء مطلقا مما يضيء يوجد في أعماق اى منهم .. ومن ثم فالـذى يدفعهم إلى قتاله ، ومحاولة صد تياره ، والحد من انتشار الدعوة التى جاء بها ، ليس إلا التعصب الأعمى ، والتشبث الغرير الأخرق بالضلالة والاثم .. مكابرة ـ فقط ـ وعنادا » ! ..

ويمضي (الوليـــد) ـــ في وحدته المؤنسة الكابية ـــ متفكـــرا ، يحـــاور ذاته .. مسائلا نفسه : (بم ـــ يا ترى ـــ يتقول الناس في شأنه ، ويرجفون) ؟!

★ ★ ★

حقا ! . أولئك الذين لا يفقهون .. ماذا ـــ يا ترى ـــ يقولون ؟! .. أتراهم يتندرون بظمئه المجهول ، ويتفكهون ؟ .. أم هم الآن يتهمونه ـــ كما اتهموا أخاه (عمارة) من قبل ـــ بالخبال ، ومنتهى الجنون ؟!

ولكن .. هل يستوى الذين يعلمون .. فينكرون .. ويتعامون ، ويتصاممون .. بالذين سمعوا ـــ مباشرة ـــ بالآذان ، ورأوا بأنفسهم رأى العيون ؟ !

هل هو بمستطيع الآن ، حتى لو أراد ، أن ينسى مشاهد وصور يوم الكر ، والفر ، والكرب ، والذهول ؟ .. بل ، وهل تستطيع كل أمـــواه الآبار والجداول أن تروي الآن غلته .. وأن تنجيه من عذابات ظما عجيب غريب ، يحرق الفـــؤاد حرقا ؟ !

★ ★ ★

كيف يمكن لـــ (الوليـــد) ـــ بعد ـــ أن ينسى محيا ذلك الليث الهـــادر الصوال ، ذا الريشة الكبيرة على صدره ، يهش بذؤابة مهنده البتار ، أعناق كل من كان يدفعهم لهيب العطش القاتـــل نحو : ماء بدر ؟ !

((هيه)) ! .. ويتنهد الفتى متأمـــلا ، سابحـــا في بحـــران عجب ذاهل وإعجاب .. إنه كان (حمزة بن عبد المطلب) وكفى ! .. أجل ، حمزة ، وأنه للرجل الذى ـــ على حد قولهم هنا ـــ ((ذلك الذى فعل بنا الأفاعيل)) ! .. فكيف لا يعلو ويسود معسكر من بين رجاله المقاتلين مثل ذاك الرجل ؟ . و .. حارب (الوليـــد) كما أرادوا له أن يحارب .. جاهـــد ، ما وسعه الجهد .. ولكن ما الجدوى ، وما في الأعماق شيء مما يضيء ؟ .. إن أولئك الـــذين يحاربون في معسكر (محمد) .. كانت ثمة طاقات علوية هائلة تشحنهم ، وينابيع من الضوء الغامر الفياض تتفجر في أعماقهم ، فهم لا يرتضون إلا النصر المؤزر ختاما لمعاركهم . راح (الوليد) يستعيد صورا ، ويعايش من جديد : العديد من المشاهد والرؤى .. ((بلال ، وهو يحمل على أمية بن خلف ، الذى كان يسومه الخسف والعذاب ، لا يدعه حتى يرديه صريعا ، وهو يكبر ويهلل ، ويهتف : ((رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا)) ! .. ((أبو جهل ذلك الطاغية الشرس ، يتهاوت جدثا مثخنا بالطعنات النافذات على يد معاذ بن عمرو بن الجموح ، أحـــد مقاتـــلى المسلمين الأشداء)) .. ((ابن سعيد بن العاص ، يخر مجندلا بضربة قاسية من الزبير بن العـــوام)) ..

ويتذكر ما قيل وردده الألسن وأكدته الروايات ، ويكرر نص كلمـــات رجل من بني غفار ، قال فيها .. ((أقبلت أنا وابن عم لى ، حتى أصعدنا فـــى جبل يشرف بنا على بدر ،ونحن مشركان ، ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة ، فننهب مع من ينهب .. فبينا نحن في الجبل ، إذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل ، فسمعت قائلا يقول : ((أقدم حيزوم . فأما ابن عمى فانكشف قناع قلبه ، فمات مكانه ، وأما أنا فكدت أهلك ، ثم تماسكت)) .. أو ذلك الرجل الآخر الذى

قال .. « إنى لأتبع رجلا من المشركين يوم بـدر لأضربه ، إذ وقع راسه قبل ان يصل اليه سيفى ، فعرفت انه قد قتله غيرى » .. إذن فالأمر كذلك حقا ، ليس أدل على ذلك ايضا من : تعقيب لرجل جليل هو (ابن عباس) ، أدلى به تعليقا على أحداث المعركة الكبرى .. « كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء قـد أرسلوها على ظهورهم » ..

ويمضى الوليد مناجيا نفسه .. « إنى رأيت بعينى فى بدر .. الابن الذى ملأ نور السلام فؤاده ، يحمل على أبيه الذى لا يزال على الشرك ، ولأن الأب الـذى أعمى الكفر بصره وبصيرته .. تصدى لابنه الـذى آمن واهتدى واخذ يذود عن معسكر الهدى مع رجال الاسلام ببسالة تنخلع لهولها القلوب ... وحاول الأب المتعصب للجهل فى تطاول تعس أن يحول بين ولده وبين صفـوف أهله الذين لا زالوا مشركين .. فكان على الابن : أن يضع واجب العقيـدة ، فوق أية دوافع من بنوة أو قربى » .. ويعود الفتى الظامىء الحائر الى التساؤل للمرة الواحدة بعد الألف .. « أى قوة خارقة هذه ، التى يمنحها هذا الـدين الأسمى ، لمن نهل من مورده حتى أرتوى ؟؟ .. وكيف لى ان أمحو من مخيلتى هذه اللقطة الحية ، التى لا تبهت مطلقا ولا تبلى ؟ .. أو لم أر بعينى هاتين ، كيف ان عليا بن ابى طالب ، يجندل بحسم رهيب بعض بنى عمه ؟ لأن العقيدة والمبدأ عنده كما تعـلم عن دينه ، وتلقى عن نبيه ، أقوى وأعلى منزلة من كل وشيجـة ، وأبقى ؟ » و .. و ..

وتجتاح الفتى فى نهاية كل تلك الخواطر والفكر : قوة خارقة خفية ، لا يدرى ــ فى وحدته المؤسية ــ ماتاها .. كل ما يدريه أن الكلمة التى ينبغى ان تقال فى حينها وأوانها ، نضجت ، وآن لها أن تنطلق إلى آفاقها ..

ويهب (الوليد) من فوره ، فيعمل يديه فى الرتاج الموصد عليه باحكام من الخارج .. وإذا الحديد السميك العصى : يلين ويضعف تحت شديد عزمه وبأسه .. وهكذا يفلح ــ أخيرا ــ فى فتح الباب المغلق ..

ويذهب إلى عتبة الدار التى أسروه فيها ، خشية أن يستفحل خطر ما داب على ترديده من كلمات وآراء لا تتفق البتة ورايهم فى (محمد) ، وكنه هذا الدين الذى طلع به عليهم (محمد) .

تنسم الهواء قليـلا .. ثم عـاد يسائل نفسه ، ويشاورها ويناظرها ، كما اعتاد فى الآونة العصيبة الأخيرة ان يفعـل ..

ــ « ها قد تحررت من قيود الأسر .. الآن فقط استطيع ان اعلن ما يجيش فى سريرتى غير هياب ، وعلى رءوس الأشهاد . الا ما اجمل أن يكـون ذلـك عاجـلا .. وعاليا » .

ولم يضيع وقتا ، فانفجر بملء فيه صائحـا :

ــ يا قوم .. اسمعـوا كلمتى .. لى كلمة يا قـوم ، هاكم هى .. فاصغوا إلى .. !!

★ ★ ★

هرع كثيرون إليه ، انطلقوا صوبه جماعات ، دهشين ، ماخوذين .. يتعجبون ــ قبل اى شىء آخر ــ لكل ذاك البشر الطافح على أسارير وجهه ..

عيناه اللتان كانتا زائغتين ، شبه مطفاتين .. ما بالهما الآن : شع منهما بريــق ساطع جديد ؟!.. اين الأسى ، وأين المرارة ، وأين أمائر الظمأ الشديد ، وعلائم الهم والغم والذهول العميق ؟ ! .. لم يعـد يسطع على المحيا المتهلل سعادة وبهجة : إلا الفرحة الغامرة ، والنشوة الهائلـة الطاغية ! .. ماذا جـرى .. هكذا في طرفة عين لـ (الوليد) !؟ . حاول البعض ــ عبثا ــ أن يعيــدوه ثانية ، إلى حيث كان ! .. سأله آخرون : ما خطبه ؟ . ماذا يريد ؟ .. وما هى (الكلمة) التى عن له ــ الآن وحسب ــ أن يقولها ؟! . استبــق بعـض ثالث كلمة الفتى قبل أن تقال .. فأسرعوا يصيحـون ، ساخرين هازئين :

ــ نعرف ما بك ، ونعرف سلفا كلمتك . كل ما رأينه في بدر وسمعته .. رايناه ــ يا فتى ــ وسمعناه مثلك .. الواجب يقتضيك يا هذا أن تفعل مثلنا .. نحن ننكر كل شيء ، حتى ولو كـان الحق الصراح .. لا نريـد أن نعترف لـ (محمد) وجنده بشيء ولو يسير، من كل ذاك الفضل والمجد الذى قد علمت .. اما عن الظمأ الدائم ، الذي تشكو حرقته .. فلقد أودعنا حجرتك كل ما يكفـى من ماء .. أفلم ترتو بعد ؟!

أنى لمثل هؤلاء أن يفقهوا .. ؟ !

أنى لتلك القلوب الصلدة الصماء ، أن تحس وتدرك ؟! .. إنها لـو استطاعت الحس والادراك ، لفاءت إلى الموئل السامى .. ويجيب الوليـد باسمـا :

ــ لا . لم ارتو بعد . لكنى اعرف كيف ومتى واين أستطيع أن ارتوى ، ارتواء لا ظمأ بعده ! .. يا قوم .. تعلمون متى وكيف يقول الانسان الحر كلمته .. اننى الآن ، كما ترون ، حر ... ولن تستطيع قوة فى هـذا العالم ان تسلبنى بعد اليوم حريتى .. ساقول كلمتى حرة مدوية . يا هؤلاء .. لقد ايقنت اننى في رحاب الرجل الكبير القائـد : ساجد طمانينتى وسكينتى ، والـرى الهنيء لظمأ روحى وفؤادى .. لم اشأ أن أقول الكلمة وأنا اسير عنـده فى المدينة ، ضمن أسرى بدر .. فما كنت إذ ذاك حرا ، ومن ثم فما كانت كلمتى لتكون (كلمة احرار) لو انها قيلت حينئذ .. يا قـوم : إنى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا هو عبد الله ورسوله .. والآن : افعلوا ما بدا لكم !!

من مكة ، إلى المدينة .. سار (الوليد) ، يضرب بدأب جاد ، وبعزم شديد طروب .. أنشأ قدما يضرب وحيدا فى القفار والآجام .. مثخنا بالجـراح ، موهونا ، لكثرة ما تلقى فور إلقاء (بيانه) الخطير ، من ضربات وركـلات ، إذ لم تستطع كل قواهم المضادة الضاربة ــ مجتمعة ــ أن تثنيه عن عزمه ، أو تحيد به ولو قليلا عن الشروع فى تحقيق هدفه .. كان قد حدد الطريق إلى بلـوغ أمنيته ، بعد أن كان عرف أين يكون موطن الرى وموئل السكينة .. وبعد أن وثق من تخير (التوقيت) الأمثـل ، الذى ينبغى فيه أن تنطلق ــ من عقالها ــ كلمته .

انطلق الوليد سعيدا .. يخب ماشيا فى عرض الخلاء الفسيح عـلى قدميه .. ليقول هناك (كلمة) لم يرد أن يقولها فى البدء وهو اسير ، محتجز لدى المعسكر المنتصر ، حتى لا يكون ثمة احتمال لظن بان الأسر أوهن من شجاعته اوفت فى عضده ..

وبين يدى (محمد) ، ناشر الاسلام وحامل لوائه ، اعلن الفتى الشجـاع مع إسلامه : مطلق الولاء ..

مكتبة المجلة

إعداد : الأستاذعبد الستار محمد فيض

قبسات من السـنة

فى هذه الفترة التى يحتاج فيها المسلم الى الزاد الروحى الذى يضىء لـه مسالك الحياة ويهديه الى أخلاق الحق والخير فى عالم يعوزه الحق والخير ، فى هذه الفترة أصدر الشيخ أحمد البسيونى المراقب العام للوعظ بالأزهر ، وهو داعية من خيرة الدعاة الى الاسلام ، كتابه (قبسات من السنة) .

وفى هذا الكتاب اقتبس المؤلف من السنة المطهرة كثيرا من الأحاديث الصحيحة ، ووقف لها بالشرح والتحليل ، واستنباط الآداب والأخلاق فى أسلوب سهل وعرض دقيق .

والكتاب (٣١٨) صفحة من القطع الكبير نشرته جماعة النشر بهيئة علماء الوعظ بالأزهر .

العوامل التى تنخر فى الكيان الاسلامى

نفثات مؤمنة ، ومشاعر صادقة ، ودراسات هادفة على صفحات هـذا الكتاب تعكس ما يجيش فى نفوس المؤمنين العاملين لخدمة دينهم وعقيدتهم ، وتبرز الآمال العريضة ، والأهداف الكبرى لتحقيق ومضة من نور الايمان المنبثق من الكعبـة .

وعلى صعيد رحلة النور والايمان والأخوة والتقوى التقى مجموعة من كبار الكتاب المسلمين الأستاذ عمر الحكيم ، الدكتور مصطفى عبد الواحد ، الدكتور عبد الصبور مرزوق ، الدكتور عبد الحميد الهاشمى ، الأستاذ محمد المبارك ، الدكتور محمد أمين المصرى ، مولانا كوثر نيازى ، الأستاذ انعام الله خـان ، معالى حسن التهامى فى هذا الكتاب ليعرضوا للقارىء كل ما يتعلق بأمور العالم الاسلامى ...

جهـود مباركة بذلها هؤلاء الأساتذة فى طريق الخير والحق والصلاح ، وجهود أخرى بذلتها وزارة الحج والأوقاف بالمملكة العربية السعودية فى طبع هذا الكتاب الذى قدم له معالى السيد حسن كتبى وزير الحج والأوقاف .

والكتاب يقع فى ٢٣٠ صفحة ، ومن طبع دار الأصفهانى وشركاته بجدة ـــ المملكة العربية السعودية .

استراتيجية العالم الاسلامى

لقد واصلت وزارة الحج والأوقاف بالمملكة العربية السعودية التقدم فى ميدان دعوة التضامن الاسلامى ، فعقدت ندوات ثقافية . وعهدت الى بعض الأساتذة المتخصصين فى العلوم أن يحاضروا فيها فى اجتماعات ضمت مجموعة من كبار الحجاج ومثقفيهم واصحاب الراى فيهم . وقد جمعت هذه المحاضرات فى كتاب قدم الى العالم الاسلامى تحت عنوان ((**استراتيجية العالم الاسلامى**)) ويعتبر هذا الكتاب بمثابة الخطوة الاولى فى طريق الاصلاح العام الشامل الذى نتمنى أن يسلكه المسلمون جميعا مبتدئين برحلة الاخاء والتعاون على البر والتقوى ، وشهود المنافع .

والكتاب يقع فى ٢٠٠ صفحة ، ومن طبع مطبعة دار الكتب فى بيروت .

شفاء السقام فى زيارة خير الأنام

تأليف الإمام الفقيه على بن عبد الكافى تقى الدين السبكى — والكتاب من التراث العربى القديم طبعته لجنة التراث العربى ص.ب ٦٢٨٣ بيروت ، ومرتب على عشرة ابواب الأول فى الأحاديث الواردة فى الزيارة ، والثانى فى الأحاديث الدالة على ذلك ، وان لم يكن فيها لفظ الزيارة ، والثالث فيما ورد فى السفر اليها ، والرابع فى نصوص العلماء على استحبابها ، والخامس فى تقرير كونها قربة ، والسادس فى كون السفر اليها قربة ، والسابع فى دفع شبه الخصم وتتبع كلماته ، والثامن فى التوسل والاستغاثة ، والتاسع فى حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والعاشر فى الشفاعة .

وتضمن الكتاب الرد على من زعم أن احاديث الزيارة كلها موضوعة ، وأن السفر اليها بدعة غير مشروعة .

والكتاب يقع فى ٢٥٠ صفحة .

شعر الدعوة الاسلامية فى عهد النبوة والخلفاء الراشدين

الكتاب الثانى من سلسلة البحوث التى تطبعها الرئاسة العامة والمعاهد العلمية بالمملكة العربية السعودية وهو من جمع وتحقيق وشرح الأستاذ عبد الله حامد الحامد ، والكتاب يبحث فى شعر الدولة الاسلامية الذى اتقدت شعلته منذ فجر الاسلام الى يومنا الحاضر وادى رسالته خلال أربعة عشر قرنا فى تصوير مشاعر القلوب المؤمنة وإرواء عواطف النفوس المتدينة والهاب حماسة الجماهير المسلمة وتعبئتها لرد عادية أعداء الاسلام وقد راعى المؤلف عند جمع هذا الشعر أن تبدو فيه الروح الاسلامية واضحة بينة وحذف ما يخرج عن خط الاسلام وصنف هذا الشعر المجموع فى عشرة أبواب : الدخول فى الاسلام . التوحيد . الجهاد . الهجاء ، المديح . الرثاء . السياسة . الأخلاق . المواعظ . شعر منوع .

وقد أقبل المؤلف على عمله هذا بصدق وبذل له من نفسه بسخاء ولبس له ثوب الباحث الذى يقدر المسئولية .

والكتاب يقع فى (٦٠٠) صفحة وهو من مطبوعات كلية اللغة العربية بالرياض .



الحيض

السؤال :

العريف محمد رضا من الجمهورية العراقية يسال : هل يحرم الطعام من يدى امراة فى فترة الحيض ؟

الاجابـــة :

الاسلام دين سمح لا يعسر على الناس . ولا يضيق عليهم معايشهم ، بل يقدر الامور بقدرها دون تجاوز ، فالحيض لا يحيل المراة ــ وهى المخلوق الآدمى الداخل فى تكريم الله سبحانه ــ الى شىء نجس او رجس يتحتم اجتنابه وعـــدم مخالطته ، بل يبيح لنا الاسلام معاشرة زوجاتنا خلال فترة الحيض والاستمتاع بمخالطتهن الا النكاح ، وجميل ما دار بين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، وبين السيدة عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها ، قال لها رسول الله « ناولينى الخمرة من المسجد ــ والخمرة ما يوضع ليسجد عليه المصلى او (السجادة) ــ فقالت : انى حائض فقال : ان حيضتك ليست فى يدك » رواه مسلم ولعل المراد بالمسجد مسجد بيته الذى كان يتنقل فيه .

وروى البخارى فى صحيحه عن ميمونة ام المؤمنين رضى الله عنها ، انها كانت تكون حائضا لا تصلى وهى مفترشة حيال مصلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى على خمرته اذا سجد اصابنى بعض ثوبه .

وعلى هذا يا أخ محمد فلا حرج فى أن يؤكل الطعام من يدى امراة ، وهى فى فترة الحيض ، بل لو صلى رجل الى جوار زوجته الحائض ولمستها ثيابـــه فصلاته صحيحة .

الجهـــاد

السؤال :

الاخ ع. ع. يسال عن حكم الجهاد ، وهل هو دائما مفروض على كل احد ؟

الاجابـــة :

الجهاد بمعنى بذل الجهد فى سبيل اعلاء كلمة التوحيد ، وصيانة احكـــام القرآن المجيد ، وحماية مقدسات الاسلام فريضة لازمة الى يوم القيامة ، ويكون بالحجة : فقد امر النبى صلى الله عليه وسلم به منذ كان بمكة وقال تعالى : « فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا » . واما أن يكون بالقتال ، وقد اذن للمؤمنين فيه أولا ولم يفرض عليهم بقوله سبحانه : « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » ، ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم بقوله جل وعلا : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم » ، ثم فرض عليهم قتال المشركين كافـــة بقوله عز جاهه : « وقاتلوا المشركين كافة » .

وهكذا كان محرما ثم مأذونا به ثم مأمورا به لمن بداهم ثم مأمورا به لجميع المشركين ، والجهاد اما فرض عين على أحد القولين أو فرض كفاية على المشهور ، والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين : اما بالقلب واما باللسان ، واما بالمال ، واما باليد ، فعلى كل مسلم ان يجاهد بنوع من هذه الانواع ، اما الجهاد بالنفس ففرض كفاية وأما الجهاد بالمال فمثله لان الامر بالجهاد به وبالنفس فى القرآن سواء كما قال عز من قائل : « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله » وعلق النجاة من النار بـه ومغفرة الذنب ودخول الجنة فقال : « يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم » .

روى أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حرس من وراء المسلمين فى سبيل الله متطوعا لا يأخذه سلطان لم ير النار بعينيه الا تحلة القسم » .

وفى الترمذى عنه : « ليس شىء احب الى الله من قطرتين أو أثرين : قطرة دمعة من خشية الله وقطرة دم تراق فى سبيل الله ، وأما الاثران : فأثر فى سبيل الله وأثر فى فريضة من فرائض الله » .

وكان يستحب للرجل منهم أن يقاتل تحت راية قوم ، وربما يستأجر الرجل من ماله من يخرج فى الجهاد ، ويسمون ذلك الجعائل وفيها قال النبى صلى الله عليه وسلم : « للغازى أجره وللجاعل أجره وأجر الغازى » .

التنفل قبل صلاة العصر

السؤال :

السيد ع. س من منطقة الفيحاء بالكويت يسال عن المراد من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « رحم الله رجلا صلى قبل العصر اربعا » فهل هذه الصلاة تجوز قبل الاذان أم بعد الاذان ؟

الاجابـة :

الى السيد السائل نقول : ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم احاديث كثيرة ترغب المسلمين فى صلاة النافلة قبل صلاة العصر المفروضة لكن بعض الروايات تنص على التطوع بركعتين وبعضها يرغبنا فى أربع ركعات . روى النسائى عن أم حبيبة — أم المؤمنين — رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى فى يوم وليلة اثنتى عشرة ركعـة بنى له بيت فى الجنة . أربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعـد المغرب وركعتين قبل صلاة الفجر » .

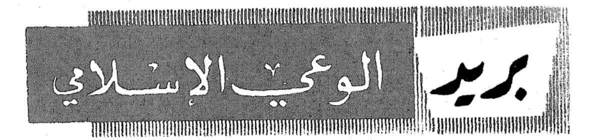
ومن حديث على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى قبل العصر أربع ركعات .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص عند الطبرانى مرفوعا بلفظ « من صلى أربع ركعات قبل العصر لم تمسه النار » .

وروى الطبرانى عن أم سلمةرضىالله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى أربع ركعات قبل العصر حرم الله بدنه على النار » .

لكن الرواية التى أوردها السائل قريبة مما رواه أحمد عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رحم الله امرءا صلى قبل العصر أربعا » .

وعلى كل فهذه النافلة وقتها بعد أذان العصر وقبل صلاة الفريضة .



اعداد : عبد الحميد رياض

دار القـرآن الكريم

قرأت عن افتتاح دار للقرآن الكريم :
وأود أن أعرف ما هو الهـدف من إنشائهـا ، وساعات الدراسة فيهـا ، والمعلومات التى يحصل عليها الطالب ، والشروط اللازمة لقبول الطالب ؟
أحمد المرزوق ـ الكويت

• • • • • •

من المعلوم أن الهدف من إنشاء دار للقرآن الكريم هو الحفاظ على دستور هذه الأمـة ، ومكمن عزتها ، وموطن الرجاء فى صلاحها . فلقد جمع اللـه بالقرآن القلوب ، وقوى به العزائم ، فانعقدت به أواصر ود لا تهن ، وتماسكت به روابط أخوة لا تلين ، وهو كتاب الله الذى لا يأتيه الباطـل من بين يديه ولا من خلفـه .

فحرى بالمسلمين أن يحرصوا عليه فى كل عصر ، وأن يصونوه من التحريف والتبديل ، ولا يتركوه هدفا سهلا أمام الحريصين على تشويه حقائقه .

ولقد جاء هـذا المشروع امتدادا طبيعيا وتنفيذا صادقا لوعد الله : « إنا نحن نزلنا الـذكر وإنا له لحافظون » ولن يخلف الله وعده ، فهو دائما سبحانه يوجد المناخ المناسب فى الوقت المناسب فوق أرض طيبة ، وذلك ليظل القرآن النور الهادى سواء السبيل ، والمنبع الصـافى للعـالمين فى مأمن من تلاعب الأهـواء بـه .

ثم يسرت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالـكويت اتمامـه فى العام الماضى ، وهيئته ليكون موافقا لما جبل عليه المسلمون فى كل العصور من الاقبال على حفظ القرآن الكريم ، وحرصهم الشـديد على معرفة تفسيره ، والالما بأحكام تجويده .

والدراسة فيه صباحية ومسائية كل فترة ثلاث حصص يحفظ فيها الرجال المقرر من القرآن ، ويفقهون ما استطاعوا تفسيره ، ويتلقون تجويده فيحسنون تلاوتـه .

والشروط لا تعدو معرفة الكتابة والقراءة التى تمكنهم من حسن المطالعة والمتابعـة ، ولتكون معينهم على الحفظ ، وإتقان معرفة أحكام تلاوته ، وتنفيذ ذلك بفهم يمكن الحفـظ فى صدورهم .

والدى يشرب الخمر ، ويأمرنى بإعداد مائـــدة الشراب ، وإحضاره لـــه كل ليلة .

وإنى اطلب منكم أن توجهوا لـــه كلمة تشرحون فيها مضار الخمر عليـــه حتى يعود الى صوابه .

وهل على جناح او ذنب يعاقبنى الله عليه لاعدادى مائدة شرابه ؟

ع . س

. . . . . .

عندما حرم الاسلام الخمر واعتبرها من الكبائر . وسن لشاربها حدا يكون زاجرا لـــه ولغيره . وإنما كان يهدف الى الحفاظ على المجتمع المسلم من التمزق الأخلاقى ، والانهيار الجسمانى . والضياع المالى للأفراد .

والشارع الحكيم يعلم ما يصلح المجتمع ، وما يحفظ عليه كيانه ، وما يحميه من اللذات المهلكـــة لقواه . المقوضة لأخلاقه . لأن سلامة الأخلاق جانب مـــن الجوانب الهامة التى بها يصلح الانسان للقيام بأعباء الخلافة الأرضية على أحسن الوجوه وأكملها كما أراده الله أن يكون : « ولقد كرمنا بنى آدم » وعلى هـــذا الخمر تنافى كل المكرمـــات ، فهى صد للذين آمنوا عن ذكر الله ، وعن الصلاة ، وايقـــاع للعداوة والبغضاء فى صفوف المسلمين ، لأنها تفقد الانسان وعيه ، وتنسيه واجباته ، وتهيج فيـــه النزوات الشريرة ، وتحرمه يقظـــة الضمير والحس ، واليقظـــة التى أرادها الاسلام للمسلم عامل إيجابى فى حماية ماله ، وصيانة عرضه ، ووعـــاء نظيف يقيه التلف الجسمانى .

والغيبة التى يعيشها الانسان المخمور إنما هى هروب من واقعه ساعة سكره ، وجنوح به الى التصورات التى يحياها ، وفقدان للمعانى الانسانية فيه .

فالخمر تثير فى الانسان النشوة المحمومة الهابطة به الى الحيوانية ، فلا يرى الحقائق التى يواجهها بعين بصيرة ، وإنما يزيغ عنها ويعيش مع أحـــلام لا تمت للواقع بصـــلة .

وإن قول الله تعالى فيصل عدل : « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقـــع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » .

وفى رواية لابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها وآكل ثمنها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه » .

والذى نرجوه من الوالد ألا يضع نفسه موضع التهم من أبنائه فيشوه بذلك الصورة الجميلة التى يرجوها الولد فى أبيه ، فهو حاديه الى أقوم سبيل ، وأسمى منهج على طريق النور ، وكيف لا والوالد هو المدرسة الأولى للحياة التى يخوض على أساسها ابنه معتركها ، فكيف يتسنى للوالد أن يجر ابنه للهاوية ويقوض فيه دعائم الأخلاق ، ويهيئه للخوض فى غمار الرذيلـــة ؟!

أنصحك بالابتعاد عن موطن الشراب ، وبـــذل كل الوسائل الممكنة للحيلولة دون إدمانه الشراب ، وكذلك وقاية نفسك من المشاركة فى هذا الاثم ، فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .



فى التربيـــة

للأستاذ / عبد الرحمن احمد شادى

رايت كثيرا من الآباء والأمهات يتفانون فى خدمة أولادهم ، ويكفونهم قضاء مصالح الأسرة الكبيرة منها والصغيرة ، الجليل منها والدقيق .. وما يحتاج الى المشقة وما يتم بمجهود يسير ، حتى بعد أن يشبوا عن الطوق ، ويستطيعـوا خدمة انفسهم ...

فاذا زاد العدد ، وثقل الحمل ، وكبر الأولاد ، كان من الصعب تكليفهـم بشىء لم يتعودوه ، ولم يألفوه منذ نعومة اظافرهم ، فيشتكى الآباء والأمهات من البرود والجمود والجحود الذى يصادفهم من ابنائهم مر الشكوى ، وانهم لا يعينونهم حتى فى خدمة أنفسهم ، وفى قضاء مصالح الأسرة ، ونسبوا ذلك الى العقوق والاهمال ، وفساد الزمن ، وقلة البركة ، واثر الطعام الحرام وتذاكروا ما كانوا يفعلونه مع آبائهم ومعلميهم ، حتى ولو كانوا قساة ، فالطراز الشائع فى عصرهم الطاعة والاحترام لا يشذ عنه الا القليل ، وكانوا على حق فى هذه الشكوى الا انها جاءت بعد فوات الأوان ، وضياع فرصة التعود والتعلم فى الصغر ، وهو كالنقش على الحجر فيما يذكر المثل كان الفضول الغريزى وحب الاستطلاع فى الطفل يتدخل فى بداية الأمر ، فيحاول أن يقلد أبويه فيكفه الوالد أو الأم عن هذا التقليد بحجة أنه صغير لا يعرف شيئا ، ولا يتقن العمل الذى يؤديه الأب أو الأم ، ويصرفه الى اللهو واللعب ، ثم يتكرر هذا الموقف كل مرة حتى بعد أن يكبر الطفل ، ويصبح من السهل تعليمه ، ويكون من المناظر المألوفة بعد ذلك ان يعمل الأبوان فى مصالح الأسرة والأبناء لا يعرفون شيئا كأن الامـر لا يعنيهم لانهم شبوا على عدم التدخل فى اعمال الكبار ، وعدم المبالاة بمصالح الأسرة ، وكان من الخير للأبوين أن ينمى كل منهما فى دائرة عمله هذا الاهتمام فى الطفل ، فيكلفه بشىء يسير من العمل ، ويلفت نظره بلين ورفق الى الأخطاء والعيوب حتى يبتعد عنها بالتدريج ، وبعد كثرة التكرار ، ولا بد أن يأتى عليه يوم يؤدى فيه العمل المطلوب كما يؤديه الكبار ، ثم يتدرج الأبوان معه بعد ذلك الى ما هو اعظم وهذه الاعمال تبدأ بخدمة نفسه وارتـداء ملابسه ، وتنظيف الأيدى والأوانى والمنزل والملابس وترتيب الفراش واحضار الطعام ، ومساعدة الأب فى عمله الذى يكتسب منه رزقه ان كان مما تمكن فيه المساعدة كالزراعة والتجارة وبعض الحرف والصناعات .

ولا بد من توزيع الأعمال على الأولاد بحيث يقوم كل فرد بنصيبه ، ولـو ادى الأمر الى نظام المناوبة لكى يشعروا بالعدل والمساواة ، وينشأوا على حب العمل ، وتحمل المسئولية ، وتقدير الدأب والنشـاط والاجتهاد ، والبعد عـن الفراغ والاهمال والفوضى والترف .

وما دام الطفل قد بلغ سن التمييز والفهم فلا بد أن يعوده أبوه على الصلاة لتصبح الصلة بينه وبين الله حقا مقررا ، وعادة متبعة ، ومن الخطأ أن ينهى الطفل عن الصلاة أصلا اذا ارتكب بعض الأخطاء فى فترة التعليم ، فكثير من المصلين ينهرون الأطفال ، ويطردونهم شر طردة اذا ارتكبوا بعض الأخطاء حتى يخشوا دخول المسجد مرة ثانية خوفا من قسوة الكبار عليهم ، وهم يأتون الى المسجد بقلب سليم ، ورغبة صادقة ، والنفوس الفضة البضة أولى بالرفق واللين والحكمة والموعظة الحسنة ، وتأليف القلوب من الكبار ..

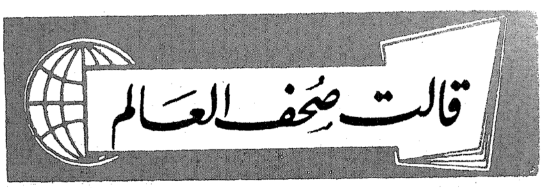
ومن هذا تعويدهم على الصيام ايضا ، والتهاون فى الصغر يؤدى الى أوخم العواقب فى المستقبل لأن معظم النار من مستصغر الشرر ، ومن الواجب على الأهل أيضا الاشراف على سير الطفل فى المدرسة ومساعدته على اداء واجبه أولا بأول ، حتى تتكون عنده العادة والاهتمام بالعلوم فى المدرسة ، فيسير مع أبناء جيله ، ولا يتخلف عنهم ، فقد يكون عدد التلاميذ فى الفصل فوق طاقة المدرس ، وعند كثير من الآباء والأمهات الفراغ الطويل الذى يقضونه فى النوادى والحفلات والمسامرات والمقاهى ، وعندهم من العلم على الأقل ما يمكنهم من رعاية ابنائهم فى المرحلة الاولى من التعليم وهى أساس البناء ، ولكنهم يشتغلون بما لا يفيد ، ويلقون عبء الأولاد فوق المدرسة وحدها ، ويظلون نائمين وغارقين فى العسل سنوات الى ان يكتشفوا بعد فوات الأوان ، أن الطفل لم يتقدم فى مدرسته وان أول امتحان جدي رسب فيه الطفل ، وأن أبناءهم من الرعية التى سيسألون عنها ورد فى الحديث ..

عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته) الحديث متفق عليه وهو مشهور .. وفى بعض كتب السنة (اليس من الخير للآباء والأمهات الاستفادة من الفرص الطيبة التى تتاح لهم قبل فوات الأوان اذ لا فائدة بعد ذلك من شكوى العقوق والاهمال والفساد والبكاء على اللبن المراق ، والحسرة على الأيام الخالية) .

ليلة القدر

من قصيدة للأستاذ / أمجد عبد الحميد البكرى ــ جامعة بغداد :

يا خير أيام السنين ضحاها — يا خير انسام الربيع صباها
يا ليلة فيها الملائك نزلت — واختارها الرحمن دون سواها
يا صاحبى لو قمتها ــ لو مرة ــ — لرأيت أعظم ساعة تحياها
ولهمت فى انسامها وعبيرها — ورأيت حلو نجومها وسماها
لو مرة عفت المنام بجوفها — وسقيت روحك ماءها وحياها
لرأيت فى الوحى الكريم وآية — للروح كل رجائها ومناها
ولذقت فيها للصلاة حلاوة — وعرفت سر محبتى إياها
لو تبت للرحمن واستغفرته — وتلوت بعض الآى فى ذكراها
لرأيت انى صادق فى وصفها — واذن ستهواها كما أهواها



اعداد : فهمي الامام

موقفنا من صراع العصر

الدين الاسلامي ليس دين فرد .. وليس مجرد شعارات ولا طقوس .. ولكنه دين أمة .. لا بد أن يتمثل في واقع .. ويظهر في السلوك والمعاملات .. لا قيمة فيه للشعارات اذا كانت فارغة لا تحقق غاياتها .. ولا قيمة للطقوس الدينية اذا كانت جوفاء من روح العبادة ومغزاها ، ولا بد لكي نكون مسلمين حقا .. أن نحاول تغيير كل باطل بالحسنى .. وأن نقرع الحجة بالحجة .. وكلمة الله — أبدا — هي العليا .. والآن فما موقفنا من هذا الصراع الدائر في هذا العصر ؟! نشرت مجلة « الهدى الاسلامي » الليبية مقالا حول هذا الموضوع نقتطف منه ما يلي :

.. .. ..

« إن الذين يتصورون إمكانية الانتساب الى عقيدة ما ، دون التقيد بحدودها وبالتزاماتها — هؤلاء ، لا يحترمون العقل ولا يقرون للمنطق بقيمة ، وما جدوى أن ينتسب المرء الى منظمة مثلا — ويكتفي بحمل بطاقة العضوية دون ان يكون له جهد في نشاطها أو تأثر بأهدافها ؟ ..

ان الانقياد الكامل ، والالتزام التام بعقيدة الاسلام لا يكون بمجرد الانتساب اللفظي أو الجغرافي بل بالعمل والتأثر والتأثير .. .

وماذا يفيد الاسلام مني إذا أنا اكتفيت بذات نفسي ، وانعزلت عن الناس، وعن مجالات النشاط ، فلا أعطي للآخرين من جهدي وفهمي » !

إنني في هذه الحالة كالمشلول الأخرس في القافلة لا فائدة منه .. وويل للقافلة ، عندما يتكاثر فيها المشلولون الخرس !!

إننا جميعا نعاني هذا القصور ، في أنفسنا وفي حياتنا .. نعانيه في أنفسنا : في صورة انسلاخ عن معاني الاسلام الحية ، وعن تأثيراته الفعلية ، فلا نكاد نقوى على مغالبة الأهواء في نفوسنا ، ولا في توجيه أعمالنا نحو الخير الذي حدده ، ونحو النور الذي اضاء به معالم الطريق ..

ونعانيه في حياتنا ، انفصاما هائلا بين الواقع الذي نعيشه ، وبين النظام الخالد الذي يجب أن يحكم هذا الواقع ويسيره .

لا بد من استقامة الخطين .. ولا بد من إقامة الدليل على هذه الاستقامة ، والا تعطلت المسيرة ، وانعدم الأثر ، واضمحلت الفكرة ، وانقطعت صلة الجيل بماضيه ..

وهذه هي الغاية .. غاية أعداء هذه الأمة ، من صهيونية موتورة ، وصليبية حاقدة ..

فهم يولون فكرة الفصل بين ماضي هذه الأمة وحاضرها ، كل جهودهم : يولونها بالحرب المباشرة بيننا وبينهم ، وبالحرب الخفية عن طريق التلاميذ والعملاء .

ولقد أعطتهم طول التجربة وحنكة الممارسة قدرة على اصطياد الأتباع والعبيـــد .. حتى توصلوا الى إشعال نار الفرقة والخلاف بين الامة الواحدة. ومزقوا أرضها الكبيرة الواسعة الى اقطار صغيرة فقيرة .. وحكموها من خلال أسماء نعرفها .. وتلك غاية فى الهوان والمذلة ..

وكأنما التاريخ يريد أن يعيـد نفسه . يوم أن كانت أمتنا ممزقة هنـا وهناك ، يتأثر هذا الجزء بالفرس ، ويتأثر هذا الجزء بالرومان ، تماما أليست هذه الصورة ، متشابهة مع الواقع اليوم ؟!

وكما أنقـذ الله امتنـا فى ذلك التاريخ من تبعية الفرس والروم ، يمكن اليوم أن ينقذنا من تبعية خلفاء الفرس والروم !! ولكن بماذا ؟! بنفس الطريقة.. وبنفس الأسلوب .. بنفس الرسالة .. وبنفس الدين !!

الإصـــلاح بإحســـان ..

امتنـا الاسلامية اليوم فى أمس الحاجة الى من ياخذ بيـدها لينقذها من مهـاوى الانقسام والتردى فى متاهات المبادىء الهدامة ، وتعدد الآراء والمذاهب .

فى حاجة الى من يجدد لها شبابها .. فيبعث فيها سيرة الاوائل .. الذين سـاروا على الطريق المسوى .. طريق الايمان .. ودعوا الى الله باحسان .. فكانوا خير امـة اخرجت للناس .. يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .. أمتنا الاسلامية فى حاجة الى الاصلاح « الاصلاح باحسان » .. وتحت هذا العنوان نشرت مجلة « دعوة الحق » المغربية مقالا قيمـا نقتطف منه ما يلى :

لقد جابهت أمتنا الاسلامية بوسائلها المادية والمعنوية ما نجابه نحن اليوم، من كيـد الكائدين ، وجحود الجاحدين .. ! فخاضت بإيمان ، وعزم ، وأمل معركة الحياة فى العلم ،والفكر ، والسياسة ، والحضارة . وكتبت سـجلها بحروف من نـور فى كل هذه الميادين ..!

ــ فلماذا كان ذلك بالأمس .. ؟

ــ ويكون هذا فى اليوم .. ؟

إن السبب يكمن فى أن أولئك نهجوا منهاج الصلاح والإصلاح بالإحسان ! وفهموا كل شىء يحيط بهم فهما شموليا مترابط الحلقات .. وعلموا أن عنجهية القوى تنبت حقـد الضعيف .. !

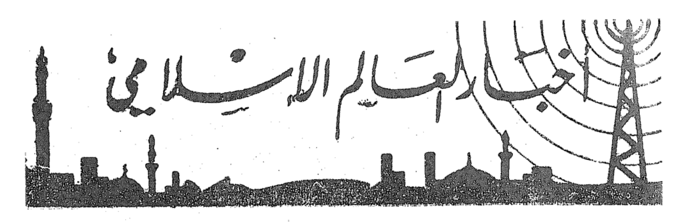
ورعونة الغنى تنبت حسـد الفقير .. !

واستهتار المسرف ينبت مـكر المحروم .. !

فكان هدفهم أن يحسنوا التصرف ، ويفرضوا لا فرض القانون الملزم .. ! ومتى نبت فى مجتمع ما ، ضـــمير حى مؤمن رأيت النـــــاس : حاكمهم ومحكومهم وخاصتهم وعامتهم يتسابقون الى الاصلاح ، وتقاسم السراء والضراء، وأداء الواجب الذى تفرضه الشريعة الطبيعية . ولم يحل ذلك بينهم وبين التمتع بالطيبات وجنى الثمرات على اختلاف الحالات والمستويات .. ! لأن حســن التصرف هو الحد الفاصل بين الشىء ونقيضه . والحالة وضدها .. !

وعلى هذا الأساس كان المنهاج الاسلامى وما يزال حبل النجاة لإصلاح حالة المسلمين ، وإعادة الثقـة الى نفوسهم ، والإيمان الى ضمائرهم ، وصدق رب العزة سبحانه فى قوله :

« وابتـغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبـغ الفسـاد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين » .



اعداد : الدكتور عبد المعطى بيومى

الكويت : مثل الكويت فى مؤتمر علماء المسلمين الذى انعقد بالقاهرة فى الشهر الماضى السيد الأستاذ راشد الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية .

● قام وزير الاوقاف والشئون الاسلامية بزيارة الى السودان عقب حضوره مؤتمر علماء المسلمين الذى انعقد بالقاهرة فى الشهر الماضى وقد اجرى الوزير مباحثات مع وزير الشئون الدينية فى السودان .

● تسلمت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ثمانية مساجد فى مناطق مختلفة من الكويت .

● تبرعت الكويت بمبلغ ١٠٠ الف جنيه لبناء المركز الاسلامي فى الخرطوم .

● وضعت الكويت ١٥ منحة تحت تصرف دول الخليج لتأهيل عدد من رعاياها فى مجال المواصلات اللاسلكية .

● ستساهم الكويت مع الأمم المتحدة ببناء معهد لعلوم البحار يكون مقره مدينة الاسكندرية فى مصر .

مصر : اكد الرئيس انور السادات انه سيعمل على تربية الشباب على قيم الاسلام وانه سيعمل على اقامة المجتمع الاسلامى .

● اتخذ مؤتمر علماء المسلمين الذى انعقد فى القاهرة فى الشهر الماضى عدة قرارات وتوصيات .

● اهدى الرئيس انور السادات طنين من الادوية الى المسلمين فى الفلبين لعلاج جرحاهم من جراء الاضطهادات التى يلاقونها فى بلادهم .

● قرر الدكتور عبد الحليم محمود وزير الاوقاف وشئون الازهر فتح جميع المساجد أمام النساء لاداء الصلاة خلف صفوف الرجال بعد ان كان ذلك محظورا عليهن .

● وزعت الجوائز على المتفوقين من المتسابقين فى حفظ القرآن الكريم اثناء العطلة الصيفية الماضية .

السعودية : اعتمد مبلغ ٥ر١٤ مليون ريال للمشاريع الجديدة فى مكة كما اعتمد مبلغ ٢ر١ مليون ريال لانارة مشعر منى و ٦ ملايين لمشاريع اخرى .

● تقوم لجنة من المهندسين بدراسة انشاء بعض الطرق التى تربط مشاعر الحج وتيسر القيام بالمناسك .

الأردن : قرر مجلس الاوقاف الاردنى تخصيص مبلغ سنوى للانفاق على اربع بعثات دراسية لطلاب اتراك سيدرسون فى كلية الشريعة بالجامعة الاردنية .

● ثارت الاضطرابات فى الشهر الماضى بين العرب سكان مدينة الخليل وبين اليهود المتعصبين الذين جلبتهم اسرائيل بسبب عمل هؤلاء اليهود على هدم

الحرم الابراهيمى واقامة كنيس يهودى مكانه .

● طلبت منظمة التحرير الفلسطينية فى مذكرة رفعتها الى الجامعة العربية ٦ ملايين جنيه لأسر الشهداء والمعتقلين .

● بلغ عدد الفلسطينيين ٣٫٦٠٠٫٠٠٠ نسمة (احصائية صادرة عن مكتب الاحصاء فى القدس المحتلة) .

سوريا : صرح الرئيس السورى حافظ الأسد بأن (الدستور السورى لا ينص على أن دين الدولة هو الاسلام) ولكن هذا لا يمنع من أن الشعب العربى السورى مؤمن ايمانا عميقا بدينه وقيمه الروحية .

لبنان : قامت القوات الاسرائيلية ببث الارهاب والرعب والتدمير فى قرى جنوب لبنان وقد استعملت اسرائيل فى عدوانها ٦٠ طائرة و ٥آلاف جندى و ٢٥٠ دبابة ومدرعة .

ليبيا : اتخذ الرئيسان معمر القذافى وأنور السادات عدة قرارات وخطوات لتكوين القيادة السياسة الموحدة فى سبيل الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا .

● بعث الرئيس القذافي برقية الى الرئيس اللبنانى ابان العدوان الاسرائيلى على جنوب لبنان يسأله عما اذا كان مستعدا لاستقبال قوات ليبية تقف استعدادا لمشاركة لبنان فى رد العدوان .

● هاجم الرئيس القذافى الاتحاد السوفياتي بانه يقف فى صف واحد مع الاستعمار والصهيونية .

● بلغ عدد المتطوعين العرب مع الثورة الفلسطينية والذين يتدربون فى ليبيا ثمانية آلاف متطوع .

المغرب : قرر الملك الحسن انشاء دار على نمط دار الحديث الحسنية تسمى دار القرآن الحسنية تقوم بشأن الدراسات القرآنية والاسلامية المنبثقة من القرآن الكريم .

اليمن : تبذل جامعة الدول العربية مساعيها لتكوين لجنة تحكيم ومصالحة بين اليمن الشمالية والجنوبية .

باكستان : رفض مجيب الرحمن اجراء اى حوار مع الرئيس الباكستانى ذو الفقار على بوتو قبل أن تعترف باكستان بما يسمى دولة بنجلاديش فى باكستان الشرقية .

أوغندا : اعتدت تانزانيا على حدود أوغندا فى الشهر الماضى وقد أعلنت القوات الاوغندية أنها قتلت ثلاثة من الجنود الاسرائيليين المرتزقة كانوا يعملون فى جيش تانزانيا .

● أكد الرئيس الليبى معمر القذافى للرئيس عيدى أمين أن سلاح الطيران الليبى على أهبة العمل تحت تصرف الرئيس الاوغندى .

● بعث الرئيس عيدى أمين برقية الى أمين الامم المتحدة دعا فيها الى أن يرحل الاسرائيليون من فلسطين ليستقروا فى بريطانيا باعتبارها التى بادرت الى بعث الدولة الصهيونية وأكد الرئيس أمين أن عملية ميونيخ عملية انتحارية أتاها أشخاص فقدوا وطنهم ضد اسرائيليين اغتصبوا هذا الوطن وكانوا يعيشون فى الخارج .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافـــة .

جـــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكـــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعـــة ضياء .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب. ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبـــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩

الدوحـــة : سالم الانصارى ــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت